

(٧٣٣)

بلاغة وصف الأعراب

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

١-"جانب الحق، يرجع إلى نفس أمارة بالخير، بعيدة عن الشر، مدلولة على سبيل البر. . . **ووصف أعرابي** رجلا بلون من ألوان البر وبالألمعية والذكاء والحصافة والأناة قال: كان – والله – الفهم منه ذا أذنين، والجواب ذا لسانين، لم أر أحدا كان أرتق لخلل رأي منه، ولا أبعد مسافة روية ومراد طرف، إنما يرمي بهمته حيث أشار إليه الكرم، وما زال – والله – يتحسى مرارة أخلاق الإخوان ويسقيهم عذوبة أخلاقه. . .

كان الفهم منه ذا أذنين: يريد أنه كان يعي ويتفطن لما يرى ويسمع فطنة أوفت على الغاية، إذ أنها فطنة مضاعفة، فكأن له أذنين. أما قوله: والجواب ذا لسانين: فإنما يريد قوة العارضة واللسن، وهذا غير قولهم: فلان ذو وجهين وذو لسانين، يريدون: النفاق والذبذبة. ورتق الفتق: أصلحه، والمراد: المكان من راد يرود: إذا جاء وذهب، ويتحسى: يقال حسا الماء: شربه، وتحساه: إذا شرب في مهلة، وهو هنا مجاز.

ومن كلمة لابن المقفع يصف الرجل يتلاقى البر في برديه بألوان شتى من المثل العليا وأخلاق السادة، في أسلوب بديع – وقد وردت هذه الكلمة في نهج البلاغة منسوبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه –: كان لي أخ في الله، كان أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجا من سلطان بطنه؛ فلا يتشهى ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد. وكان خارجا من سلطان فرجه؛ فلا يدعو إليه مؤنة، ولا يستخف إليه رأيا ولا بدنا، وكان لا يتأثر عند نعمة، ولا يستكين عند مصيبة، وكان خارجا من سلطان لسانه؛ فلا يتكلم بما لا يعلم ولا يماري فيما علم. وكان خارجا من سلطان الجهالة؛

فلا يقدم أبدا إلا على ثقة بنفسه، وكان". (١)

٢-"أفرغ من بخوري. . . ودخل رجل على رجل يوما والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده، فمد يده ليأكل، فقال: أجهز على الجرحى، ولا تتعرض للأصحاء. . . يريد: كل ما كسر ونيل منه ولا تعرض إلى الصحيح ورأى رجل الحطيئة – الشاعر المخضرم العبقري اللئيم – وبيده عصا فقال: ما هذه؟ قال: عجراء من سلم، قال: إني ضيف، قال: للضيفان أعددتها. . . **ووصف أعرابي** قوما فقال: ألغوا من الصلاة الأذان، مخافة أن تسمعه الآذان، فيهل عليه الضيفان. . . وفي هذا المعنى يقول شاعر:

تراهم خشية الأضياف خرسا ... يقيمون الصلاة بلا أذان

وكانوا يعدون أن يبيت الرجل شبعان وجاره جوعان، عارا وشنارا ولؤما ونذالة، ويتهاجون بذلك، وأحسن ما قيل في هذا قول الأعشى – ميمون بن قيس – في علقمة بن علاثة:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وقول بشار بن برد:

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا ... عمرو لبطنته والضيف للجوع

---

(١) الذخائر والعبقريات ١/٨

وقال شاعر:

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم ... إذا يكون لهم عيد وإفطار

إن يوقدوا يوسعونا من دخانهم ... وليس يبلغنا ما تنضج النار

ومن ملحهم فيمن لا يظفر بخبزه قول أبي نواس:". (١)

٣-"لا تنكرن إهداءنا لك منطقا ... منك استفدنا حسنه ونظامه

فالله عز وجل يشكر فعل من ... يتلو عليه وحيه وكلامه

وقال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني فيمن يليق به مدحه:

وأرى المديح إذا عداك نقيصة ... فأعافه ولو انه في حاتم

فإذا امتدحت سواك قال الشعر لي ... لم ترع حقي إذ أبحت محارمي

ووصف أعرابي رجلا مجمعا على مدحه: كأن الألسن والقلوب ريضت له، فما تعقد إلا على وده، ولا تنطق إلا بحمده.

وقال البحتري:

وأرى الخلق مجمعين على فض ... لك من بين سيد ومسود

عرف الجاهلون فضلك بالع ... لم وقال الجهال بالتقليد

وقال ابن الرومي:

يا من إذا قلت فيه صالحة ... عند عدو أقر واعترفا

وقال البحتري في المستغني عن المدح لكثرة فضله:

جل عن مذهب المديح فقد كا ... د يكون المديح فيه هجاء

وقال المتنبي:

تجاوز قدر المدح حتى كأنه ... بأكثر ما يثنى عليه يعاب

حب المنعم أن يرى أثر إنعامه

قال سيدنا رسول الله صلوات الله عليه: إن الله يحب أن يرى أثر". (٢)

٤-"والباء في بالفتى: للمصاحبة فيكون حالا، أو بمعنى عن فيتعلق بما بعدها وجاز لأنه ظرف، وتقطعا بحذف إحدى التاءين والفاعل ضمير حبال، وقوله: بالفتى فقد كان يجب أن يقول بدل الفتى: به، أو بالمرء ولكنه عدل عن المضمر

---

(١) الذخائر والعبقريات ١/١٢٠

(٢) الذخائر والعبقريات ١/٢١١

والمظهر إلى لفظ آخر لأنه أشبه المضمر، وقال ابن رشيق: قوله بالفتى حشو وكان الواجب أن يقول: به لأن ذكر المرء قد تقدم، إلا أن يريد بالفتى معنى الزراية والأطنوزة – السخرية

– فإنه محتمل. وهذا تخيل دقيق من ابن رشيق

المبادر إلى الحرب غير مبال بها

قال البحتري:

تسرع حتى قال من شهد الوغى ... لقاء أعاد أم لقاء حبائب

وقالوا: أشجع بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس:

أشد على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها

ووصف أعرابي قوما فقال: ما سألوا قط كم القوم؟ وإنما يسألون: أين هم؟

وسأل رجل يزيد بن المهلب فقال: صف لي نفسك، فقال: ما بارزت أحدا إلا ظننت أن روحه في يدي. . . .

ولما بلغ قتيبة بن مسلم حدود الصين قيل له: قد أوغلت في بلاد الترك، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر! فقال: بثقتي بنصر الله توغلت، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة، فقال الرجل: اسلك حيث شئت، فهذا عزم لا يفله إلا الله. . . . ." (١)

٥–"ما لرسولي أتاني منك بالياس ... وقال أظهرت بعدي جفوة القاسي

إني أحبك حبذا لا لفاحشة ... والحب ليس به في الله من باس

وقرأت على أبي بكر بن دريد:

ولما أبى إلا جماحا فؤاده ... ولم يسل عن ليلى لمال ولا أهل

تسلى بأخرى غيرها فإذا التي ... تسلى بها تعزى بليلى ولا تسلى

وأنشدنا أبو عبد الله:

يا منية النفس إن أعطيت منيتها ... وسؤلتي إن دنونا أو نأيناك

هل بعثنا ببديل منذ لم نركم ... فما بشيء من الأشياء بعناك

إن كنت لم تذكرينا عند فرقتنا ... فيشهد الله أنا ما نسيناك

وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: تذاكر قوم صلة الرحم وأعرابي جالس، فقال: منسأة في العمر، مرضاة للرب، محبة في الأهل.

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: **وصف أعرابي** ناقة فقال: إذا اكحالت عينها، وأللت أذنها، وسجح

---

(١) الذخائر والعبقريات ٢/٢١٥

خدها، وهدل مشفرها، واستدارت جمجمتها، فهي الكريمة.

قال أبو علي: سجح: سهل وحسن. وهدل: استرخى.

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا عبد الرحمن قال سمعت عمي يقول سمعت أعرابية تقول لرجل: رماك الله بليلة لا أخت لها، أي لا تعيش بعدها.

وحدذثنا أبو بكر قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال قال أكثم بن صيفي: سوء حمل الفاقة يحرض الحسب، ويقوي الضرورة، ويذئر أهل الشماتة.

قال أبو علي: يذئر: يحرش، يقال: أذرأته بأخيه إذا حرشته عليه وأولعته به، وقد ذئر هو ذأرا حين أذرأته؛ قال الشاعر:

ولقد أتاني عن تميم أنهم ... ذرئوا لقتلي عامر وتغضبوا

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال بعض العرب: أولى الناس بالفضل أعودهم بفضله، وأعون الأشياء على تذكية العقل التعلم، وأدل الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير.

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال رجل من العرب: ما رأيت كفلان، إن طلب حاجة غضب قبل أن يرد عنها، وإن سئل حاجة رد صاحبها قبل أن يفهمها.

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال بعض الأعراب: لا أعرف ضرا أوصل إلى نياط القلب من الحاجة إلى من لم تثق بإسعافه ولا تأمن رده، وأكلم المصائب فقد خليل لا عوض منه.

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: ذكر رجل حاتما الطائي فقال: كان إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا أسر أطلق.

وحدثنا قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قيل لأعرابي: أي شيء أمتع؟ فقال: ممازحة المحب، ومحادثة الصديق، وأماني تقطع بها أيامك.

وحدثنا قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال سمعت أعرابيا يقول: من لم يرض عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه، ومن عاتب على كل ذنب كثر عدوه، ومن لم يؤاخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه قل صديقه. وأنشدنا أبو عبد الله:

الرمح لا أملأ كفي به ... واللبد لا أتبع تزاوله

يقول: لا أقاتل بالرمح وحده فأشغل كفي به دون غيره من السلاح، ولكني أقاتل به وبغيره، وإذا زال اللبد عن متن الفرس لم أزل معه وثبت؛ يصف نفسه بالفروسية.

وحدثنا أبو بكر ابن الأنباري قال حدثنا عبد الله بن خلف عن موسى بن صالح عن معاوية بن صدقة الجحدري قال: كان رجل من مجاشع يقال له: سعد بن مطرف، يهوى ابنة عم له يقال لها: سعاد، فكان يأتيها ويتحدث إليها ولا يعلمها بما هو عليه من حبها، حتى سل جسمه ونحل بدنه، فبينا هو ذات يوم معها جالس إذ نظر إليها وأنشأ يقول:

وما عرضت لي نظرة مذ عرفتها ... فأنظر إلا مثلت حين أنظر

أغار على طرفي لها فكأنني ... إذا رام طرفي غيرها لست أبصر

وأحذر أت تصغي إذا بحت بالهوى ... فأكتمها جهدي هواي وأستر

فلما سمعت ذلك منه ساءها وكرهت أن ينشر خبرهما، فأقصته وأظهرت هجره؛ فكتب إليها:

مت شوقا وكدت أهلك وجدا ... حين أبدى الحبيب هجرا وصدا

بأبي من إذا دنوت إليه ... زادني القرب منه نأيا وبعدا". (١)

٦-"وحدثنا أبو بكر قال حدثنا الحسن بن خضر عن أبيه قال: كتب الحسن بن سهل إلى محمد ابن سماعة القاضي: أما بعد، فإنني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ذي عفة ونزاهة طعمة، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب؛ ليس بظنين في رأيه، ولا بمطعون في حسبه؛ إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهما من الأمور أجزأ فيه؛ له سن مع أدب ولسان، تقعده الرزانة ويسكنه الحلم، قرد فر عن عن ذكاء وفطنة، وعض على قارحة من الكمال؛ تكفيه اللحظة، وترشده السكتة؛ قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها، وقام في أمورهم فحمد فيها؛ له أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء؛ لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه؛ دلائل الفضل عليه لائحة، وأمارات العلم له شاهدة؛ مضطلعا بما استنهض، مستقلا بما حمل؛ وقد آثرتك بطلبه، وحبوتك بارتياده؛ ثقة بفضل اختيارك ومعرفة بحسن تأتيك؛ فكتب إليه: إني عازم أن أرغب إلى الله جل وعز حولا كاملا في ارتياد مثل هذه الصفة، وأفرق الرسل الثقات في الآفاق لالتماسه، وأرجو أن يمن الله بالإجابة، فأفوز لديك بقضاء حاجتك والسلام.

وأخبرنا أبو عبد الله قال حدثنا أبو العباس أحمد بن يحي قال حدثت عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: وصف رجل رجلا فقال: كان والله سمحا سحا، يمر سهلا؛ بينه وبين القلب نسب، وبين الحياة سبب؛ إنما هو عيادة مريض، وتحفة قادم، وواسطة قلادة.

قال أبو عبد الله وحدثنا أبو العباس قال: **وصف أعرابي** رجلا فقال: كان والله مطلول المحادثة، ينبذ إليك الكلام على أدراجه، كأن في كل ركن من أركانه قلبا يقد. قال أبو علي: يعني مستحدث الحديث.

" مطلب ما تقول العرب في معنى ما بالدار أحد " وقال يعقوب بن السكيت: يقال ما بالدار أحد، وما بها دوي ودعوي وطهوي ودبي ولا عي قرو .

قال أبو علي: وقال لي الغالبي: قال لنا ابن كيسان: دوى منسوب إلى الدوية. وقال اللحياني: دعوي من دعوت. ودبي من دببت، وزاد نمي من نممت. الأصكعي: يقال: ما بالدار عريب. قال أبو علي: معناه معرب، أي ما جاء بها أحد؛ قال عبيد:

فعردة فقفا حبر ... ليس بها منهم عريب

وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال: أنشدنا أبو العباس:

أميم أمنك الدار غيرها البلى ... وهيف بجولان التراب لعوب

---

(١) أمالي القالي ص/١٠٢

بسابس لم يصبح ولم يمس ثاويا ... بها بعد بين الحي منك عريب
وما بها دبيج، ودرييج فعيل من الدبج، وهو النقش والزيين، وأصله فارسي مأخوذ من الديباج، وأنشد ابن الأعرابي:
هل تعرف المنزل من ذات الهوج ... ليس بها من الأنيس دبيج
وما بها دوري؛ وقال اللحياني: دوري ودؤري، يهمز ولا يهمز.
قال أبو علي: دوري منسوب إلى الدور، فأما دؤري بالهمز، فهو عندنا غلط. وما بها طورىء، قال أبو علي: منسوب إلى الطورة، وفي بعض اللغات الطيرة. وما بها وابر، وما بها نافخ ضرمة وما بها صافر، وما بها ديار؛ وأنشدنا غيره لجرير:
وبلدة لبس بها ديار ... تنشق في مجهولها الأبصار
وقال اللحياني: وما أرم، على فعل. وقال أبو زيد: ما بها أرم ولا أريم، على فعيل؛ وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري:
تلك القرون ورثنا الأرض بعدهم ... فما يحس عليها منهم أرم
وقال ابن الأعرابي: ما بها آرم، على فاعل، وما بها أيرمي وإرمي. وقال اللحياني: ما بها وابن ووابر؛ وأنشد ابن الأعرابي:
يمينا أرى من آل زبان وابرا ... فيفلت مني دون منقطع الحبل
وقال ابن الأعرابي: وما بها أمر. وقال الأصمعي والكسائي: وما بها شفر؛ وأنشدني ابن الأنباري:
فوالله لا تنفك منا عداوة ... ولا منهم ما دام من نسلنا شفر
وقال اللحياني: ما بها شفر ولا شفر. وقال غيره: ما بها طؤوي، على مثال قولك: طعوي، وما بها طوئي، على مثال طوعي؛ وأنشدني أبو بكر بن دريد وأبو بكر بن الأنباري للعجاج:
وبلدة ليس بها طوئي ... ولا خلا الجن بها إنسي". (١)

٧-"وأنشد لهيمان بن قحافة السعدي:
يطير هنها الوبر الصبابجا
قال: أراد الصهابي من الصهبة. وقال يعقوب بن السكيت: بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيما، وأنشد عن ابن الأعرابي:
كأن في أذنابهن الشول ... من عبس الصيف قرون الإجل
أراد الإيل، وأنشد الفراء:
لا هم إن كنت قبلت حجتج ... فلا يزال شاحج يأتيك بج
أقمر نهات ينزى وفريج
أراد وفرتي.
" ماتعاقب فيه الحاء والجيم " قال: الأصمعي يقال: تركت فلانا يجوس بني فلان ويحوسهم إذا كان يدوسهم ويطلب فيهم.

---

(١) أمالي القالي ص/١١٩

وحدثني أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين قال حدثنا المازني قال: سمعت أبا سرار الغنوي يقرأ: " فحاسوا خلال الديار " فقلت: إنما هو جاسوا: فقال: حاسوا وجاسوا واحد. قال وسمعته يقرأ: " وإذ قتلتم نسمة فادارأتم فيها " فقلت له: إنما هو نفس، قال: النسمة والنفس واحد. قال الكسائي: يقال أحم الأمر وأج إذا حان وقته. ويقال: رجل محارف ومجارف. قال: وهم يحلبون عليك ويجلبون أي يعينون. قال الأصمعي: إذا حان وقوع الأمر قيل: أجم، يقال: أجم ذلك الأمر أي حان وقته، وأنشد:

حييا ذلك الغزال الأحما ... إن يكن ذاكم الفراق أجما

قال: وإذا قلت: حم الأمر فهو قدر، ولم يعرف أحم بالألف.

" ما تعاقب فيه الهمزة العين " قال الأصمعي: يقال: آديته على كذا، وأعديته أي قويته وأعنته. ويقال: استأديت الأكير على فلان في معنى استعديت، وأنشد ليزيد بن خذاق العبدي:

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت ... سبل المكارم والهدى يعدي

يقول: إبصارك الهدى يقويك على الطريق، ومعنى يعدي يقوي، ومنه أعداني السلطان؛ قال: ولقد أضاء لك الطريق أي أبصرت أمرك وتبينته. وأنهجت: صارت نهجا واضحة بينة. قال: وسمعت أبا تغلب ينشد بيت طفيل الغنوي:

فنحن عمنا يوم حرس نساءكم ... غداة دعانا عامر غير معتلي

يريد مؤتلي. ويقال: كثأ اللبن وكثع، وهي الكثأة والكثعة إذا علا دسمه وخثورته رأسه، وأنشد:

وأنت امرؤ قد كثأت لك لحية ... كأنك منها قاعد في جوالق

ويقال: موت زؤاف وزعاف وذعاف وذؤاف إذا كان يعجل القتل. ويقال: أردت أن تفعل كذا وكذا، وبعض العرب يقول: أدرت عن تفعل. وقال يعقوب بن السكيت أنشد أبو الصقر:

أريني جوادا مات هزلا لألني ... أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

يريد لعلني. وقال الأصمعي: يقال: التمئ لونه والتمع لونه. وهو الساف والسعف. وقال يعقوب سمعت أبا عمرو يقول: الأسن: قديم الشحم، وبعضهم يقول: العسن.

" وصية بعض نساء الأعراب لابنها وقد أراد سفرا " وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني عبد الله بن محمد بن رستم قال حدثني محمد ابن قادم النحوي قال: قال أبان بن تغلب - وكان عابدا من عباد أهل البصرة - : شهدت أعرابية وهي توصي ولداها يريد سفرا وهي تقول له: أي بني! اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك. قال أبان: فوقفت مستمعا لكلامها مستحسنا لوصيتها، فإذا هي تقول: أي بني! إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين، وإياك والتتغرض للعيوب، فتتخذ غرضا وخليق إلا يثبت الغرض على كثرة السهام؛ وقلما اعتورت السهام غرضا إلا كلمته حتى يهي ما اشتد من قوته؛ وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريما يلن لهزتك، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها؛ ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبته، فإن المرء لا يرى عيب نفس؛ ومن كانت مودته بشره وخالف ذلك منه فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها، ثم أمسكت فدنوت منها فقلت: بالله يا أعرابية، إلا زدته في الوصية؛ فقالت: أوقد أعجبك

كلام العرب يا عراقي؟ قلت: نعم، قالت: والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد اجاد الحلة ريطتها وسربالها.

" **وصف أعرابي** الدنيا وقد سئل عنها " وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدثنا أبو حاتم قال: وجد بخط العتبي بعد موته في كتبه أن رجلا سأل بعض الزهاد فقال: أخبرني عن الدنيا، فقال: جمة المصائب، رنقة المشارب، لا تمتع صاحبا بصاحب.". (١)

٨-"قال أبو علي وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال: وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال: قل النيل، ونقص الكيل، وعجفت الخيل؛ والله ما أصبحنا ننفخ في وضح، وما لنا في الديوان من وشمة، وإنا لعيال جربة، فهل من معين أعانه الله يعين ابن سبيل، ونضو طريق، وفل سنة؟ فلا قليل من الأجر ولا غنى عن الله، ولا عمل بعد الموت. قال أبو علي الوضح: اللبن، وإنما سمي وضحا لبياضه، وقال الهذلي:

عقوا بسهم فلم يشعر به أحد ... ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضح

عقوا: رموه إلى السهام. واستفاءوا: رجعوا. والوشمة مثل الوشم في الذراع، يريد الخط. والجربة: الجماعة. ويقال: الجربة: المتساوون، ويقال: عيال جربة، أي كبار كلهم لا صغير فيهم، قال الراجز:

جربة كحمر الأبك ... لا ضرع فيهم ولا مذكى

والفل: القوم المنهزمون، يعني أنه منهزم من الجدب، والفل: الأرض التي لم يصبها مطر، وجمعها أفلال.

" **وصف أعرابي** للسويق " قال وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا أبو حاتم قال قال الأصمعي: عاب رجل السويق بحضرة أعرابي، فقال: لاتعبه، فإنه عدة المسافر، وطعام العجلان، وغذاء المبكر، وبلغة المريض، ويسرو فؤاد الحزين، ويرد من نفس المحدود وجيد في التسمين، ومنعوت في الطب، وقفاره يجلو البلغم، وملتوته يصفي الدم؛ وإن شئت كان شرابا، وإن شئت كان طعاما، وإن شئت فثريدا، وإن شئت فخبيصا قال أبو علي: يسرو: يكشف ما عليه يقال: سرا عنه ثوبه إذا نزعه. والمحدود: الذي قد حد أي قد ضرب الحد. والقفار: الذي لم يلت بشيء من أدم لا زيت ولا سمن ولا لبن، يقال: طعام قفار وعفار وعفير وسختنيت وحث حدثني أبو عمرو قال حدثنا أبو العباس عن ابن الاعرابي قال: العرب تقول: ماء فراح، وخبز قفار: لا أدم معه. وسويق حث وهو الذي لم يلت بسمن ولا زيت. وحنظل مبسل وهو أن يؤكل وحده، قال الراجز:

بئس الطعام الحظل المبسل ... ييجع منه كبدي وأكسل

ويروى: ياجع قال وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال أعرابي: اعتذار من منع أجمل من وعد ممطول..

" تخاصم مالك بن أسماء بن خارجة وأخيه عيينة وما قاله فيه من الشعر لما حبسه الحجاج " قال أبو علي وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: كان مالك بن أسماء بن خارجة واجدا على أخيه عيينة بن أسماء وطال ذلك حتى تفاقم الأمر بينهما، فأخذ الحجاج عيينة فحبسه لجبايات كانت له، وكتب إلى مالك يعلمه بذلك وهو

---

(١) أمالي القالي ص/١٦٩

يظن أنه يسسره، فلما قرأ الكتاب أنشأ يقول:

ذهب الرقاد فما يحس رقاد ... مما شجاك وملت العواد

خبر أتاني عن عيينة مفظع ... كادت تقطع عنده الأكباد

ويروى: عن عيينة موجع.

بلغ النفوس بلاؤه فكأننا ... موتى وفينا الروح والأجساد

يرجون غرة جدنا ولو أنهم ... لا يدفعون بنا المكاره بادروا

لما أتاني عن عيينة أنه ... أمسى عليه تظاهرالأقياد

نخات له نفسي النصيحة إنه ... عند الشدائد تذهب الأحقاد

وعلمت أني إن فقدت مكانه ... ذهب البعاد فكان فيه بعاد

ورأيت في وجه العدو شكاسة ... وتغيرت لي أوجه وبلاد

وذكرت أي فتى يسد مكانه ... بالرفد حين تقاصر الإرفاد

أمن يهين لنا كرائم ماله ... ولنا إذا عدنا إليه معاد

قال أبو علي: الشكاسة: سوء الخلق، والشكس: السيء الخلق.

وأنشدنا أبو بكر الأنباري قال أنشدنا أبو بكر السمسار قال: أنشدنا أبو بكر الأموي عن الحسين ابن عبد الرحمن للخليل بن أحمد:

إن كنت لست معي فالذكر منك هنا ... يرعاك قلبي وإن غيبت عن بصري

العين تفقد من تهوى وتبصره ... وناظر القلب لا يخلو من النظر

قال وأنشدنا أبو بكر أيضا قال أنشدنا أبو علي العمري قال: أنشد مسعود بن بشر:

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى ... لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي". (١)

٩-"""""""" صفحة رقم ٤٢ """""""

٩٧ - **وصف أعرابي** بعيرا فقال : إذا عصل نابه ، وطال قرابه ، فبعه بيعا زليقا ، ولا تحاب به صديقا . قرابه : خاصرته ؛ هكذا وجدته . ٩٨ - العرب تقول : ويل أهون من ويلين ، كما تقول : بعض الشر أهون من بعض . ٩٩ - يقال : مشى له الخمر والضراء إذا استنزله وختله ، ومشى الملا والبراح إذا مشى ظاهرا بارزا ؛ كأنه في الأول دب خادعا ، وفي الثاني سلك السواء . ١٠٠ - وأنشد لحبيب بن خدرة : الطويل ألا حبذا عصر اللوى وزمانه . . . إذ الدهر سلم والجميع

(١) أمالي القالي ص/٢٢٢

حلول". (١)

١٠-"""""""""" صفحة رقم ٤٧ """"""""

لمثلكم تحمل السيوف ولا . . . تغمز أحسابنا من الرقق إني لأنمى إذا انتميت إلى . . . عز عزيز ومعشر صدق بيض سباط كأن أعينهم . . . تكحل يوم الهياج بالعلق كان بعض الرؤساء يعجب من هذا الكلام ويتعجب به . ١١٤ - **وصف أعرابي** أجمة فقال : مناقع نز ، ومرعى إوز ، قضبها تهتز ، ونبتها لا يجز . ١١٥ - الكامل وإذا جددت فكل شيء نافع . . . وإذا حددت فكل شيء ضائر الجد - بالجيم ، ها هنا بالفتح - هو إنقياد الأمر ، والحد - بالحاء - هو أمتناعه ومنعه ، ومنه سمي البواب حدادا لأنه يمنع ، كذا قال ثعلب ؛ ومنه قيل حدود الله عز وجل أي محارمه ، كأنها مانعة من التعدي ؛ ومنه حدود الدار كأنها حائزة لما أحاطت به ، ومانعة من أنفسها ما ليس منها ؛ والحداد : البحر ، كأنه مانع من الطريق ؛ والحدود : المصور ، والمصر : الحاجز ويكتب هكذا : أشترى فلان هذه الدار بمصورها . وقال بعض المتكلمين : حد". (٢)

١١-"""""""""" صفحة رقم ١٣٨ """"""""

أنشد الحارثة بن بدر الغداني : الطويل طربت بفاثور وما كدت تطرب . . . سفاها وقد جربت فيمن يجرب وجربت ماذا العيش إلا تعلة . . . وما الدهر إلا منجنون يقلب وما اليوم إلا مثل أمس الذي مضى . . . ومثل غد الجائي وكل سيذهب وقال محمد بن هاشم : التعليق في حواشي الكتب كالشنوف في آذان الأبكار . قال فيلسوف : أحسن الكلام ما كان له نظام ، وعرفه الخاص والعام . **وصف أعرابي** نساء فقال : أقبلن بحجول تخفق ، وأوشحة تقلق ، فمن أسير ومطلق . شاعر : الطويل إذا افترشت أعناقها الأرض طيرت . . . دقاق الحصى أنفاسها وزفيرها شددنا بها الأنساع وهي قصيرة . . . فطال على طول السفار قصيرها". (٣)

١٢-"""""""""" صفحة رقم ١٥٢ """"""""

وقال الجنيد : لو علمت أن تحت أديم السماء علما أجل من علمنا لقصدته وسعيت إليه . ما أحوجنا إلى عالم منطيق يكشف لنا كلام هذه الطائفة ، وسأسوق إليك من غرائب ألفاظ الصوفية ، وبدائع كلام النساك ، ومحاسن كلام أرباب المقالات ، وطرائق ما لاح لذوي الآراء والديانات ، على غيلا إطالة مملة ، ولا إيجاز مخل ، ما يكون غرة هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى . **وصف أعرابي** رجلا فقال : ذاك رجل سبق معروفه إلي قبل طلبتي إليه ، فالعرض وافر ، والوجه بمائه ،

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٤٢/١

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٤٧/١

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٣٨/١

وما أستقل بحمل نعمة منه إلا أثقلني بأخرى ، وكان والله مع هذا منهاجا للأمور المشكلة ، إذا ما تناحى ذوو الألباب باللائمة . وصف آخر قوما فقال : منهم من يقطع كلامه قبل أن يصل إلى لسانه ، ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ، ومنهم من يغشى كلامه الآذان فيحملها إلى الأذهان شرا طويلا . وقال يونس النحوي : إني لفي ظل دار ابن عامر ، في يوم من أيام ناجر : قد اتقدت فيه الهواجر ، إذ أقبلت امرأة لم أر مثلها في شبابها". (١)

١٣-""""""""" صفحة رقم ١٩٧ """""""

قال ابن هبيرة : الشجاعة لمن كانت معه الدولة . وقال ناسك : ما تبالي حسنت جورا ودخلت فيه ، أو قبحت عدلا وخرجت منه . **وصف أعرابي** فرسا فقال : كأنه شيطان في أشطان . قال الأحنف : الأدب في الإنسان نور العقل ، كما أن النار في الظلمة نور البصر . وهذا بكلام الفلاسفة أشبه ، ولكن كذا أصبته في كتاب ابن أبي طاهر في الحلي والحلل صاحب المنظوم والمنثور ، وإنما أحكي ما أجد . وأنشد ابن أبي طاهر لبشار : الكامل فسد الزمان وساد فيه المقرف . . . وجرى مع الطرف الحمار الموكف فدع التبحث عن أخيك فإنه . . . كسبيكة الذهب الذي لا يكلف قال الحسن : إن من أعظم نعم الله على خلقه أن خلق لهم النار تحوشهم إلى الجنة . وقال العتبي : لا تنازع الرأي من لا ينازعك الحظ .". (٢)

١٤-""""""""" صفحة رقم ٣٣ """""""

وقال السكري عن الرياشي عن العتبي : رأيت أعرابيا يقول لأخيه : هل لك أن ننتجع أحساء رملات نجد علنا نجد بها ريا ، فقال له الآخر : ذاك مطلب لا ينال إلا بشق وبعد ، ولعل المحلىء عنه يذود الحوم منه . السكري عن أبي حاتم عن الأصمعي ، قال : **وصف أعرابي** ناقة فقال : تقطع الأرض عرضا ، وترض الحجارة رضا ، وتنهض في الزمام نهضا ، سريعة الوثوب ، بطيئة النكوب ، مدلاج سروب . السكري عن الأصمعي قال : قالت أعرابية لزوجها : أنحن أنعم عيشا أم بنو مروان ، فقال : هم أطيب طعاما منا ، ونحن أردأ كسوة منهم ، وهم أنعم منا نهارا ، ونحن أظهر ليلا . وبإسناده أنشد أبو عمرو بن العلاء : الطويل يطيل قصير الليل بالسوس عاذل . . . وأني يقص الجود قادمتي وفري ومستنور والليل يطفيء ناره . . . وماء كراه بين أعيننا يجري". (٣)

١٥-""""""""" صفحة رقم ١٦٤ """""""

والكذب شعار خلق ، ومورد رنق ، وأدب سيء ، وعادة فاحشة ، وقل من استرسل فيه إلا ألفه ، وقل من ألفه إلا أتلفه ؛ والصدق ملبس بهي ، ومنهل عذب ، وشعاع منبث ، وقل من اعتاده ومزن عليه إلا صحبته السكينة ، وأيده التوفيق ،

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٥٢/١

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٩٧/١

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٣٣/٢

وخدمته القلوب بالمحبة ، ولحظته العيون بالمهابة . **وصف أعرابي** رجلا فقال : أخذ بزمام الكلام فقاده أسهل مقاد ، وساقه أحسن مساق ، حتى استرجع به القلوب النافرة ، واستوقف به الأبصار الطامحة . قال إسحاق الموصلي : قالت لي ديباجة الأعرابية : أنت بنغم ألفاظك – دون نغم أجانك – تطرب إذا تكلمت ، فكيف تراك تصنع إذا ترنمت ؟ العرب تقول : نومة الضحى في الصيف مبردة ، وفي الشتاء مسخنة . وكان بعض أغبياء النساك آدر ، فكان يكشف أنثييه للأنام ليضحكوا منه ويقول : اللهم ليس عندي ما أفرحهم به ، فلا تنس لي هذا . قال ابن المدبر ، أنشدني ابن السكيت : البسيط". (١)

١٦-"""""""" صفحة رقم ٧٧ """""""

شرب أعرابي شربة من لبن فقال : من رزقه الله الشكر من النعمة باللبن فقد ألهمه الشكر على جميع النعم لأنه يجمعها . قيل لأحيحة بن الجلاح : أي المال أحب إليك ؟ قال : ودية ملمة ، أونعجة مرمة . أنشد أبو نصر غلام الأصمعي : الطويل لنا صرم ينحرن في كل شتوة . . . إذا ما سماء الناس قل قطارها ونحمي بها العرض الكريم ونتقي . . . ويروي ظماء المعتفين شعارها قال أعرابي من أهل اليمامة : عندنا ثمرة تسمى البردي لهي أحسن من العقيان في صدور الفتيان ، فإن جعلتها نبيذا فهي سم الأساود ، والقائم فيها ساجد . **وصف أعرابي** رجلا فقال : كان الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ، لم أر أحدا أرتق لخلل ثأى منه ؛ كان بعيد مسافة الرأي ومراد الطرف ، إنما يرمي بهمه حيث أشار له الكرم ، يتحسى مرار الإخوان ويسقيهم العذب . أعرابية ترثي : المتقارب ألا هلك الجود والنائل . . . ومن كان يعتمد السائل". (٢)

١٧-"""""""" صفحة رقم ٢٧ """""""

القلوب لما ترجو من عفوه عن المذنب ، وقبوله من المعتب . ٥٤ – **وصف أعرابي** رجلا فقال : لا تراه الدهر إلا كأنه لا غنى به عنك وإن كنت إليه أحوج ، إن أذنبت غفر وكأنه المذنب ، وإن احتجت إليه أحسن وكأنه المسيء . ٥٥ – وقال أعرابي : ألم أكن نهيتك أن تريق ماء وجهك بمسألتك من لا ماء في وجهه ؟ ٥٦ – وقال : والله لو وقع فلان في ضحضاح معروفة لغرق . ٥٧ – وقال أعرابي لأخيه ورآه حريصا على الدنيا : يا أخي أنت طالب ومطلوب ، ويطلبك من لا تفوته ، وتطلب ما قد كفيته ، وكأن ما غاب عنك قد كشف لك ، وما أنت فيه قد نقلت عنه ؛ يا أخي كأنك لم تر حريصا محروما . ولا زاهدا مرزوقا . ٥٨ – سئل أعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : أحسنهم لفظا ، وأمثلهم بديهة ، قيل : فمن أصبر الناس ؟ قال : أردهم لجهله بحلمه ، إن قاتل أبلى . وإن أعطى أغنى .". (٣)

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٦٤/٢

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٧٧/٣

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٢٧/٥

١٨-"""""""" صفحة رقم ٩١ """""""

٧٨ - مدح أعرابي رجلا فقال : هو والله فصيح النسب فسيح الأدب ، من أي أقطاره أتيته انثني إليك بكرم المقال وحسن الفعال . فصيح النسب حلو جدا ، وهو استعارة ، إلا انه ها هنا لاصق بالمعنى وذلك أنه أشار إلى صحة النسب سلامة العرق وكرم المنبت ؛ وأما قوله فسيح الأدب ، فقد والله جمع بين غزارة الموصوف في أدب النفس والعلم ، وهذا نمط لا يتسع الكلام فيه على جميع ما يمر في الكتاب ، ولو أمكن ذلك لبلغ الكتاب عشرة آلاف ورقة أو أكثر . ٢٧٩ - **وصف أعرابي** قوما فقال : صدورهم قبور الأسرار ، وسيوفهم آفات الأعمار . ٢٨٠ - وصف ابن المقفع رجلا فقال : رفعه التقتير عن التقدير ، وحطه التبذير عن التدبير . ٢٨١ - وصف رجل آخر فقال : هو أحلى من رخص السعر ، وأمن السبل ، ودرك الماني ، وبلوغ الآمال . ٢٨٢ - **ووصف أعرابي** رجلا فقال : نعم حشو الدرع ، ومقبض السيق ، وصدر الرمح ؛ كان إذا لوين أحلى من العسل ، وإذا خولف أمر من الحنظل .". (١)

١٩-"""""""" صفحة رقم ٩٢ """""""

٨٣ - وذم أعرابي رجلا فقال : عبد البدن ، حر الثياب ، عظيم الرواق ، صغير الأخلاق ، الدهر يرفعه ، ونفسه تضعه . ٢٨٤ - **وصف أعرابي** آخر فقال : إن أتيته احتجب ، وإن غبت عنه عتب ، وإن عاتبته غضب . ٢٨٥ - وقال الرياشي : ذم أعرابي رجلا فقال : ليس له أول يحمل عليه ، ولا آخر يرجع إليه ، ولا عقل يزكو به عاقل إليه . ٢٨٦ - شاعر الكامل ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت . . . إن الكلاب طويلة الأعمار ١٨٧ - أنشد ثعلب الطويل حسبتك إنسانا على غير خبرة . . . فكشفت عن كلب أكب على عظم لحى الله رأيا قاد نحوك همتي . . . فأعقبني طول المقام على الذم ٢٨٨ - كاتب : قد عرضت لي قبلك حاجة فإن نجحت فالفاني منها حظي والباقي حظك ، وإن تعذرت فالخير مظنون بك ، والعذر ممهد لك .". (٢)

٢٠-"""""""" صفحة رقم ١٥٠ """""""

واستغرقتني مقتك ، فاجأتني بتغيير لونك ، وانزواء ركنك ، وفاحش لفظك ، وشانئ لحظك . شاعر : الوافر ستنكت نادما في الأرض مني . . . وتعلم أن رأيك كان عجزا كاتب : عقدوا ألوية الفتنة ، وأطلقوا أعنة البدعة . قال بعض السلف : الحمد لله الذي جعل الدنيا دار قلعة ومجاز ، ومحل شتات وأوفاز ، ومضمار أهبة وجهاز ، والآخرة دار القرار ، وقرة عين الأبرار . **وصف أعرابي** رجلا فقال : فيه جور مع الأكفاء ، وعجز عن الأعداء ، وإسراع إلى الضعفاء ، وكلب على الفقراء ، وإقدام على البرية ، واهتضام للرعية . قال أعرابي لقومه : كسروا أجنحة الضغائن في قلوبكم ، واغرسوا أشجار الإحن في صدوركم ، وأوقدوا نيران الأحقاد بينكم . قال أعرابي : أنت تنظر بعين قد منعها الهوى من العدل ، وتقول بلسان قد

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٩١/٥

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٩٢/٥

حالت المحاباة بينه وبين تحري الحق . مدح رجل رجلا عند الفضل بن الربيع ، فقال له الفضل : يا عدو الله ، ألم تذكره عندي بكل قبيح ؟ فقال : ذاك في السر ، جعلت فداك . وقع في بعض الثغور نفير ، فخرج رجل من أهلها ومعه قوس بلا". (١)

٢١-"""""""" صفحة رقم ١٦٢ """""""

قيل للمفضل : لم لا تقول الشعر وأنت من العلماء به ؟ قال : علمي به يمنعني منه . لأبي الأسد : الطويل وإني على عدمي لصاحب خمة . . . لها مذهب بين المجرة والنسر قال العتابي : من أعظم مكايد الشيطان ازدراؤك من علماء دهرك من عنده المخرج مما أشكل عليك ، وتهمتك من يلزمك الاقتباس منه . **وصف أعرابي** خيلا فقال : سامية العيون ، لاحقة البطون ، مصغية الآذان ، أفتاء الأسنان ، ضخام الركبات ، مشرفات الحجبات ، رحاب المناخر ، صلاب الحوافر ، وقعها تحليل ، ورفعها تعليل ، إن طلبت نالت ، وإن طلبت فاتت . شاعر : الطويل كأنك لم تشهد إذا كنت غائبا . . . ولم تك يوما غائبا حين تشهد **وصف أعرابي** قوما فقال : كأن خدودهم ورق المصاحف ، وكأن أعناقهم أباريق الفضة ، وكأن حواجبهم الأهلة .". (٢)

٢٢-"""""""" صفحة رقم ١٧٦ """""""

قال يزيد بن كثير العنبري : طرحنا الحشمة فيما بيننا وبين حفظتنا طرح من لا يؤمن أنهم معه يعلمون ما يقول ويفعل . **وصف أعرابي** رجلا فقال : كان قصير الشبر ، صغير القدر ، ضيق النفس والصدر ، لئيم النجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر . قال ابن عباس : ما رأيت رجلا أوليته خيرا إلا أضاء ما بيني وبينه ، ولا رأيت رجلا فرط مني إليه سوء إلا أظلم ما بيني وبينه . قال المدائني : أتي الوليد بن عبد الملك برجل من عبس ، فسأل عن حاله وذهاب عينه فقال : ما كان في الأرض يا أمير المؤمنين عبسي أكثر مالا مني وولدا ، فأتى السيل ليلا فلم يبق لي مالا ولا أهلا ولا ولدا إلا بنيا صغيرا وبعيرا ، فحملت الصبي ، وند البعير فوضعت الصبي وتبعته فنفحني برجله ففقأ عيني ، فجرعت إلى ابني فإذا الذئب يلغ في دمه ، فقال الوليد : اذهبوا به إلى عروة بن الزبير ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه . قيل لأبي ذر : تحب أن تحشر في مسلاخ أبي بكر ؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : لأني من أمري على ثقة ، ومن أمري غيري على شك . هذا جواب مستجفى .". (٣)

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٥٠/٥

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٦٢/٥

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٧٦/٥

٢٣-"""""""" صفحة رقم ١٦ """""""

سئل أعرابي عن ابن أخيه فقال : سكير لا يفيق ، يتهم الصديق ويعصي الشفيق . قيل لأعرابي : في خلافة من ولدت ؟ قال : في خلافة يوسف بن عمر ، أو كسرى بن هرمز ، وأعوذ بالله أن أقول على الله إلا حقا . قال أعرابي : الدراهم مواسم ، تسم جميلا أو دميما ، فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له . **وصف أعرابي** مملوكا له فقال : الرجز يزعزع الدلو . . . وما يزعزعه يكفيه من جم . . . ع البنان إصبعه تكاد آذان . . . الدلاء تتبعه كاتب : كرم الوزير ورغبته في المعروف يطلقان الألسن بالمسألة ، ويقربان الطالب من البغية ، وعوائد إحسانه وترادف امتنانه يضمنان النجح ويؤكدان الثقة . كان الشعبي يجلس إلى خياط ، فقال له يوما : إذا حدثت فلا". (١)

٢٤-"""""""" صفحة رقم ١٥٤ """""""

إذا أخذت بحبل من حبائله . . . دانت لك الأرض أدناها وأقصاها ما هبت الريح إلا هب نائله . . . ولا ارتقى غاية إلا تخطاها قيل لزياد النميري : ما منتهى الخوف ؟ قال : إجلال الله تعالى عن مقام السؤال ؛ قيل : فما منتهى الرجاء ؟ قال : تأميل الله تعالى على كل حال . **وصف أعرابي** قوما فقال : يقتحمون الحرب حتى كأنما يلقونها بأنفس أعدائهم . دخل الأوزاعي على المهدي فوعظه وذكره ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى أعطاك فضل الدنيا وكفاك طلبها ، فاطلب فضيلة الآخرة فقد فرغك لها ؛ فاستحسن قوله . قال يزيد بن المهلب : دخلت الحمام مع سليمان بن عبد الملك ومعنا عمر بن عبد العزيز ، فقال لي عمر : إني محدثك حديثين : أحدهما سر والآخر علانية ؛ أما العلانية فإن هذا سيوليك العراق ، فاتق الله ، وأما السر فإني كنت فيمن دلى الوليد بن عبد الملك في حفرته ، فلما صار في أيدينا اضطراب في أكفانه فقال ابنه : عاش أبي ورب الكعبة ، فقلت : كلا ، ولكن عوجل أبوك ورب الكعبة .". (٢)

٢٥-"""""""" صفحة رقم ١٦٧ """""""

فيستمع القرآن ؛ فتصدقت باثني عشر ألف درهم . قيل لداود بن رشيد : لم كره الناس أن يدخلوا بنسائهم في شوال ؟ قال : مات فيه بالطاعون الجارف تسع عشرة ألف عروس . **وصف أعرابي** مطرا فقال : السماء واكفة والأرض راشفة . لما عزم نوبخت على الإسلام كتب رقعتين ، إحداهما ' الدين والإسلام ومحمد وآله ' وكتب في أخرى ' المجوسية ومحبة الشمس ' ودعا برجل من المسلمين فقال : ادفنهما حيث شئت ، فدفنهما وخرج ، ودخل نوبخت فأخذ الارتفاع ، فوجد السعود كلها في ناحية المشرق فقال : الحق في المشرق ، وأخرج الرقعة فإذا رقعة ' الإسلام ومحمد وآله ' وكان ذلك سبب تشيعه . قال ابن جدار المصري : قال لي أبو العميثل شاعر بني طاهر النعمان اسم من أسماء الدم ، ولم يعن شقائق النعمان بن

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٦/٦

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٥٤/٧

المنذر ؛ قال أبو". [1]

٢٦-"""""""" صفحة رقم ٢٠٢ """""""

مقلب للسانه بالملق ، يتأبس بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند النعمة ، مفقود عند الشدة ، قد أنس بالمسألة ، وضري بالرد ، فلا تعق عقلك باختياره ، ولاتوحش النعمة بإذلالها به ، والسلام . قيل لمجنون كان بالبصرة : عد لنا مجانين البصرة ، قال : كلفتموني شططا ، أنا على عد عقلائهم أقدر . قيل لأعرابي : لم يقال أباعك الله في الأعراب ؟ قال : لأنا نجيع كبده ، ونعري جلده ، ونطيل كده . **وصف أعرابي** رجلا فقال : كان إذا تكلم أفاد ، وإذا سئل جاد ، وإذا ابتدأ أعاد . شاعر : الرجز يا إبلي روحي إلى الأضياف . . . إن لم يكن فيك صبوح كاف فأبشري بالقدر والأثافي . . . وغارف ومغرف غراف". [2]

٢٧-"""""""" صفحة رقم ٥٨ """""""

قيل لصوفي : ما مثال الدنيا ؟ قال : هي أقل من أن يكون لها مثل . يقال : حفشت الأدوية إذا سالت كلها ، وحفشت المرأة على زوجها إذا أقامت عليه ولزمته ، والحفش أيضا : البيت القريب السمك من الأرض . وقال : الأسلوب : السطر من الشجر . هذا كله قاله المفجع . وأنشد : الوافر أتته وهي جانحة يداها . . . جنوح الهبرقي على الفعال والفعال بكسر الفاء : نصاب الفأس ، وأما الفعال بالفتح فالكرم ، هكذا قال الناس . قيل لناسك : ما الحيلة ؟ ترك الحيلة . **وصف أعرابي** قوما فقال : كأن خدودهم ورق المصاحف ، وكأن أعناقهم أباريق الفضة ، وكأن حواجبهم الأهلة . قال أبو حازم الأعرج : الدنيا غرت أقواما فعملوا فيها بغير". [3]

٢٨-"""""""" صفحة رقم ٦٣ """""""

سأل أعرابي الحكم بن عبد المطلب فأوسعه خيرا ، فبكى الأعرابي فقال : ما يبكيك ؟ قال : إني والله أنفس بك على الأرض أن تأكلك . قال أبو بكر الصديق : أشقى الناس في الدنيا الملوك ، فتغامز القوم فقال : أما علمتم أن الملك إذا ملك قصر أجله ، ووكلت به الروعة والحزن ، وكثر في عينه قليل ما في يد غيره ، وقل في نفسه كثير ما عنده . قال إسحاق : **وصف أعرابي** رجلا فقال : كان والله مطلول المحادثة ، ينبذ الكلام إليك على أدراجه كأن في كل ركن من أركانه قلبا . مطلول : من الطل . قال الفراء في النوادر : أنشدني أبو صدقة الزهري لفلان : الكامل إني عجبت لكاعب مردونة . . . أطرافها بالحلي والحناء بيضاء تصطاد القلوب وتستبي . . . بالحسن قلب المسلم القراء قالت أزيد أنت ما لك هكذا . . .

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٦٧/٧

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٢٠٢/٧

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٥٨/٨

كالعبد مطليا بأي طلاء كالقار لونك أو طليت برامك . . . أو مس جلدك هانئ بهناء لا تعجبي مني فدى لك واسمعي . . . أخبرك ما ينأى من الأنباء أخبرك أن وضاءتي في ميعتي . . . وغرارتي في عدة ونماء". (١)

٢٩-"""""""" صفحة رقم ٩٧ """""""

وصف أعرابي رجلا فقال : كان مفزعا للأمة ، رفيع الجمة . لما هلك الحسن بن علي دفنه الحسين بن علي ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهم ، فلما حصل في حفرته دمعت عينا محمد واستعبر ثم قال : رحمك الله يا أبا محمد ، فلقد عزت حياتك وهدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ، ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك ، وكيف لا يكون كذلك وأنت سليل الهدى ، وحليف التقوى ، خامس أصحاب الكساء ، غذتك أكف الحق ، وربيت في حجر الإسلام ، ورضعت ثدي الإيمان ، طبت حيا وطبت ميتا ، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ، ولا شاكة في الخيار لك . قال يحيي بن زيد رضي الله عنهما : نحن من أمتنا بين أربعة أصناف : ظالم لنا حقنا ، وبالغ بنا فوق قدرنا ، ومعط ما يجب لنا ، وحامل علينا ذنب غيرنا . **وصف أعرابي** رجلا فقال : ذاك والله ممن ينفع سلمه ، ويتواصف حلمه ، ولا يستمرأ ظلمه . قالت أعرابية لزوجها ورأته مهموما : إن كان همك للدنيا فقد فرغ الله منها ، وإن كان همك للآخرة فزادك الله تعالى هما بها . يقال : الدنيا حمقاء لا تميل إلا إلى أشباهها .". (٢)

٣٠-"""""""" صفحة رقم ١٧٥ """""""

له رجل : وأي منفعة في أن يعلق رجل من إحدى يديه ، فقال : سبحان الله ، لا يعرق إبطه . كان أبو خزيمة المديني يقول : اللهم ارزقني ، فإن كنت لا ترزقني لكرامتي عليك فقد رزقت من هو خير مني سليمان بن داود ، وإن كنت لا ترزقني لهواني عليك فقد رزقت من هو شر مني وهو فرعون ذو الأوتاد . وشكا أبو خزيمة يوما نكبات الدهر فقال له رجل : هون فإن الله يدخر لك ثوابها ، فقال له أبو خزيمة : الآخرة خير أم الدنيا ؟ قال : بل الآخرة ، قال : فإنه ليس يعطيني من أبغضهما إليه ، يعطيني من أكرمهما عليه ؟ يقال في قوله تعالى : ' مسومين ' معلمين ، من سيماء وسيمياء ، ومن قال مسومين أراد مرسلين ، مأخوذ من الإبل السائمة المرسلة في مراعيها ، فأما الحجارة فمسومة لا غير أي معلمة . دعا أعرابي على رجل فقال : اللهم أبح ذماره ، وعجل بواره ، وباعد داره . **وصف أعرابي** رجلا فقال : قد تقمص الشحناء ، وادرع البغضاء ، وتسربل العوراء . **وصف أعرابي** آخر فقال : هو أفعوان البلاد ، وعقربان الصلاد . **وصف أعرابي** جيشا فقال : تكتب فرسانه ، وتحرب أقرانه ، واستعد شبانه .". (٣)

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٦٣/٨

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٩٧/٨

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٧٥/٨

٣١-"""""""" صفحة رقم ١٧٦ """""""

وصف أعرابي رجلا فقال : هو كالمخدر الأكال ، والذئب العسال . قال أعرابي : بالله تعالى واثق ، وبنفسي سابق ، وإلى المبادهة تائق . قال بعض السلف : العلم لا ينفد ولا يبيد ، ولا يندم حامله ، ولا يعطب من تمسك به ، ولا يفتضح من استند إليه ، ولا تسقط منفعته ، ولا يخسر جامعه . تقول العرب في صفة الأعداء : زرق العيون ، سود الأكباد ، صهب السبال . قيل لأبي المدور السعدي : لم لا تجتمع مع الناس ؟ قال : إنه لا يزال منكم عبد أحمق ، مجموم القفا ، معلم الكم ، يكنى أبا إسماعيل وأبا إبراهيم وأبا إسحاق ، يدلظني بمنكبه ، أي يدفعني . يقال : عنا يعنو إذا صار أسيرا ، وأعنيته : استأسرته . يقال : هلممت القوم أي دعوتهم . قال بعض اللغويين : الوفرة ما لم يجز الأذن ، والجمة : ما جاوزت الأذن ، واللمة : ما ألمت بالمنكب ، والذوائب والغدائر : ما لحق الكتفين . وقال العلماء : أيام الشهر ثلاثة غرر ، وثلاثة نفل ، وثلاثة". (١)

٣٢-"""""""" صفحة رقم ٤٧ """""""

قال : وقال الجاحظ في بعض كتبه وذكر العراق فقال : هي موضع التميمة ، وواسطة القلادة ، بها تلاحقت الطبائع ، وصرحت عن اللب الأصيل والخلق الجميل . **وصف أعرابي** بلدا فقال : ارتحلت عنه ربات الخدور ، وأقامت به رواحل القدور . قال الحجاج : الكوفة امرأة حسناء عاطل ، والبصرة عجوز قد أوتيت من كل شيء . قال عبد الملك للحارث بن خالد بن العاص : أي البلاد أحب إليك ؟ قال : ما حسنت فيه حالي ، وعرض فيه جاهي . قال بعض الظرفاء : الكمأة بيض الأرض . **وصف أعرابي** غيثا فقال : بكرنا وسمي خلفه ولي ، فالأرض بساط أحكم نسجه وأبدع وشيه . قال بعض من تعصب للنرجس على الورد : النرجس أشبه بالعيون من الورد ، فقال المتعصب عليه : يشبه عيون المرضى وأصحاب اليرقان ومن قد غلبت عليه المرة .". (٢)

٣٣-"""""""" صفحة رقم ٤٨ """""""

وكان المأمون يشبه الأترج بالمقفع الزمن . قال بعضهم : لعن الله المرزنجوش والزادرخت ، كأن هذا آذان الفار ، وكأن هذا كف بق . وكان بعضهم يبغض السرو ويقول : كأنه نساء عليهن حداد . ومرة كان يقول : السرو ذنب ابن عرس . وقال : قلت للصوفي يوما : لم تؤثر النرجس على غيره ولا تنتفع به في حال سوى شمه طريا ؟ فقال : النرجس روح كله ، فإذا مات لم يخلف عندنا جسما . قال أبو الحارث جمين ، ورأى سروا : كأنه دخان يخرج من كوة . **وصف أعرابي** الماء فقال : إن قلت هو متصل فبذاك يشهد انتظامه ، وإن قلت متباينا فعلى ذاك يدل انقسامه ، أوائله جاذبة لأواخره ، وأعجازه طوع صدره ، هو طبيب الأرض من سقامها ، تقذف بما تضمنت بطونها على ظهورها . وصف بعض الظرفاء الماء فقال

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٧٦/٨

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٤٧/٩

: ما ظنكم بشيء إذا أجن وصار ملحا أخرج العنبر وأثمر الجوهر .". [(١)]

٣٤-"""""""" صفحة رقم ١٤٧ """"""

الصحة ، والفاعل هو الطبيب المعالج ، والغرض الذي بسببه يفعل الطبيب إنما هو بقاء جسم المعالج المدة التي تتهيأ له أن يبقاها ، والشيء الذي يتخذه الطبيب آلة في المعالجة وإفادة الصحة هو كالفصد وسقي الأدوية . فإذا نقل هذا المثال إلى صناعة السياسة قلنا : إن المادة فيها أمور الرعية التي يتولى الملك القيام بها ، والصورة فيها إنما هي المصلحة التي ينجو نحوها وهي نظير الصحة ، لأن المصلحة هي صحة ما ، والصحة مصلحة ما ، وكذلك المفسدة سقم ما ، والسقم مفسدة ، والفاعل هو عناية الملك بما يباشره من أمور الرعية ، وغرضه فيما يفعله هو بقاء المصلحة ودوامها ، والشيء الذي يقوم له مقام الآلة في صناعته إنما هو الترغيب والترهيب : وفعل السائس الذي نظير المعالجة من الطبيب ينقسم بكليته إلى قسمين : أحدهما التعهد والآخر والاستصلاح ؛ أما التعهد فحفظ المستقيم وأمور الرعية على استقامة وانتظام من الهدوء والسكون حتى لا يزول عن الصورة الفاضلة ؛ وأما الاستصلاح فرد ما عارضه منها الفساد والاختلال إلى الصلاح والالتئام . ونظير هذا التعهد والاستصلاح في صناعة السياسة من صناعة الطب – التي هي سياسة الأجساد – حفظ الصحة وإعادة الصحة ، وكما أن الطب كله مدرج في هذين البابين ، كذلك السياسة كلها مدرجة في نظيريهما ، يعني التعهد والاستصلاح . **وصف أعرابي** نفسه بالحفظ فقال : كنت كالرملة لا يقطر عليها شيء إلا شربته .". [(٢)]

٣٥-" (وان امرأ في الناس يعطي ظلامة ... ويمنع نصف الحق منه لراضع)

(ألموت يخشى اثكل الله أمه ... أم العيش يرجو نفعه وهو ضائع)

(ويطعم ما لم يندفع في مريئه ... ويمسح أعلى بطنه وهو جائع)

(وأن العقول فاعلمن أسنة ... حداد النواحي ارهفتها المواقع)

ويقول كأن لسانه لسان ثور وحدثني من سمع أعرابيا مدح رجلا برقة اللسان فقال كان والله لسانه أرق من ورقة وألين من سرقة وقال النبي لحسان بن ثابت مابقي من لسانك فاخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال رالله ما يسرني به مقول من معد والله لو وضعته على صخر لفلقه او على شعر لحلقه قال وسمعت اعرابيا يصف لسان رجل فقال كان يشول بلسانه شولان البروق ويتخلل به تخلل الحية وأظن هذا الاعرابي أبا وجيه العكلي

ووصف أعرابي رجلا فقال أتيناه فاخرج لسانه كأنه مخراق لاعب وقال العباس بن عبد المطلب للنبي يا رسول الله فيم الجمال قال في اللسان وكان مجاشع بن درام خطيبا سليطا وكان نهشل بكيئا منزورا فلما خرجا من عند بعض الملوك عذله مجاشع في تركه الكلام فقال له نهشل اني والله لا أحسن تكذابك ولا تأثامك تشول بلسانك شولان البروق

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٤٨/٩

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٤٧/٩

وقالوا على جميع الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ثم الجن وإنما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل وبالاستطاعة على التصرف وبالمنطق

وقال خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة او بهيمة مهملة وقال رجل لخالد بن صفوان ما لي اذا رأيتكم تتذاكرون الاخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الاشعار وقع علي النوم قال لانك حمار في مسلاخ انسان وقال صاحب المنطق حد الانسان الحي الناطق المبين وقال الاعور الشني

(وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته او نقصه في التكلم)

(لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم تبق الا صورة اللحم والدم)

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذي رأى من دمامته وقصره وقلته فقال النعمان تسمع بالمعيدي لا ان تراه فقال أبيت ". (١)

٣٦-" وقال الاشعث بن سمي

(هل تعرف المبدا الى السنام ... ناط به سواحر الكلام)

(كلامهن برء ذي السقام ...)

وقال الراجز ووصف عيون الظباء بالسحر وذكرر قوسا صفراء فقال

(صفراء فرع خطموها بوتر ... لام ممر مثل حلقوم النغر)

(حدت ظبات اسهم مثل الشرر ... فصرعتهن بأكناف الحفر)

(حور العيون بابليات النظر ... يحسبها الناظر من وحش البشر)

ويروى البقر

باب آخر من الاسجاع في الكلام

قال عمر بن ذر الله المستعان على ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخلف

ولما مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال لا أعطي من يعصي الرحمن ويطيع الشيطان ويقول البهتان

وفي الحديث المأثور يقول العبد مالي مالي وانما لك من مالك ما أكلت فأفنيت او أعطيت فأمضيت او لبست فأبليت

وقال النمر بن تولب

(أعاذل ان يصبح صداي بقفرة ... بعيدا فآتى صاحبي وقريبي

(ترى ان ما أبقيت لم أك ربه ... وأن الذي أنفقت كان نصيبي)

ووصف أعرابي رجلا فقال صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر لئيم النجر عظيم الكبر كثير الفخر

---

(١) البيان والتبيين ص/١٠٢

ووصف بعض الخطباء رجلا فقال ما رأيت أضرب المثل ولا أركب لجمل ولا أصعد في قلل منه وسأل بعض الامراء رسولا قدم من جهة السند كيف رأيتم البلاد فقال ماؤها وشل ولصها بطل وتمرها دقل ان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا بها ضاعوا

وقيل لصعصعة بن معاوية من اين أقبلت قال من الفج العميق قيل فأين تريد قال البيت العتيق قيل هل من مطر قال نعم حتى عفا الاثر وانضر الشجر ودهده الحجر واستجار عون بن عبد الله بن عتبة بن ". (١)

٣٧-" أطيب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد

كلام بعض الاعراب

قال الكسائي لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف والشيء بعد الشيء أقرنه بغيره فقال تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة الى جنب كلمة منها اشبه شيء بها وأبعد شيء منها منك **ووصف أعرابي** رجلا فقال ذاك والله ممن ينفع سلمه ويتواصف حلمه ولا يستمرأ ظلمه وقال آخر لخصمه لئن هملجت الى الباطل انك لقطوف الىالحق

ورأى رقبة بن مصقلة العبدي جارية عند العطار فقال له ما تصنع هذه عندك قال أكيل لها حناء قال أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأجرك الله عليه

كلام عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس

قال محمد بن سعيد عن ابراهيم بن خويطب قال عمرو بن العاص لعبد الله ابن عباس ان هذا الامر الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول امر قاده البلاء وقد بلغ الامر بنا وبكم ما نرى وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكننا نقول ليتها لم تكن كانت فانظر فيما بقي بغير ما مضى فانك رأس هذا الامر بعد علي وانما هو امير مطاع ومأمور مطيع ومشاور مأمون وانت هو

وقال عيسى بن طلحة لعروة بن الزبير حين ابتلي برجله فقطعها يا أبا عبد الله ذهب أهونك علينا وبقي اكثرك لنا

قال ابوالحسن خطب الحجاج يوم جمعة فأطال الخطبة فقال رجل ان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فحبسه فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا انه مجنون فقال ان أقر بالجنون خليت سبيله فقيل له أقر بالجنون قال لا والله لا أزعم ابتلاني وقد عافاني

وصف الابل

قالت ام هاشم السلولية ما ذكر الناس مذكورا خيرا من الإبل أحناه على احد بخير ان حملت أثقلت وان مشت أبعدت وان نحرت أشبعت وان حلبت أروت ". (٢)

---

(١) البيان والتبيين ص/١٥٢

(٢) البيان والتبيين ص/٣٦٠

٣٨-"وذكر رجل رجلا فقال: هو من أفصح خلق الله تعالى كلاما إذا تحث، وأحسنهم استماعا إذا حدث، وأمسكهم عن الملاحاة إذا خولف، يعطي صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة، له نفس عن العوراء محصورة، وعلى المعالي مقصورة، كالذهب الإبريز الذي لا يتغير كل زمان، والشمس المنيرة التي لا تخفي بكل مكان، هو النجم المضيء للحيران، والبارد العذب للعطشان.

وقال رجل للرشيد عام حج: قد أصبح المختلفون مجتمعين على تقريظك ومدحك، حتى أن العدو يقول اضطرارا ما يقوله المولى اختيارا، والبعيد يثق من إنعامك عاما بما يثق به القريب خاصا.

ابن قيس الرقيات: من البسيط

لولا الإله ولولا مصعب لكم ... بالطف قد ضاعت الأحساب والذمم

أنت الذي جئتنا والدين مختلس ... والحر معتبد والمال مقتسم

ففرج الله غماها وأنقذنا ... بسيف أروع في عرنينه شمم

من هبرزي قريش يستضاء به ... مبارك صرحت عن وجهه الظلم

قيل للخنساء: ما مدحت أخاك حين هجوت أباك، فقالت: من الكامل المرفل

جارى أباه فأقبلا وهما ... يتعاوران ملاءة الحضر

حتى إذا نزت القلوب وقد ... لزت هناك العذر بالعذر

وعلا هتاف الناس أيهما ... قال المجيب هناك لا أدري

برزت صحيفة وجه والده ... ومضى على غلوائه يجري

أولى وأولى أن يساويه ... لولا جلال السن والكبر

وهما كأنهما وقد برزا ... صقران قد حطا إلى وكر

وقولها: لولا جلال السن والكبر، من قول زهير: من الوافر

ويقدمه إذا اختلفت عليها ... تمام السن منه والذكاء

وزهير أول من نهج سبيل هذا المعنى، وقد تقدمت له الأبيات القافية، وقوله أيضا: من البسيط

دون السماء وفوق الأرض قدرهما ... عند الذنابي فلا فوت ولا درك

وتبعه الشعراء: قال عباد بن شبل: من الطويل

إذا اخترت من قوم خيار خيارهم ... فكل بني عبد المدان خيار

جروا بعنان واحد فضل بينهم ... بأن قيل قد فات العذار عذار

وقال البحتري: من الكامل

وإذا جرى من غاية وجريت من ... أخرى التقى شأواكما في المنصف

وقال أيضا: من الكامل

وإذا رأيت شمائل ابني صاعد ... أدت إليك شمائل ابني مخلد

كالفرقدين إذا تأمل ناظر ... لم يعد موقع فرقد من فرقد

كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين يسأله عن استقلال ابنه عبد الله، فكتب إليه طاهر: عبد الله يا أمير المؤمنين، ابني إن مدحته ذممته، وإن ذممته ظلمته، ولنعم الخلف هو لأمير المؤمنين من عبده.

فكتب إليه المأمون: ما رضيت أن قرظته في حياتك، حتى وصيتنا به بعد وفاتك.

وصف أعرابي رجلا فقال: يشرق بعزم لا يدجو معه خطب، ويومض بصواب لا يلبس عنده صعب، حتى يغادر المتسعجم معجما، والمشكل مشكولا.

قال هشام بن عبد الملك لشبه بن عقال، وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذ أمير: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأغاروا بين عشائرهم في غير خير ولا بر ولا نفع، أيهم أشعر؟ قال: شبة: أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد المدح وصفة الخمر، فقال هشام: ما فسرت لنا شيئا نحصله، فقال: ما عندي غير ما قلت. فقال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا ابن الأهتم، قال: ما أعظمهم فخرا، وأبعدهم ذكرا، وأحسنهم عذرا، وأشردهم مثلا، وأقلهم غزلا، وأحلاهم عللا، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر، الذي إذا هدر قال: وإذا خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق، وأما أحسنهم نعتا، وأمدحهم بيتا، وأقلهم فوتا، الذي إذا هجا وضع، وإذا مدح رفع فالأخطل. وأما أغزرهم بحرا، وأرقهم شعرا، وأهتكهم لعدوه سترا، الأغر الأبلق، الذي إن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، فجرير. وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماد، واري الزناد.". (١)

٣٩-"فقال مسلمة بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين والآخرين. وأشهد أنك أحسنهم وصفا، وألينهم عطفا، وأعفهم مقالا، وأكرمهم فعالا. فقال خالد: أتم الله عليكم نعمه، وأجزل لديكم قسمه، وأنس بكم القربة، وفرج بكم الكربة. وأنت والله ما علمت أيها الأمير، كريم الغراس عالم بالناس، جواد في المحل، بسام عند البذل، حليم عند الطيش، في ذروة من قريش، ولباب عبد شمس، ويومك خير من أمسك. فضحك هشام وقال: ما رأيت كتخلصك يا ابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم، حتى أرضيتهم جميعا وسلمت عليهم.

أسلم قيس بن عاصم المنقري وعنده امرأة من بين حنيفة، فلم تسلم معه وطالبته بالفرقة ففارقها. فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيس: أما والله لقد صحبتني سارة، ولقد فارقتني غير عارة، لا صحبتك مملولة، ولا أخلاقك مذمومة، ولولا أمر الله ما فرق بيننا إلا الموت، ولكن أمر الله ورسوله أحق أن يطاع. فقالت له: أبنت عن حسبك وفضلك، وأنت والله كنت الدائم المحبة، الكثير المقة، القليل اللائمة، والمعجب الخلوة، البعيد النبوة، لتعلمن أني لا أسكن إلى زوج بعدك.

قال قتيبة لنهار بن توسعة: لست تقول فينا كما كنت تقول في ل المهلب، قال: والله إنهم كانوا أهدافا للشعر. قال: هذا والله أمدح مما قلت فيهم أول.

لما قال الكميت بن زيد الهاشميات كتمها وسترها، ثم أتى الفرزدق ابن غالب فقال له: يا أبا فراس، إنك شيخ مضر

---

(١) التذكرة الحمدونية ١/٤٣٤

وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي، قال: صدقت أنت ابن أخي فما حاجتك؟ قال: نفث على لساني فقلت شعرا وأحببت أن أعرضه عليك، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحا أمرتني بستره، وكنت أولى من ستره علي، فقال الفرزدق:أما عقلك فحسن وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت، فأنشده قوله: من الطويل

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

قال فقال لي: مما تطرب يا ابن أخي؟ فقلت:

ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

قال: بلى، فالعب يا ابن أخي فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم تلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطرفني بنان مخضب

فقال: ما يطربك يا ابن أخي، فقال:

ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب

قال: أجل فلا تتطير، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والتقى ... وخير بني حواء والخير يطلب

قال: ومن هؤلاء ويحك؟ فقال:

إلى النفر البيض الذين بحبهم ... إلى الله في ما نابني أتقرب

فقال: أرحني ويحك، من هؤلاء؟ فقال:

بني هاشم رهط النبي فإنني ... لهم وبهم أرضى مرارا وأغضب

خفضت لهم مني جناحي مودة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... مجنا على أني أذم وأقصب

وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها ... وإني لأوذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي أذع، أذع، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي.

وصف رجل رجلا فقال: كان والله سمحا سحا سهلا، بينه وبين القلب نسب، وبينه وبين الحياة سبب، إنما هو عيادة مريض، وتحفة قادم، وواسطة قلادة.

وصف أعرابي رجلا فقال: كان والله مطلول المحادثة، ينبذ إليك الكلام على أدراجه، كأن في كل ركن من أركانه قلبا يقد.

سحيم بن وثيل الرياحي: من الكامل المرفل

من دونهم إن جئتهم سحرا ... عزف القيان ومجلس غمر

لذ بأطراف الحديث إذا ... ذكر الندى وتنوزع الفخر

هضم إذا حب القتار وهم ... نصر إذا ما استبطئ النصر

جميل في عبد العزيز بن مروان: من الوافر

أبا مروان أنت فتى قريش ... وكهلهم إذا عد الكهول

توليه العشيرة ما عناها ... فلا ضيق الذراع ولا بخيل

إليك تشير أيديهم إذا ما ... رضوا أو نابهم أمر جليل

كلا يوميه بالمعروف طلق ... وكل بلائه حسن جميل

لما قام الخطيب بولاية علي بن موسى الرضي العهد قال: أيها الناس أتدرون من أصبح ولي عهدكم؟ علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: من السريع". (١)

٤٠-"إذا بركت خرت على ثفناتهامجافية صلبا كقنطرة الجسر

كأن يديها حين تجري ضفورهاطريدان والرجلان طالبتا وتر

وقال عنترة بن عبفس النميري من أبيات:

فراحت ترامى في الزمان كأنهاسحابة صيف آخر الليل أمطرا

وقال الفرزدق:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةنفي الدراهم تنقاد الصياريف

وقال آخر ويروي للقصافي، وهو عمر بن نصر التميمي: قال دعبل: إن القصافي قال الشعر ستين سنة، فلم يعرف له إلا هذا البيت:

خمص نواج إذا حث الحداة بهاحسبت أرجلها قدام أيديها

وقال الغطمش الضبي:

كأن يديها حين جد نجاؤهايدا سابح في غمرة يتبوع

وقال رؤبة:

كأن أيديهن بالقاع القرقأيدي جوار يتعاطين الورق

وقال مروان بن أبي حفصة:

يتبعن جاهلة الزمام كأنهاإحدى القناطر وهي حرف ضامر

وقال بشار:

وإذا المطي متحن في أعطافهفات المطي بكاهل وتليل

وكأنه والناعجات يردنهقدح تطلع من قداح مجيل

وقال سالم بن عمرو الخاسر:

---

(١) التذكرة الحمدونية ٤٣٥/١

وكأنهن من الكلال أهلةأو مثلهن عواطف الأقواس

قود طواها ما طوت من مهمهنابي الصوى ومناهج أدراس

وقال العتابي يصف كلالها:

إذ الركائب مخسوف نوظرهاكما تضمنت الدهن القوارير

وقال أبو نواس:

ألا حبذا عيش الوحاد وضجعةإلى جنب مقلاق الوضين سعوم

الوضين للبعير مثل الحزام للدابة. والسعوم: الواسعة الخطو.

ترامت بها الأهوال حتى كأنمانحيف من أقطارها بقدوم

وقال في سرعتها:

وتجشمت بي هول كل تنوفةهوجاء فيها جرأة إقدام

تذر المطي وراءها وكأنهاصنف تقدمهن وهي إمام

وقال الرضي:

قعدت بها الأخفاف من طول السريمحسورة ومشت بها الأعراق

وقال أبو تمام:

أتينا القادسية وهي ترنوإلي بعين شيطان رجيم

فما بلغت بنا عسفان حتىرنت بلحاظ لقمان الحكيم

وبدلها السرى بالجهل حلماوقد أديمها قد الأديم

بدت كالبدر وافى ليل سعدوآبت مثل عرجون قديم

وقال البحتري:

يترقرقن كالسراب وقد خض ... ن غمارا من السحاب الجاري

كالقسي المعطلات بل الأس ... هم مبرية بل الأوتار

وقال أيضا:

كالربى في الربى ويحسبن أحيانا نسوعا مجدولة في نسوع

وقال ابن المعتز:

ترنو بناظرة كأن حجاجهاوقب أناف بشاهق لم يحلل

وكأن مسقطها إذا ما عرستآثار مسقط ساجد متبتل

وكأن آثار النسوع بدفهامسرى الأساود في هيام أهيل

قال الأصميع: **وصف أعرابي** ناقة فقال:تقطع الأرض عرضا، وترض الحجارة رضا، وتنهض في الزمام نهضا، سريعة الوثوب،

بطيئة النكوب، مدلاج سروب.

وقال أعرابي آخر: إذا اكحالت عينها، وأللت أذنها، وسجح خدها، وهدل مشفرها، واستدارت جمجمتها، فهي الكريمة.

وقال أعرابي:

انزع بدلويك لحمر كالضربفهي صواف لونها من الرتب

كالفضة البيضاء حيصت بالذهببنات ذيال صهابي أقب

حناجر يوعبن أحرار القلبكالوحد الأحقب أو ثور العرب

أو كأديم الصرف أو عرق النجب

وصف الفيل:

قال عبد الصمد بن بابك:

وممسك البردين فيشبه النقا شية وقدا

فكأنما نسجت علي ... ه يد السحاب الجون جلدا

وإذا لوتك صفاتهأعطتك متن الدرع نقدا

فكأن معصم غادةفي ماضغيه إذا تصدى

وكأن عودا عاطلافي صفحتيه إذا تبدى

جاب المطوق قد تفر ... رد بالكرامة واستبدا

فإذا تحلل هضبةفكأن جنح الليل مدا

وإذا هوى فكأن رك ... نا من عماية قد تردى

وإذا استقل رأيت في أعطافه هزلا وجدا

أبو محمد الخازن:

من كل جهم خلتهيوم الوغى غولا تصدى

وعليه طارونيةيزها بها حرا وبردا

وكأنما خرطومهراووق خمر مد مدا

وكأنما انقلبت عصاموسى غداة بها تحدى

يكسى الحداد وتارةيكسى نسيج الدرع سردا

كفل تموج كالكثي ... ب يميله صوبا وصعدا

وكأنه يوم الوغىيكسى من الخيلاء بردا

وما وجدت للعرب شعرا في صفة الفيل إلا ما لا طائل فيه مثل قول رؤبة:

أجرد كالحصن طويل النابينمشرف اللحي صغير الفقمين

عليه أذنان كفضل البردين". (1)

٤١-"قال أبو العباس لخالد بن صفوان: يا خالد إن الناس قد أكثروا في النساء، فأي النساء أحب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين، أحبها ليسب الضرع الصغيرة ولا بالفانية الكبيرة، وحسبي من جمالها أن تكون فخمة من بعيد، مليحة من قريب، أعلاها عسيب، وأسفلها كثيب، غذي في النعيم وأصابتها حاجة، فأدبها النعيم وأذلها الفقر، لم تقرأ فتجبن، ولم تفتك فتمجن، الهلوك على زوجها الحصان من جارها. إذا خلونا كنا أهل دنيا، وإن تفرقنا كنا أهل آخرة.

ومن الجيد في وصف أخلاقهن قول يزيد بن الحكم، ويروى لابن قيس الرقيات:

إن النساء إذا ينهين عن خلقفكل ما قيل لا يفعلن مفعول

وما وعدنك من شر وفين بهوما وعدن من الخيرات تضليل

إن النساء كأشجار نبتن معافيهن مر وبعض المر مأكول

وصف أعرابي امرأة فقال: هي أرق من الهواء، وأطيب من الماء وأحسن من النعماء، وأبعد من السماء.

ومن كلام أحمد بن يوسف في صفة جارية كاتبة: كأن خطها أشكال صورتها، وكأن مدادها سواد شعرها، وقرطاسها أديم وجهها، وكأن قلمها بعض أناملها، وكأن لسانها سحر مقلتها، وكأن مبراتها سيف لحظها وكأن مقطها قلب عاشقها.

وقال إبراهيم الرقيق الكاتب المغربي:

وما أم ساجي الطرف خفاقة الحشاأطاع لها الحوذان والسلم النضر

إذا ما دعاها نصت الجيد نحوهأغن قصير الخطو في عظمه فتر

بأملح منها ناظرا أو مقلداولكن عدابي عن تقنصها الهجر

وقال أعرابي:

بيضاء في وجنتها احمراريعبنها جاراتها القصار

هن الليالي وهي النهار

أنشد أحمد بن يحيي:

إذا نطقت سمعت لها صواباوتخطئ في الفعال فما تصيب

إذا أعطيتها كفرت وألوتوإن منعت فعابسة طوب

ومنصب كالأقحوان منطقبالظلم مغلوث العوارض أشنب

كسلافة العنب العصير مزاجهعود وكافور ومسك أصهب

وقال آخر:

تجري الأراك على أغر كأنهبرد تحدر من متون غمام

---

(1) التذكرة الحمدونية ٢/١٠٨

وقال النابغة:

تجلو بقادمتي حمامة أيكةبردا أسف لثاته بالإثمد

كالأقحوان غداة غب سمائهجفت أعاليه وأسفله ند

وقال ابن الرومي:

ألا ربما سؤت الغيور وساءنيوبات كلانا من أخيه على وحر

وقبلت أفواها عذابا كأنهاينابيع خمر حصبت لؤلؤ البحر

وجمع البحتري كل ما يشبه به الثغر في بيت واحد فقال:

كأنما يضحك عن لؤلؤمنضد أو برد أو أقاح

وقال الأعشى وذكر مشيهن فأحسن وتبعه الناس:

كأن مشيها من بيت جارتهامر السحابة لا ريث ولا عجل

غراء فرعاء مصقول عوارضهاتمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل

وقال آخر:

تمشي الهوينا إذا مشت فضلامشي النزيف المخمور في صعد

تظل من زور بيت جارتهاواضعة كفها على الكبد

وقال الحارث بن حلزة وذكر العجيزة:

وتنوء تثقلها روادفهافعل الضعيف ينوء بالوسق

وهذا من المقلوب، إنما الوسق ينوء بالضعيف، قال الله عز وجل: " ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة " القصص: ٧٦.

وقال آخر:

وبيض نضيرات الوجوه كأنماتأزرن دون الأزر رملات عالج

وقال التمار وأجاد:

آخرها متعب لأولهافبعضها جائر على بعض

وقال آخر:

مجدولة الأعلى كثيب نصفهاإذا مشت أقعدها ما خلفها

وكانت عائشة بنت طلحة موصوفة بعظم العجيزة، فإذا نهضت فلا تستقل، فكانت تقول: إني لمعناة بكما.

وقال البحتري:

رددن ما خففت منه الخصور إلىما في المآزر فاستثقلن أردافا

وقال ابن الرومي:

وهبت له عيني الهجوعافأثابها منه الدموعا

ظبي كأن بخصرهمن دقة ظمأ وجوعا

وقال عمرو بن كلثوم:

وثديا مثل حق العاج رخصاحصانا من أكف اللامسينا

وقال مسلم بن الوليد:

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصباوقد فاجأتها العين والستر واقع

فغطت بأيديها ثمار نحورهاكأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع

وقال ابن الرومي:

صدور فوقهن حقاق عاجوثغر زانه حسن اتساق

يقول القائلون إذا رأوهأهذا الدر من تلك الحقاق

وقال الأصمعي: ما وصف أحد الثغر بأحسن من بيت بشر بن أبي خازم:

يفلجن الشفاه عن اقحوانجلاه غب سارية قطار

ولا وصف اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة:

وهي مكنونة تحدر عنهافي أديم الخدين ماء الشباب". (١)

٤٢-"فأنشأ يقول : وقالوا تقدم قلت لست بفاعل أخاف على فخارتي أن تحطما فلو كان لي رأسان أتلفت واحدا ولكنه رأس إذا راح أعقما ولو كان مبتاعا لدى السوق مثله فعلت ولم أحفل بأن أتقدما وقالت هند بنت النعمان بن بشير لزوجها روح بن زنباع الجذامي : عجبا منك ! كيف سودك قومك وأنت جبان غيور قال : أما الجبن فإن لي نفسا واحدة فأنا أحوطها وأما الغيرة فما أحق بها من كانت له امرأة حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فترمي به في حجره .

وقال كعب بن زهير : بخلا علينا وجبنا من عدوكم لبئست الخلتان : البخل والجبن فضائل الخيل قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الخيل : أعرفها أدفاؤها وأذنابها مذابها والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بإناث الخيل فإن بطونها كنز وظهورها حرز وأصحابها معانون عليها .

وسأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن اشتري فرسا أعده في سبيل الله .

فقال له : اشتره أدهم أو كميتا أقرح أرثم أو محجلا مطلق اليمين فإنها ميامن الخيل .

وقيل لبعض الحكماء : أي الأموال أشرف قال فرس يتبعها فرس في بطنها فرس .

صفة جياد الخيل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب من الخيل الشقر .

وقال : لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ما سبقها إلا أشقر .

وسأله رجل : أي المال خير قال : سكة مأبورة ومهرة مأمورة .

---

(١) التذكرة الحمدونية ١٢٢/٢

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الشكال في الخيل .

ووصف أعرابي فرسا فقال : إذا تركته نعس وإذا حركته طار .

وأرسل مسلم بن عمرو لابن عم له بالشام يشتري له خيلا .

فقال له : لا علم لي بالخيل .

فقال : ألست صاحب قنص قال : بلى .

قال : انظر كل شيء تستحسنه في الكلب في الفرس .

فأتى بخيل لم يكن في العرب مثلها ."، (١)

٤٣-"والآخر له دين غير مغمور وموضع مدخول بصير بتقلب الكلام وتصريف الرأي وإيحاء الأدب ووضع الكتب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب يضع آدابا نافعة وآثارا باقية من تجميل محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشيره في حربك وتدخله في أمرك فرجل أصبته كذلك فهو يأوي إلى محلتي ويرعى في خضرة جناني : ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الأمصار أقواما يكونون جيرانك وسمارك وأهل مشاورتك فيما تورد وأصحاب مناظرتك فيما تصدر .

فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدي إلى الصواب قلبك وهاديا ينطق بالحق لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخرة سنة سبعين ومائة ببغداد .

صفة جياد الخيل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب من الخيل الشقر .

وقال : لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ما سبقها إلا أشقر .

وسأله رجل : أي المال خير قال : سكة مأبورة ومهرة مأمورة .

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الشكال في الخيل .

ووصف أعرابي فرسا فقال : إذا تركته نعس وإذا حركته طار .

وأرسل مسلم بن عمرو لابن عم له بالشام يشتري له خيلا .

فقال له : لا علم لي بالخيل .

فقال : ألست صاحب قنص قال : بلى .

قال : انظر كل شيء تستحسنه في الكلب في الفرس .

فأتى بخيل لم يكن في العرب مثلها .

وقال بعض الضبيين في وصف فرس : متقاذف عبل الشوى شنج النسا سباق أندية الجياد عميثل وإذا تعلل بالسياط

---

(١) العقد الفريد ص/٨٤

جيادها أعطاك نائله ولم يتعلل سأل المهدي مطر بن دراج عن أي الخيل أفضل قال : الذي إذا استقبلته قلت نافر وإذا استدبرته قلت زاخر وإذا استعرضته قلت زافر .

قال : فأي هذه أفضل قال : الذي طرفه إمامه وسوطه عنانه .

وقال آخر : الذي إذا مشى ردى وإذا عدا دحا وإذا استقبل أقعى وإذا استدبر جبى وإذا استعر استوى .

وسأل معاوية بن أبي سفيان صعصعة بن صوحان : أي الخيل أفضل ! قال : الطويل الثلاث القصير الثلاث العريض الثلاث الصافي الثلاث .

قال : فسر لنا .". (١)

٤٤-"""""""" صفحة رقم ٣٠٧ """"""

وإن كانت حاكمة على القوة البهيمية ، منقادة للقوة الملكية ، راسخة فيها الأخلاق المرضية ، فهي النفس المطمئنة المترقية إلى جانب عالم القدس ، المتنزهة عن جانب الرجس ، الواظبة على الطاعات التي طال شوقها إلى حضرة رفيع الدرجات ، حتى خاطبها بقوله :) يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي (.

وإن لم يكن فيها شيء من الأخلاق الفاضلة ، ولا الرذائل المهلكة لها ، بل تميل إلى الخير تارة ، وإلى الشر أخرى ، وإذا صدر منها شيء لامت نفسها ، فهي النفس اللوامة التي حصلت من النور على مقدار ما تتنبه به من سنة الغفلة ، فبدأت بإصلاح حالها من جهة الربوبية والحقيقة ، وكلما أساء طبعها الأصلي تداركها نور التنبيه فأنابت واستغفرت ربها ، وأقبلت عليه ، ولهذا أقسم الله بها فقال) ولا أقسم بالنفس اللوامة (.

الخالدي :

هتف الديك بالدجى فاسقيها

خمرة تترك المقل سفيها

لست أدري من رقة وصفاء

هي في كأسها أم الكأس فيها

أتى المنصور برجل أذنب ، فأمر بقتله ، فقال : إن الله يأمرك بالعدل والإحسان ، فإن أخذت في غيري بالعدل فخذ في بالإحسان ، فأمر بإطلاقه .

قيل لبعض الحكماء : ما الشيء الذي لا يجوز أن يقال وإن كان حقا ؟ فقال : ذكرا

---

(١) العقد الفريد ص/١١٨

الرجل مآثره .
شكا يزيد بن أسيد إلى المنصور ما أصابه من العباس أخي المنصور فقال له المنصور : اجمع إحساني إليك مع إساءة أخي فإنهما يتعادلان ، فقال يزيد : إذا كان إحسانكم إلينا جزاء لإساءتكم ، كانت الطاعة منا لكم تفضلا .
وصف أعرابي امرأة فقال : هي أرق من الهواء ، وأحسن من النعماء ، تكاد العيون تأكلها ، والقلوب تشربها ، فكأنما خاصمت الولدان فهربت من رضوان .
قال إسكندر لابنه : يابن الحجامة ، فقال : أما هي فقد أحسنت الاختيار ، وأما أنت فلا .
قال الأطباء : كل حيوان إذا خصى زال صنانه ، كالتيس ونحوه ، إلا الإنسان فإنه يزداد نتنا وصنانا .
قال الفرزدق : ربما أتت علي ساعة كان قلع ضرسي أهون علي من أن أقول بيتا .". (١)

٤٥-"""""""" صفحة رقم ٨٧٦ """""""
على أن حاركه مشرف . . . وظهر القطاة ولم يحدب
ع وقبله :
أمر ونحى من صلبه . . . كتنحية القتب المجلب
كأن تماثيل أرساغه . . . رقاب وعول على مشرب
نحى : حرف ، يقول في عظامه قنى : أي تحنيب ، وهو يستحب في المحال والذراع أنشد الأصمعي :
أقنى المحال مجفر مجرى الضفر
وأنشد أبو علي :
يخرجن من مستطير النقع دامية . . . كأن آذانها أطراف أقلام
قال ابن عبد ربه : هذا البيت لعدي بن الرقاع .
ع هذا من حسن التشبيه ، وأول من سبق إليه عدي بن زيد في قوله :
له عنق مثل جذع السحو . . . ق والأذن مصعنة كالقلم
وقال العماني :
تخال أذنيه إذا تشوفا . . . قادمة أو قلما محرفا
وقال العتبي وصف أعرابي حربا فقال : لقيناهم فلقيتنا خيل خرجت من مستطير نقع كأن هواديها أعلام ، وآذانها أقلام ،

(١) الكشكول . موافق للمطبوع ٢/٣٠٧

وفرسانها أسود آجام . قال الخليل : يقال للأذن اللطيفة الدقيقة مصعنة : وأنشد بيت عدي بن زيد .
وأنشد أبو علي :". (١)

٤٦-"فأحضره، فأدخله إلى بعض مجالسه وقال: ابن لي بإزائه طاقا يكون شبيها بالبيت. فلم يزل يؤتى بالجص والآجر حتى بناه وجوده، ونظر إليه واستحسنه فقال للمسيب: اعطه أجره. فأعطاه خمسة دراهم فاستكثرها وقال: لا أرضى بذلك، فلم يزل حتى نقصه درهما، ففرح بذلك وابتهج كأنه أصاب مالا.
وحكي عن المنصور أنه لدغ فدعا مولى يقال له أسلم رقاء فأمره أن يرقيه فرقاه فبريء، فأمر له برغيف، فأخذ الرغيف فثقبه وصيره في عنقه وجعل يقول: رقيت مولاي فبريء فأمر لي برغيف! فبلغ المنصور ذلك فقال: لم آمرك أن تشنع علي! قال: لم أشنع إنما أخبرت بما أمرت. فأمر أن يصفع ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث صفعات.
وعن الأصمعي قال: دخل أبو بكر الهجري ذات يوم على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين أتنقض علي فمي وأنتم أهل بيت بركة؟ فلو أذنت يل لقبلت رأسك لعل الله يشد فمي. فقال المنصور: اختر ذلك أو الجائزة. فقال: يا أمير المؤمنين أهون علي من ذهاب درهم الجائزة أن لا يبقى في فمي حاكة.
ومنه مكاتبات: كتب أرسطاطاليس إلى رجل في رجل يصله بشيء فلم يفعل فكتب إليه: إن كنت أردت فلم تقدر فمعذور، وإن كنت قدرت فلم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر.
قيل: وكتب إبراهيم بن سيابة إلى رجل صديق له كثير المال يستسلفه، فكتب إليه: العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب. فكتب إليه: إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا، وإن كنت صادقا فجعلك الله معذورا.
قال: وكتب بعضهم يصف رجلا: أما بعد فإنك كتبت تسأل عن فلان فكأنك هممت أو حدثت نفسك بالقدوم عليه فلا تفعل، امتع الله بك، فإن حسن الظن به لا يقع في الوهم إلا بخذلان الله، وإن الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله، وإن الرجاء لما يده لا ينبغي إلا بعد اليأس من رحمة الله، إنه يرى الإقتار الذي نهى الله عنه هو التبذير الذي يعاقب الله عليه، والاقتصاد الذي أمر الله عز وجل به هو الإسراف الذي يعذب الله عز وجل عليه، وإن بني إسرائيل لم يستبدلوا العدس بالمن والبصل بالسلوى إلا لفضل أحلامهم وقديم علم تدارسوه من آبائهم، وإن الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهمة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين، وإن مؤاساة الرجل أخاه من الذنوب الموبقة وإفضاله عليه من إحدى الكبائر، وإن الله عز وجل لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا، كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى جل اسمه عن اتباع آثارهم، وإن الرجفة لم تأخذ أهل مدين إلا لسخاء كان فيهم، وإن الريح العقيم أهلكت عادا وثمودا لتوسع كان فيهم، وهو يخشى العقاب على الإنفاق ويرجو الثواب على الإقتار ويعد نفسه العقوق ويأمرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهور وأن يصيبه ما أصاب القرون الأولى، فأقم، رحمك الله، بمكانك

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع ٨٧٦/٢

واصبر على عسرك لعل الله أن يبدلنا خيرا منه زكاة وأقرب رحما.

ومنه فن آخر، **وصف أعرابي** رجلا فقال له: بشر مطمع ومطل موئس، فأنت منه أبدا بني اليأس والطمع، لا منع مريح ولا بذل سريح.

وقال أعرابي: أنا من فلان في أماني تهبط العصم وخلف يذكر العدم، ولست بالحريص الذي إذا وعده الكذوب أعلق نفسه لديه وأتعب راحلته إليه.

وذكر أعرابي رجلا فقال: له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس.

ويقال: سرعة اليأس أحد النجحين.

وقال بعضهم: مواعيد فلان مواعيد عرقوب، ولمع الآل، وبرق الخلب، وأماني الكمون، ونار الحباحب، وصلف تحته راعدة.

ولبعض الكتاب فصل في هذا المعنى: أما بعد فإن كثرة المواعيد من غير نجح عار على المطلوب، وقلتها عند الحاجة مكرمة من صاحبها، وقد رددتنا في حاجتنا هذه مع كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأن قد رضينا بالتعلل بها دون النجاح، كقول الأول:

لا تجعلنا ككمون بمزرعة ... إن فاته الماء أروته المواعيد". (١)

٤٧-"أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا عمر بن شبة عن أبي عاصم قال: كان الشعبي إذا تحدث بحديث نمقه وحسنه، وكان له جليس يقال له خنيس، فقال له يوما: يا أبا عمرو، اتق الله ولا تكذب. فقال له الشعبي: ما أحوجك إلى محملج شديد الفتل، لين المهز، وافر الثمرة، يؤخذ من عجب بعير إلى مغرز عنقه، فيوضع منك على مثل ذلك، فيكثر منه رقصانك لغير جذل. فقال: إي بأبي، وما هذا؟ قال: شيء لي فيه أرب، ولك فيه أدب.

أخبرنا أبو روق الهزاني قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: حدثنا على بن الجهم قال: حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي قال: أوصى مسلمة بن عبد الملك بكثر ماله لطلاب الأدب وقال: إنها بضاعة مجفو أهلها.

أخبرنا أبو بكر ابن الأنباري قال: حدثني أبي عن أحمد بن عبيد قال: قال سالم مولى مسلمة بن عبد الملك: كان مسلمة إذا دخل غلة ضياعه جعلها أثلاثا، فثلثا لنفقته، وثلثا للنوائب والحقوق، وثلثا يصرفه إلى أهل الأدب.

قال: فقلت له يوما: يا مولاي، إذا ورد مالك صرفته في ثلاث: فأما النفقة فلا بد منها، وأما النائب والحقوق فحزم وقوة، ولا أعرف الوجه فيما تصرفه إلى هؤلاء القوم. فقال: إنهم تركوا التعيش والطلب فاشتغلوا عن المكاسب بطلب العلم، فواجب على كل ذي مروءة أن يعينهم. فقلت: يا مولاي، جعلته أحب الأقسام الثلاثة إلي.

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشي عن الأصمعي قال: قيل لعرابة بن أوس: بم سدت قومك؟ فقال: والله إني لأعفو عن سفيههم، وأحلم عن جاهلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلى فهو مثلي، ومن زاد فهو أفضل، ومن قصر فأنا خير منه. فقال فيه الشماخ:

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/١٢٢

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: **وصف أعرابي** قومه فقال: كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام، خطرت بينهم السهام، بوقود الحمام، وإذا تصافحوا بالسيوف، فغرت المنايا أفواهها. فرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم، وخطب شين قد فللوا مراكبه، ويوم عماس قد كشفوا ظلمه بالصبر حتى ينجلي. إنما كانوا البحر لا ينكش غماره، ولا ينهنه تياره.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: **وصف أعرابي** قومه فقال: كانوا والله غيوث جدب، وليوث حرب، إن أعطوا أغنوا، وإن قاتلوا أبلوا، ثم قدم لهم الدهر ما أخر لغيرهم.

أخبرنا أحمد بن محمد الهزاني قال: كتب أبو العيناء إلى أبي الوليد بن أبي دواد: " مسنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا المودة والشكر، فإن تعط أكن كما قال الشاعر:

إنا الشهاب الذي يحمي ذماركم ... لا يخمد الدهر إلا ضوؤه يقد

وإن لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون " .

من كلام العرب: فضل الفعال على المقال مكرمة، وفضل المقال على الفعال منقصة.

وكان المهلب يقول: يعجبني أن أرى عقل الرجل زائدا على لسانه، وفعله زائدا على قوله.

أخبرنا الحسن بن محمد بن شعيب القاضي قال: حدثنا محمد بن زياد البكراوي قال: قال زياد: ما جلست مجلسا قط إلا تركت منه ما لو أخذته كان لي. وترك مالي أحب إلى من أخذ ما ليس لي.

أخبرنا الحسن بن محمد قال: أخبرنا البكراوي عن ابن عائشة قال: كان أبي يحمل على نفسه في قضاء الحقوق، فأقبلت عليه يوما فقلت له: يا أبت إنك تحمل على نفسك في قضاء الحقوق، والله يعذر، فلو أنك أبقيت بعض الإبقاء فأصغي لكلامي حتى ظننت أنه قد عمل فيه. ثم أقبل علي فقال منشدا:

أرى راحة للحق عند قضائه ... ويثقل يوما إن تركت على عمد

أخبرنا محمد بن يحيي قال: حدثنا أبو العيناء قال: رأيت ابن عائشة نصف النهار في يوم شديد الحر راكبا على حمار، وبين يديه غلامان يعدوان، فقلت له: أفي هذا الوقت: فقال: نعم.

حقوق لإخوان أريد قضاءها ... كأني ما لم أقضهن مريض

أنشدنا محمد بن يحيي قال: أنشدنا محمد بن يزيد المبرد:". (١)

٤٨-"وإذا ما أضعت نفسك ألفي ... ت كبيرا في زمرة الغوغاء

ليس عطف القضيب إن كان رط ... با وإذا كان يابسا بسواء

---

(١) المصون في الأدب ص/٣٠

قال لقمان : ضرب الوالد للولد كالسماد للزرع.

قال بعض الحكماء: لا أدب إلا بعقل، ولا عقل إلا بأدب.

كان يقال: التجربة علم، والأدب عون، وتركه مضرة بالعقل.

كان يقال: العون لمن لا عون له الأدب.

قال الأحنف: الأدب نور العقل، كما أن النار في الظلمة نورالبصر.

قال الأصمعي: ما مطية أبلغ دركا وهي وادعة من الأدب.

قال بزرجمهر: أرفع منازل الشرف لأهله العلم والأدب.

وقيل: من قعد به حسبه نهض به أدبه.

وقال ابن أبي دؤاد لرجل تخطى أعناق الرجال إليه: إن الأدب المترادف خير من النسب المتلاحف.

كان يقال: الأدب من الآباء، والصلاح من الله.

كان يقال: من أدب ابنه صغيرا قرت به عينه كبيرا.

وقال الحجاج لابن القرية: ما الأدب؟ قال: تجرع الغصة حتى تمكن الفرصة.

ووصف أعرابي الأدب في مجلس معمر بن سليمان، فقال: الأدب أدب الدين، وهو داعية إلى التوفيق، وسبب إلى السعادة وزاد من التقوى، وهو أن تعلم شرائع الإسلام، وأداء الفرائض، وأن تأخذ لنفسك بحظها من النافلة، وتزيد ذلك بصحة النية، وإخلاص النفس، وحب الخير، منافسا فيه، مبغضا للشر نازعا عنه، ويكون طلبك للخير، رغبة في ثوابه، ومجانبتك للشر رهبة من عقابه، فتفوز بالثواب، وتسلم من العقاب، ذلك إذا اعتزلت ركوب الموبقات، وآثرت الحسنات المنجيات.

وقال أعرابي: الأديب من اعتصم بعز الأدب من ذلة الجهل، ولم يتورط في هفوة، وكان أدبه زلفى إلى الحظوة في دنياه وأخراه.

قال منصور الفقيه:

ليس الأديب أخا الروا ... ية للنوادر والغريب

ولشعر شيخ المحدثين ... أبي نواس أو حبيب

بل ذو التفضل والمرو ... ءة والعفاف هو الأديب

كان يقال: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه.

الحطيئة:

إذا نكبات الدهر لم تعظ الفتى ... عن الجهل يوما لم تعظه أنامله

ومن لم يؤدبه أبوه وأمه ... تؤدبه روعات الردى وزلازله

فدع عنك ما لا تستطيع ولا تطع ... هواك ولا يذهب بحقك باطله

وقال آخر:

من لم يؤدبه والداه ... أدبه الليل والنهار

وقال محمد بن جعفر: الأدب رياسة، والحزم كياسة، والغضب نار، والصخب عار.
قال ابن القرية: تأدبوا فإن كنتم ملوكا سدتم، وإن كنتم أوساطا رفعتم، وإن كنتم فقراء استغنيتم.
قال شبيب بن شبية: اطلبوا الأدب فإنه عون على المروءة، وزيادة في العقل، وصاحب في الغربة، وحلية في المجالس.
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا " ، قال: أدبوهم وعلموهم.
قال الشاعر:
يقوم من ميل الغلام المؤدب ... ولا ينفع التأديب والرأس أشيب
وقال آخر:
إن الحداثة لا تقص ... ر بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تزكى عقله ... فيفوق أكبر منه سنا
وقال آخر:
رأيت الفهم لم يكن انتهابا ... ولم يقسم على مر السنين
ولوأن السنين تقاسمته ... حوى الآباء أنصبة البنين
قال مصعب بن عبد الله الزبيري: قال لي رجل من أهل الأدب فارسي النسب: إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة، ولم يقصروا عن مكرمة: الشجاع حيث كان، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه، والعالم فبالناس حاجة إلعلمه، والحلواللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه، فإن لم تعط رباطة الجأش، وجرأة الصدر، فلا يفوتنك العلم وقراءة الكتب، فإن بها أدبا وعلما قد قيدته لك العلماء قبلك، تزداد بها في أدبك وعلمك.
قال سابق البربري:
قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولن تلين إذا قومتها الخشب
قيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.". (١)

٤٩-"قال غيره : اغتنم من الخير ما عجلت ، ومن الهوى ما سوفت.
كان يقال : إذا غلب عليك عقلك فهو لك ، وإن غلب عليك هواك فهو لعدوك.
قال عمر لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيه رادا لهواه.
قال أعرابي : ما أشد جولة الرأي عند الهوى ، وأشد فطام النفس عند الصبر.
قال نفطويه :

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٩

إن المرائي لا تريد ... ك خدوش وجهك في صداها

وكذلك نفسك لا تريد ... ك عيوب نفسك في هواها

وعن نفطويه ، قال : تضيف صديق لي من أهل الأدب إلى إمرأة من أهل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت : أيها الرجل مالك حظ في غيرة الرجال على الحرم ، فيكون ذلك زاجرا لك عن التعرض لحرم غيرك ، إن لم يكن لك ناه من دين ؟ أما علمت أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عود نفسه الرفث والخنا كان كمن اتخذ المزابل مجلسا ، وقلما مجن رجل إلا هلك.

قال الشاعر :

الحب زور والهوى باطل ... والقلب ما أجريته يجري

وترك ما تهوى يسير إذا ... أعملت فيه سعة الصدر

وقال منصور النمري :

وإن امرءا أودى الغرام بلبه ... لعريان من ثوب الفلاح سليب

قال آخر :

عين المحب كليلة ... عن عيب كل فتى يود

قال عمر بن أبي ربيعة :

حسن في كل عين من تود

وقال روح أبو همام :

وعين السخط تبصر كل عيب ... وعين أخي الرضا عن ذاك تعمى

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

قال أبو العتاهية :

والمرء يعمى عمن يحب فإن ... أقصر عن بعض ما به أبصر

باب معنى عشق النساء والهوى فيهن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما رأيت من ناقصات عقل ودين ، أسلب لعقول ذوي الألباب منكن " .

سئل بعض الحكماء عن العشق ، فقال : شغل قلب فارغ.

وجد في صحيفة لبعض أهل الهند : العشق ارتياح جعل في الروح ، وهو معنى تنتجه النجوم بمطارح شعاعها ، وتتولد الطوالع بوصلة أشكالها ، وتقبله النفوس بلطيف خواطرها ، وهو بعد جلاء للقلوب ، وصقيل للأذهان ما لم يفرط ، فإن أفرط عاد سقما قاتلا ، ومرضا منهكا ، لا تنفد فيه الآراء ، ولا تنجع فيه الحيل ، العلاج منه زيادة فيه.

حضر عند المأمون يوما يحيى بن أكثم ، وثمامة بن أشرس ، فقال المأمون ليحيى : خبرني عن حد العشق فقال : يا أمير المؤمنين سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقا. فقال ثمامة : اسكت يا يحيى ، فإنما عليك أن تجيب في مسألة

من الفقه ، وهذه صناعتنا. فقال المأمون : أجب يا ثمامة. فقال : يا أمير المؤمنين إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة أثقبت لمحنور ساطع تستضيء به بواطن العقل فتهتز لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصور من ذلك اللمح نور حاضر بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا.

وصف أعرابي عاشقا ، فقال : كان يستر عينا قد درت مآقيها ، ويحنو على كبد قد أعيت مداويها.

ذكر رجل أيام شبابه وامرأة كان يهواها ، فقال : ذلك هوى شربته النفس أيام شبابها ، فاستخفت بالعاذلات وعتابها.

وصف بعض الحكماء الهوى الذي هو عشق للنساء ، فقال : بطن فرق ، وظهر فكثف ، وامتنع وصفه عن اللسان فهو بين السحر والجنون ، لطيف المسلك والكمون.

وقال بعض الأدباء : الهوى جليس ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب مملك ، مسالكه لطيفة ، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول وآراءها ، وأعطى عنان طاعتها ، وقاد نصرفها ،توارى الأبصار مدخله ، وغمض في القلوب مسلكه.

قال عباس بن الأحنف ،فيما أنشده إسحاق الموصلي له.

فلو كان لي قلبان عشت بواحد ... وخليت قلبا في هواك يعذب

ولكنما أحيا بقلب مروع ... فلا العيش يصفو لي الموت يقرب

تعلمت ألوان الرضا خوف سخطها ... وعلمها حبي لها كيف تغضب

ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

وللصمة القشيري :

لعمري لئن كنتم على النأى والغني ... بكم مثل مابي إنكم لصديق". (١)

٥٠-"عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة ، فأطمعته في نفسها ، فبعث يستهديها طعاما ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه :رأيت العشق يكون في القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبك لا أراه تجاوز المعدة.

قال أعرابي من فزارة : عشقت امرأة من طي ، فكانت تظهر لي مودة ، فو الله ما جرى بيني وبينها شئ من ريبة ، غير أني رأيت بياض كفها ليلة ، فوضعت كفي على كفها ، فقالت : مه! لا تفسد ما صلح ، فأرفضضت عرقا من قولها ، فما عدت لمثل ذلك.

قال بعضهم : الرجل يكتم بغض المرأة أربعين يوما ، ولا يمكنه أن يكتم حبها يوما واحدا ، والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوما ، ولا يمكنها أن تكتم بغضه يوما واحدا.

قال يوسف بن هرون :

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٧٢

دقت معاني الحب عن أذهانهم ... فتأولوها أقبح التأويل

وقال كثير :

إذا ما رادت خلة أن تستميلنا ... أبينا وقلنا الحاجبية أول

وقال حبيب :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

لعلى بن الجهم :

يا سائلي ما الهوى اسمع إلى صفتي ... الحب أعظم من وصفي ومقداري

ماء المدامع نار الشوق تحدره ... فهل سمعت بماء فاض من نار

وقال أبو العتاهية :

أذاهب الهوى جسمي ولحمي وقوتي ... فلم يبق إلا الروح والجسد النضو

رأيت الهوى حجر الغضا غير أنه ... على كل حال عند صاحبه حلو

وقال آخر :

أسر الذي بي والدموع تبوح ... وجسمي سقيم والفؤاد قريح

وبين ضلوعي لوعة لم أزل بها ... أذوب اشتياقا والفؤاد صحيح

وقال الصمة القشيري :

أما وجلال الله لو تذكرينني ... كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت : بلى والله ذكرا لو انه ... يصب على صم الصفا لتصدعا

وأكثرهم ينسون إليه في هذا الشعر قوله :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت ... مزارك من ليلي وشعبا كما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا ... وتجزع أن داعي الصبابة أسما

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثي ... على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع ... إليك ولكن خل عينيك تدمعا

ومهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون أيضا تنسب ، والأكثر أنها للصمة.

/باب في وصف النساء بالحسن والرقة وما يحمد من نعوتهن، ووصف منطقهن قال أنس بن مالك: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره في حجة الوداع، ومعه نساؤه، وكان له حاد يحدو بهن يقال له أنجشة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أنجشة رفقا! رويدا بالقوارير " . يعني أنهن ضعاف يسرع إليهن الكسر، ولا يقبلن الجبر.

ذكر أعرابي امرأة، فقال: كاد الغزال يكونها لولا ماتم فيها ونقص منه.

وصف أعرابي النساء، فقال: ظعائن في سوالفهن طول، غير قبيحات العطول، إذا مشين أسبلن الذيول، وإذا ركبن أثقلن الحمول.

كتب الحجاج بن يوسف إلى محمد أخيه، وهو أمير على اليمن: أن اخطب على ابني امرأة حسناء من بعيد، مليحة من قريب شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، أمة لبعلها. فكتب إليه: قد أصبتها لك، وهي خولة بين مسمع، على عظم ثدييها. فكتب إليه: إن المرأة لا يحسن صدرها حتى يعظم ثدياها.

قال المهلب: عليكم من بنات خراسان بمن عظمت هامتها، وطالت قامتها.

قال محمد بن حسين: عليكم بذوات الأعجاز فإنهن أنجب.

كان يقال: إذا طال ساعد المرأة وعنقها وساقها لم يشك أنها تنجب.

قيل لأعرابي: أي النساء أفضل؟ قال: الطويلة السالفة، الرقيقة الرادفة، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، التي في حجرها غلام، وفي بطنها غلام، ولها في الغلمان غلام.

وصف علي بن أبي طالب رضى الله عنه امرأة، فقال: تدفئ الضجيع، وتروى الرضيع. يعني بعظم ثدييها.

قال ابن شبرمة: سمعت محمد بن سيرين يقول: ما رأيت على رجل لباسا أزين من فصاحة، ولا رأيت لباسا على امرأة أزين من شحم.

كان يقال: لو قيل للشحم أين تذهب؟ لقال: أقوم العوج.". (١)

٥١-"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

المعارف

إنما ينطبق عليهم في الجاهلية، أما في الإسلام فقد عرفوا الصناعات ونهضوا في الميادين العلمية والفلسفية نهضة كانوا فيها أساتذة العالم في عصوره الوسيطة ويقول أوليري: إن العربي مادي، ضيق الخيال والعواطف١، وكأنه يتجاهل أدبهم وما يزخر به من أخيلة ومشاعر، وهو تعميم جنسي لا دليل عليه، وكأنما قادته إليه نظرية الأجناس البشرية وما يدعو إليه أصحابها من تفوق الجنس الآري على ما سواه من أجناس.

وندع هذه المقارنات المضللة وما سقط منها من أحكام خاطئة إلى بيان ما كان لدى العرب في الجاهلية من معارف، لعل أهمها علمهم بالأنساب والأيام وما ينطوي في ذلك من المناقب والمثالب، مما سجله العباسيون في مجلدات ضخمة. وكأنهم رأوا في ذلك كله تاريخهم، فكانوا يروونه ويحفظونه أبناءهم، واشتهر عندهم كثيرون في هذا الباب من أبواب الرواية.

ويلي هذا النوع من المعارف معرفتهم بالنجوم ومطالعها وأنوائها أو أمطارها، يقول الجاحظ: "وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء لأن من كان بالصحاصح الأماليس٢ -حيث لا أمارة ولا هادي مع حاجته إلى بعد الشقة- مضطر إلى التماس ما ينجيه

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٧٤

ويؤديه٣، ولحاجته إلى الغيث وفراره من الجدب وضنه بالحياة اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث، ولأنه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كوكب ويرى التعاقب بينها والنجوم الثوابت فيها وما يسير منها مجتمعا وما يسير منها فاردا٤، وما يكون منها راجعا ومستقيما. وسئلت أعرابية فقيل لها: أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله أما أعرف أشباحا وقوفا علي كل ليلة. **ووصف أعرابي** لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء ونجوم الاهتداء ونجوم ساعات الليل والسعود والنحوس. فقال قائل لشيخ عبادي كان حاضرا: أما ترى هذا الأعرابي يعرف من النجوم ما لا نعرف؟ قال: من لا يعرف أجذاع٥ بيته٦ ؟!".

". (١)

٥٢-"وقال ابن حمد يس الصقلي يصف دارا بناها المنصور

أعمر بقصر الملك ناديك الذي

أضحى بمجدك بيته معمورا

قصر لو أنك قد كحلت بنوره

أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

واشتق من معنى الجنان نسيمة

فيكاد يحدث بالعظام نشورا

نسي الصبيح مع الفصيح بذكره

وسما ففاق خورنقا وسديرا

أبصرته فرأيت أبدع منظر

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي /

ثم اثنيت بناظري محسورا

فظننت أني حالم في جنة

لما رأيت الملاك فيه كبيرا

لو أنه بالإيوان قوبل حسنة

ماكان شيئا عنده مذكورا

أعيت مصانعة على الفرس الألى

لرفعوا البناء وأحكموا التدبير

ومضت على الروم الدهور ومابنوا

لملوكهم شبها له ونظير

أذكرتنا الفردوس حين رأيتنا

غرفا رفعت بناءها وقصورا

ومحصب بالدر تحسب أريتنا

غرفا رفعت بناءها وقصورا

ومحصب بالدر تحسب تربة

مسكا تضوع نشره وعبيرا

ووصف أعرابي تزوج امرأتين ماوقع له منهما فقال
تزوجت اثنتين لفرط جهلي

بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفا

أنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تضحي وتمسي

تداول بين أخبث ذئبتين

رضا هذي يهيج سخط هذي

فما أعري من إحدى السخطتين
وألقى في المعيشة كل ضر

كذاك الضر بين الضرتين

لهذي ليلة ولتلك أخرى

عتاب دائم في الليلتين

فإن أحببت أن تبقى كريما

من الخيرات مملوء اليدين

فعش عزبا فإن لم تستطعه

فضربا في عراض الجحفلين

وقال أبو تمام حبيب بون أوس الطائي في وصف الربيع
با صاحبي تقصيا نظريكما

تريا وجوزه الأرض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد زانه

زهر الربا فكأنما هو مقصر

دنيا معاش للورى حتى إذا

حل اتلربيع فإنما تهي منظر

أضحت تصوغ بطونها لظهورها". (١)

٥٣-"إذا اعتاص القريض عليك فامدح ... أمير المؤمنين تجد مقالا
كريم ما تزال به ركاب ... وضعن قصائدا وحملن مالا
أنشدني إبراهيم بن محمد البكري لمحمد بن جراح البكري:
إنا لنبني على أسسته لنا ... آباؤنا الغر من مجد ومن كرم
إني وإن كان قومي في الورى علما ... فإنني علم في ذلك العلم
لا يرفع الضيف رأسا في منازلنا ... إلا إلى ضاحك ومبتسم
وقال إبراهيم بن هلال الصابي في اصطرلاب أهداها إلى الأمير أبي جعفر صاحب سجستان:
أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا ... في مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... علو قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالأرض مهداة إليك فقد ... أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه
وقال أبو علي الزوزني في ابن العتبي:
عيد المكارم والعلى بك عادا ... يا سيدا سنن الكرام أعادا
بالعيد لا يعتد بل بك من غدا ... أيامه بك كلها أعيادا
وقال ابن مطران الشاشي:
إذا أبو قاسم جادت لنا يده ... لم يحمد الأغزران البحر والمطر
وإن أضاء لنا نور بغرته ... تضاءل النيران الشمس والقمر

---

(١) جواهر الأدب ٤٧٥/١

وإن بدا رأيه أو حد عزمته ... تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يكن حذرا من حد صولته ... لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
وقال بكر بن النطاح في أبي دلف القاسم بن عيسى:
يا طالبا للكيمياء ونفعه ... مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلا درهم ... ومدحته لأتاك ذاك الدرهم
وقال مروان بن أبي حفصة:
تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فما نحن ندري أي يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه ... وما منهما إلا أغر محجل
أنشدني أبو سهل بن الأعرابي بغزنة:
قوم إذا حل الغريب بدارهم ... تركوه رب صواهل وغوان
وإذا دعوتهم ليوم كريهة ... سدوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ... لتطلب العلات بالعيدان
حضر النبي صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميان، فقال عليه السلام لعمرو بن الأهتم: "كيف الزبرقان فيكم " ؟ فقال: مطاع في أدانيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: يا رسول الله إنه علم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني. فقال عمرو بن الأهتم: أما أنه لزمر المروءة، أحمق الوالد، لئيم الخال، قعدد النسب، ولقد صدقت في الأولى وما كذبت في الأخرى، ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أسوأ ما علمت، فقال صلى الله عليه وسلم: " إن من البيان لسحرا " .
وقال علي رضوان الله عليه: إن ابن عباس ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق.
وصف أعرابي قوما فقال: كانوا والله غيوث جدب، وليوث حرب، إن أعطوا أغنوا، وإن حاربوا أفنوا، فقدم لهم الدهر ما أخر لغيرهم، فواها لهم.
وفي الحديث: " إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب " .
دخل يحيى بن معاذ الرازي ببلخ على حمزة بن حمزة سيد العلويين بها، فقال: ما تقول فينا أهل بيت المصطفى؟ فقال: ما أقول في طينة عجنت بماء الرسالة، وسقيت بماء الوحي، هل يفوح منها إلا مسك الهدى، وعنبر التقى وبان اليقين. فلما كان من الغد ركب إليه حمزة. فقال له يحيى: إن زرتنا فبفضلك، وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائرا ومزورا.
وقال علي بن محمد الفياض للمبرد: يا أبا العباس، ما أنت إلا بستان، فقال: وأنت يا سيدي شربه.
دخل بعض العلماء على بعض الأمراء فتكلم في أنواع العلوم فأكثر وأحسن، ثم قال: لقد صدعت، فقال صاحب المنزل: بل صدعت بالحق، فقال: قد ثقلت، فقال: نعم قد تقلت المنة، فقال: لعلك تقول: أبرمت فقم، فقال، لا بل أكرمت فدم.

وفي الحديث: " إذا مدح الظالم اهتز العرش " .". (١)

٥٤-"وقد كنت عندي تحب الستر فاستتر الستر تبصر من حولي فقلت لها: غطى هواك وما ألقى على بصري وقالت: كل ما ترى حولي من الجوار أحرار إن كان ٨٧ هذا الكلام خراج عن قلب سليم قط حكي عن أحمد بن أبي عثمان الكاتب أنه صديقا لأبي الفضل عبد الغفار الأنصاري فعشق أحمد جارية لأم جعفر اسمها نعمي وهام بها فأطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الأنصاري فأعتل علة طويلة فاتصل خبره بأم جعفر وظنت أن به علة فوجهت إليه طبيبا فأنشد:

أرسلت أم جعفر لي طبيبا ... لشكائي فضل علم الطبيب

ودوائي واصل دائي لديها ... في يدي شادن غرير ربيب

خبروها بأن نعمي دوائي ... كي تداوي مريضها عن قريب

فسمعت أم جعفر الآبيات وسألت عن قصته فلما وقفت عليها وهبته الجارية وهجر أحمد عبد الغفار وقال جعلتك موضعا لسري فأفسدت علي والمفاسد المترتبة على إفشاء السر إلى الغيرة كثيره ولهذا قاال أبو العلاء المعري:

فظن بسائر الإخوان شرا ... ولا تأمن علي فؤادا

وقال الصاحب محي الدين الجزري من رسالة فواعجبا كيف لا يتفطن من لا اسمية ولا ينشق لكثرة ما أحوم حول القول فيه ولا أوفيه أن شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت إلى مهاوي الإثم الظنون ولو ابديت بعضه أخاف أن يفطن الناس وأن افضت فيه أخشى أن لا يسعه قرطاس.

ومن أحسن ما سمعه في كتمان السر قول النابغة.

وكان الإمام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو:

لا تفش سرك لا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

فإني رأيت وشاه الرجال ... لا يتركون أديما صحيحا

وكتب بهما عبد الملك بن مروان إلى الحجاج وكان قد استكتمه أمرا في كتاب كتبه ليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت أحدا سرا فأفشاه فلمته لأني كنت أضيق منه صدرا به حين استودعته أخذه الشاعر فقال:

??????????????????????????????????إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسهفصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر:

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها ... فسرك عند الناس أفشي وأضيع

وقال أبو جعفر الشطرنجي:

فلا تخبر بسرك بل أمته ... وصير من حشاك له حجابا

---

(١) حماسة الظرفاء ص/٤٣

فما أودعت مثل النفس سرا ... ولا أغلقت مثل الصدر بابا

وحكى الماوردي أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال:

ومستودعي سرا تضمنت ستره ... فأودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبي وأحسن ما شاء.

وما السر في قلبي كثا وبحفرة ... لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكنني أخفيه حتى كأنني ... من الدهر يوما ما احطت به خبرا

وقال آخر:

يا ذا الذي اودعني سره ... لاترج أن تسمعه مني

لم أجره بعد في خاطري ... كانه ما مر في اذني

وقال بشار:

لأخرجن من الدنيا وحبكم ... بين الجوانح لم يعلم يه أحد

وقال طلحة بن أبي بكر:

لا تظهرن محبة لحبيب ... فترى بعينيك منه كل عجيب

أظهرت يوما للحبيب مودتي ... فأخذت من هجرانه بنصيب

قيل أسر رجل إلى رجل حديثا لما فرغ قال: أحفظته. قال: بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الأسرار زاد ضباعا ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه. ومن كلام القاضي الفاضل وأمت الأسرار في قلبك والحد موتاها في جنبك فقبيح بك أن يرى لك سر إلا ربك. **ووصف أعرابي** قوما فقال: سيوفهم آفات الأعمار وصدورهم قبور الأسرار وما أحسن قول ابن مماتي من أبيات:

وضاق علي السجن حتى كأنني ... حللت به للضيق في صدر محنق

فياليتني كالدمع في جفن عاشق ... فأخرج أو كالسر في صدر أحمق

وقال العباس بن الأحنف.

باخ دمعي فليس يكتم سرا ... ووجدت اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طي ... فاستدلوا عليه بالعنوان

الباب الثامن

مغالطة الحبيب

واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه". (١)

---

(١) ديوان الصبابة ص/٣٧

٥٥-"""""""" صفحة رقم ٢٨٤ """""""

الأسنان ، ضخام الركبات ، مشرفات الحجبات ، رحاب المناخر ، صلاب الحوافر ، وقعها تحليل ، ورفعها تعليل ، فهذه إن طلبت سبقت ، وان طلبت لحقت . قال له معاوية : اصرفها إلى رحلك ؛ فإن بنا عنها غنى ، وبفتيانك إليها حاجة .

وقال النابغة الجعدي : الطويل :

وإنا أناس لا نعود خيلنا . . . إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا وننكر يوم الروع ألوان خيلنا . . . من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

فليس بمعروف لنا أن نردها . . . صحاحا ، ولا مستنكر أن تعقرا

وقال بعض العرب : الكامل :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها . . . بسليم أوظفه القوائم هيكل

فدعوا : نزال فكنت أول نازل . . . وعلام أركبه إذا لم أنزل ؟

ووصف أعرابي فرسا فقال : لما أرسلت الخيل جاءوا بشيطان في أشطان ، فأرسلوه ، فلمع لمع البرق ، واستهل استهلال الودق ، فكان أقربهم إليه الذي يقع عينه من بعد عليه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : عنده فرس طويل العذار ، أمين العثار ؛ فكنت إذا رأيته عليه ظننته بازيا على مربأ ، عليه رمح طويل يقصر به الآجال .

وقال بعض المحدثين في هذا التطابق : الوافر :

لقيناهم بأرماح طوال . . . تبشرهم بأعمار قصار

ووصف أعرابي خيلا لبني يربوع فقال : خرجت علينا خيل من مستطير نقع ، كأن". (١)

٥٦-"""""""" صفحة رقم ٣٦٦ """""""

كأن الأدب غريب من الأعراب ، فافتخر بما عنده منه .

وقال الطائي في فطنتهم ، يستعطف مالك بن طوق على قومه بني تغلب : الكامل :

لا رقة الحضر اللطيف غذتهم . . . وتباعدوا عن فطنة الأعراب

فإذا كشفتهم وجدت لديهم . . . كرم النفوس وقلة الآداب

ووصف أعرابي رجلا فقال : هو أطهر من الماء ، وأرق طباعا من الهواء ، وأمضى من السيل ، وأهدى من النجم .

ووصف أعرابي رجلا فقال : ذاك والله من ينفع سلمه ، ويتواصف حلمه ، ولا يستمرأ ظلمه .

وقال أعرابي : جلست إلى قوم من أهل بغداد فما رأيت أرجح من أحلامهم ، ولا أطيش من أقلامهم .

وذكر أعرابي من بني كلاب رجلا فقال : كان والله الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ، ولم أر أحدا أرتق لخلل رأي

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١/٢٨٤

، ولا أبعد مسافة روية ، ومراد طرف منه ؛ إنما كان يرمي بهمته حيث أشار إليه الكرم ، وما زال يتحسى مرارة أخلاق الإخوان ، ويسقيهم عذوبة أخلاقه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : والله لكأن القلوب والألسن ريضت له ، فما تعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بحمده .

وقال أعرابي : أقبح أعمال المقتدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

قال الأصمعي : وخطبنا أعرابي بالبادية ، فقال : أيها الناس ، إن الدنيا دار مفر ، والآخرة دار مقر ؛ فخذوا من مفركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم .

قال المعافر بن نعيم : وقفت أنا ومعبد بن طوق العنبري على مجلس لبني العنبري ، وأنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا فبدأوني فسلموا علي ؛ ثم انكفأوا على معبد ، فقبض يده عنهم ؛ وقال : لا ، ولا كرامة بدأتم بالصغير قبل الكبير ، وبالمولى قبل العربي ،". (١)

٥٧-"""""""" صفحة رقم ٣٦٧ """""""

وبالمفحم قبل الشاعر ، فأسكت القوم ، فانبرى إليه غلام ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأمي ، وبالمهاجر قبل الأعرابي ، وبراكب الراحلة قبل راكب الحمار .

ووصف أعرابي قومه فقال : ليوث حرب ، وغيوث جدب ، إن قاتلوا أبلوا ، وإن بذلوا أغنوا .

ووصف أعرابي قوما فقال : إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام ، وإذا تصافحوا بالسيوف فغر فمه الحمام .

وسئل أعرابي عن صديق له ، فقال : صفرت عياب الود بيني وبينه بعد امتلائها ، واكفهرت وجوه كانت بمائها .

وقال الأصمعي : وسمعت أعرابيا يقول : إن الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب غر من رآه ، وأخلف من رجاه ، ومن كان الليل والنهار مطيته أسرعا السير والبلوغ به : البسيط :

والمرء يفرح بالأيام يقطعها . . . وكل يوم مضى يدني من الأجل

وذكر أعرابي مصيبة نالته ، فقال : إنها ، والله ، مصيبة جعلت سود الرؤوس بيضا ، وبيض الوجوه سودا ، وهونت المصائب ، وشيبت الذوائب .

وهذا كقول عبد الله بن الزبير الأسدي : الوافر :

رمى الحدثان نسوة آل حرب . . . بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا . . . ورد وجوههن البيض سودا

وإنك لو رأيت بكاء هند . . . ورملة إذ تصكان الخدودا

بكيت بكاء معولة حزين . . . أصاب الدهر واحدها الفقيدا

ونظير هذا التطابق بين السواد والبياض ، وإن لم يكن من هذا المعنى ، قول ابن الرومي : الخفيف :

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٣٦٦/١

يا بياض المشيب سودت وجهي . . . عند بيض الوجوه سود القرون فلعمري لأخفينك جهدي . . . عن عياني وعن عيان العيون

ولعمري لأمنعنك أن تض . . . حك في رأس آسف محزون". (١)

٥٨-""""""""" صفحة رقم ١٢٥ """""""

وآراءها ، وأعطى زمام طاعتها ، وقياد مملكتها ، توارى عن الأبصار مدخله ، وغمض عن القلوب مسلكه .

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : لا متع الهوى بملكه ، ولا ملي بسلطانه ، وقبض الله يده ، وأوهن عضده ؛ فإنه جائر لا ينصف في حكم ، أعمى ما ينطق بعدل ، ولا يقصر في ظلم ، ولا يرعوي للوم ، ولا ينقاد لحق ، ولا يبقى على عقل ولا فهم ، لو ملك الهوى وأطيع لرد الأمور على أدبارها ، والدنيا على أعقابها .

ووصف أعرابي الهوى فقال : هو داء تدوى به النفوس الصحاح ، وتسيل منه الأرواح ، وهو سقم مكتتم ، وجمر مضطرم ؛ فالقلوب له منضجة ، والعيون ساكنة .

قال أبو عبيد الله بن محمد بن عمران المرزباني : أخبرني المظفر بن يحيى ، قال : أحب رجل امرأة دونه في القددر ، فعذله عمه ، فقال : يا عم ، لا تلم مجبرا على سقمه ؛ فإن المقر على نفسه مستغن عن منازعة خصمه ، وإنما يلام من اقتراف ما يقدر على تركه ، وليس أمر الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ؛ بل قدرته أغلب ، وجانبه أعز من أن تنفذ فيه حيلة حازم ، أو لطف محتال .

وقال بعضهم : رأيت امرأتين من أهل المدينة تعاتب إحدهما الأخرى على هوى لها ، فقالت : إنه يقال في الحكمة الغابرة ، والأمثال السائرة : لا تلومن من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك هدفا للتهمة ، ومن لم يكن عونا على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عقدة الرأي ، ومن أقدم على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة سلط على نفسه لسان العذل ، وضيع الحزم . فقالت المعذولة : ليس أمر الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ، وهو أغلب قدرة ، وأمنع جانبا من أن تنفذ فيه حيلة الحازم ، أو ما سمعت قول الشاعر : الخفيف :

ليس خطب الهوى بخطب يسير . . . لا ينبيك عنه مثل خبير

ليس أمر الهوى يدبر بالرأ . . . ي ولا بالقياس والتفكير

إنما الأمر في الهوى خطرات . . . محدثات الأمور بعد الأمور ؟ قال المرزباني : أخبرني الصولي أن هذه الأبيات لعلية بنت المهدي ، ولها فيها لحن". (٢)

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٣٦٧/١

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ١٢٥/٢

٥٩-"""""""" صفحة رقم ٢٣٥ """""""

فيا وجد قلبي يوم أتبعت ناظري . . . سليمى وجادت بعدها عبراتي

وقال الأحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذل المسألة لم يأنف من الرد .

وقال سفيان الثوري لأخ له : هل بلغك شيء مما تكرهه عمن لا تعرف . قال : لا ، قال : فأقلل ممن تعرف .

أخذه ابن الرومي ، فقال : الوافر :

عدوك من صديقك مستفاد . . . فأقلل ما استطعت من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه . . . يكون من الطعام أو الشراب

فدع عنك الكثير فكم كثير . . . يعاف ، وكم قليل مستطاب ؟

وما اللجج الملاح مرويات . . . ويلفى الري في النطف العذاب

باب المديح

وقال رجل لخالد القسري : والله إنك لتبذل ما جل ، وتجبر ما انفل ، وتكثر ما قل ؛ ففضلك بديع ، ورأيك جميع ، تحفظ ما شد ، وتؤلف ما ند .

وسئل أعرابي عن قومه ، فقال : يقتلون الفقر ، عند شدة القر ، وأرواح الشتاء ، وهبوب الجربياء ، بأسنمة الجزور ، ومترعات القدور ، تهش وجوههم عند طلب المعروف ، وتعبس عند لمعان السيوف .

ووصف أعرابي قوما فقال : لهم جود كرام اتسعت أحوالها ، وبأس ليوث تتبعها أشبالها ، وهمم ملوك انفسحت آمالها ، وفخر آباء شرفت أخوالها .

وقال خالد بن صفوان ، وقد دخل على بعض الولاة : قدمت فأعطيت كلا بقسطه من نظرك ومجلسك ، وصوتك ، وعدلك ، حتى كأنك من كل أحد ، وحتى كأنك لست من أحد . وذكر خالد رجلا فقال : كان والله بديع المنطق ، ذلق الجرأة ، جزل الألفاظ ، عربي اللسان ، ثابت العقدة ، رقيق الحواشي ، خفيف الشفتين ، بليل الريق ، رحب". (١)

٦٠-"""""""" صفحة رقم ٢٩٦ """""""

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : هي زينة في الحضور ، وباب من أبواب السرور ، ولذكرها في المغيب ، والبعد من الرقيب ، أشهى إلينا من كل ولد ونسيب ، وبها عرفت فضل الحور العين ، واشتقت بها إليهن يوم الدين .

عود إلى كلام الأعراب

وسئل أعرابي عن سفر أكدى فيه ، فقال : ما غنمنا إلا ما قصرنا من صلاتنا ، فأما ما أكلته منا الهواجر ، ولقيته منا الأباعر ، فأمر استخففناه ، لما أملناه .

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي لحاتم الطائي ، وقد وفد عليه في دماء حملها ، قام ببعضها وعجز عن بعض : إني حملت

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢/٢٣٥

دماء عولت فيها على مالي وآمالي ، فأما مالي فقدمته ، وكنت أكبر آمالي ، فإن تحملها فكم من حق قضيت ، وهم كفيت ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك ، ولم آيس من غدك .

وقيل لأعرابي : لم لا تضرب في البلاد ؟ فقال : يمنعني من ذلك طفل بارك ، ولص سافك ، ثم إني لست مع ذلك واثقا بنجح طلبتي ، ولا معتقدا بقضاء حاجتي ، ولا راجيا عطف قرابتي ؛ لأني أقدم على قوم أطغاهم الشيطان ، واستمالهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، وأسكرتهم حداثة الأسنان .

وخرج المهدي بعد هدأة من الليل يطوف بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ؛ وعضتهم السنون ، باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمر بخير ، كلأه الله في سفره ، وخلفه في أهله . فأمر نصرا الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

من إنشاء بديع الزمان

ومن إنشاء البديع في مقامات أبي الفتح الإسكندري : حدثني عيسى بن هشام قال : كنت ببغداد ، في وقت الأزاذ ؛ فخرجت إلى السوق أعتام من أنواعه ، لابتياعه ،". (١)

٦١-"ويروى أن المهلب نازعه رجل من كبراء بني تميم، فأربى على المهلب والمهلب ساكت، فقيل له في ذلك، فقال: كنت إذا سبني استحييت من سخف السباب وتحلية اللئام والسفلة، وكان إذا سبني تهلل وجهه وشمخت نفسه بأن ظفر بفضل الفخر ونبذ المروءة، وخلع ربقة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء! ومر المسيح عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا شرا فقال لهم خيرا، فقيل له: إنهم يقولون شرا وأنت تقول لهم خيرا! فقال: كل ينفق مما عنده. وقال أكثم بن صيفي: من حلم ساد ومن تفهم ازداد، وكفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم، ولقاء الإخوان غنم والمباشرة يمن، ومن الفساد إضاعة الزاد.

وسب رجل الشعبي بقبائح نسبها إليه، فقال الشعبي: إن كنت كاذبا فغفر الله لك، وإن كنت صادقا فغفر الله لي! وقال رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: لأسبنك سبا يدخل معك في قبرك! فقال أبو بكر: معك يدخل لا معي! وقال رجل للأحنف بن قيس: إن قلت لي كلمة لتسمعن عشرة! فقال له الأحنف: لكنك لو قلت لي عشرا لم تسمع مني واحدة. وروي أن رجلا سب الأحنف وهو يماشيه في الطريق، فلما قرب من المنزل وقف الأحنف وقال: يا هذا إن كان بقي معك شيء فقله ههنا، فإني أخاف أن يسمعك فتيان الحي فيؤذوك. وسب رجل بعض الحكماء، فقال له الحكيم: لست أدخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب. وقال لقيط بن زرارة:

فقل لبني سعد فما لي وما لكم ... ترقون مني ما استطعتم وأعتق

أغركم أني بأحسن شيمة ... بصير وأني بالفواحش أخرق

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢/٢٩٦

وإن تك قد ساببتني فقهرتني ... هنيئا مريئا أنت بالفحش أحدق!

وقال رجل لأبي ذر رضي الله عنه: أنت الذي نفاك معاوية من الشام، ولو كان فيك خير ما نفاك! فقال: يا ابن أخي إن ورائي عقبة كؤودا، إن نجوت منها لم يضرني ما قلته، وإن لم أنج منها فأنا شر مما قلت! وقال لقمان لابنه: يا بني ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه. وسب رجل بعض الحكماء فأعرض عنه، فقال له: إياك أعني! فقال له الحكيم: وعنك أعرض! وفي ذلك قيل:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي أصم وأذني غير صماء

وقيل يوما للأحنف بن قيس: ما أحلمك! فقال: لست بحليم ولكني أتحالم، والله إني لأسمع الكلمة فأحم لها ثلاثا، ما يمنعني من جوابها إلا الخوف من أن أسمع ما هو شر منها! وقال الشاعر:

وليس يتم الحلم للمرء راضيا ... إذا كان عند السخط لا يتحلم

كما لا يتم الجود للمرء موسرا ... إذا كان عند العسر لا يتجشم

ويروى أن رجلا سب جعفر بن محمد رضي الله عنهما، فقال: أما ما قلت مما هو فينا فإنا نستغفر الله منه، وما قلت مما ليس فينا فإنا نكلك فيه إلى الله تعالى. وقال بعض الحكماء: احذروا الغضب، فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله تعالى. وقال أكثم بن صيفي: لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه أنه لضعيف مستذل، ولا يكون مخلصا حتى يقول الأحمق أنه لمفسد. ومن أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل

ووصف أعرابي رجلا فقال: أحلم من فرخ طائر. وقال أعرابي: إن الغضب عدو العقل، ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل. وقال صعصعة بن صوحان: الغضب مرقدة العقل، فربما أصلده وربما أربده. وقال أعرابي: إذا جاء الغضب تسلط العطب. وكان ابن عون إذا غضب على أحد قال: سبحان الله بارك الله فيك! وقال الأصمعي: دفع أزدشير إلى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال: إذا رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه إلي. فكان فيه: اسكن فلست بإله، إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا، وتصير عن قريب للدود والتراب! وهذه السيرة أول من سنها ملك تبع، أمر أن يكتب في كتاب: اسكن فلست بإله! وقال لصاحبه: إذا غضبت فاعرضه علي. فكان إذا غضب عرضه عليه، فإذا قرأه سكن غضبه. وقال معاوية: أفضل ما أعطي الرجل العقل والحلم، فإذا ذكر ذكروا وإذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر وإذا غضب كظم، وإذا قدر عفا وإذا أساء استعفى وإذا وعد أنجز.

ومن كلام الحكماء:". (١)

٦٢-"أتأمروني أن أطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه؟ والله لو كان مالي لسويت بينهم ولم أفضل بعضهم على بعض، فكيف والمال لهم وإعطاء المال في غير حقه تبذير وسرف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله تعالى في

---

(١) سراج الملوك ص/٦٨

الآخرة؟ ولن يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله تعالى شكرهم، وصير لغيره ودهم، فإن بقي معه منهم من يظهر له الود والشكر فذلك ملقى وخديعة لينال منه فإن زلت به النعل يوما فاحتاج إلى معونته ومكافأة ما سلف من ميرته فشر خليل وألأم خدين، وإياك أيها الوالي وحب المدح فإن من أحب المدح فهو كمن مدح نفسه. وإذا علم منك ذلك جعلك الناس سلما لقضاء حوائجهم منك فحينئذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لا لهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أحث التراب في وجوه المداحين. وسمع المقداد رجلا يمدح عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأخذ كفا من تراب فألقاه في وجهه. وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يمدح رجلا فقال: قطعت ظهر أخيك! لو سمعها ما أفلح بعدها. وفي الحديث خمس تأويلات: أحدها حمله على ظاهره كما فعل المقداد مع المداح لعثمان، والثاني أن يرفع شيئا من التراب فينثره بين يديه كالمتذلل أي من خلق هذا ويعود إليه لا يستحق هذا الثناء، والثالث لا تقض حاجة المداحين، والعرب تقول لمن رجع خائبا من حاجاته: رجع بكفه مملوءة ترابا، والرابع نقيض هذا قاله لي شيخنا أبا العباس الجرماني قال: معناه اقض حاجته وأعطه ما سأل فإن الذي تعطيه سيصير ترابا كأنك أعطيته ترابا، والخامس أن المعنى الدعاء لأن العرب تقول إذا دعت: بفيه الحجر وبفيه التراب أي يقول للمداحين كذلك.

ووصف أعرابي أميرا فقال: كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم فالمحسن راج والمسيء خائف. وقال عبد الله بن الزبير: لا يعبدن ابن هند، يعني معاوية، إن كانت فيه لمخارج لم أجدها في أحد بعده أبدا والله إن كنا لنعرفه وما الليث الجري على برامته بأجرأ منه فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن آوى من الأرض بأدهى منه، والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا حجر، وأشار إلى أبي قبيس، لا يتخون له عقل ولا تنقض له قوة، وقال الصنابجي: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة رضي الله عنه كتابا في مثل أذن الفأرة: أما بعد فإنه لا يقيم أمر الله تعالى في الناس إلا حصيف العقدة بعيد الغرة، لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على الجراءة ولا يخاف في الله لومة لائم.

وقال مالك رضي الله عنه: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسأله أن يكتب له كتابا في أمر، فقال: اذهب إلى منزلنا فأتنا بدواة وقرطاس، فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيئا، فذهب فلم يجد عندهم إلا أذن مزود فكتب له في تلك الأذن. لما ولى المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة، بعد أن استمحن عمله وعقله، امتحنه بمسائل فوجده فوق ما يريد، فتلقاه وجوه أهل البصرة فرأوا شابا صبيا ما بقلت لحيته، فتعجبوا ونظر بعضهم إلى بعض يقلبون الأكف ويغمزون الحواجب. فقال له بعضهم: كم سن القاضي أصلحه الله تعالى؟ قال: نحو سن عتاب بن أسيد لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فهابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله، وكان لعتاب بن أسيد إحدى وعشرون سنة لما ولي مكة شرفها الله تعالى. وكان عمر رضي الله عنه يقول: لا يصلح أن يلي أمور الناس إلا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة، شديد في غير عنف لين في غير ضعف، جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومة لائم. وقال أيضا: ينبغي أن يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصفور، ويكون فيه من الرقة والحنو والرأفة والرحمة ما يجزع من قتل عصفور بغير حق. ويروى أن الرشيد أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال له: إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه. فقال له

الرشيد: فيك ثلاث خصال: لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة، ولك حلم والحلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطأه، وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور في أمره كثر صوابه. وأما الفقيه فتضم إليك من تفقه به. فولي فما وجد فيه مطعن.

وقال أياس بن معاوية: استحضرني عمر بن هبيرة فحضرت فسألني فسكت، فلما أطلت قال: ايه! قلت:". (١)

٦٣-"أن نعم مأكولا على الخواء ... يا لك من تمر.

مد اللهاء: ضرورة وهي مقصورة تكتب بالألف، لقولهم في الجمع لهوات. وكذلك السعلى: جمع سعلاة مده ضرورة. وقد تنشد هذه الأشطار بالقصر ويقصر ما فيها من ممدود ضرورة. ويروى: واللهاء بكسر اللام جمع لها، كما يقال أضاة وأضا، ويجمع الأضا إضاء، وقيل بل هو جمع أضاة، كما يقال أكمة وإكام، وقيل مثل ذلك في اللها.

وأنشد أبو علي:

وأجرد من فحول الخيل طرف ... كأن على شواكله دهانا

وأنشد أبو علي لامرىء القيس:

عليه كسيد الردهة المتأوب

ع وصدره:

إلى أن تروحنا بلا متعتب ... عليه كسيد الردهة المتأوب

وقد تقدم إنشاده بأتم من هذا.

وأنشد أبو علي لامرىء القيس:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الفال

ع وقبله:

ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحى ... على هيكل عبل الجزارة جوال

الهيكل: الفرس الطويل، شبهه ببيت النصارى. والجزارة: قوائم الفرس وعنقه، وأصله أن جازر البعير كان يأخذ ذلك من البعير، فهي جزارته.

وأنشد أبو علي للأعشى:

قد نطعن العير في مكنون فائله ... وقد يشيط على أرماحنا البطل

ع وبعده:

هل تنتهون ولا ينهى ذوى شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

يشيط: من أشاط دمه عرضه للقتل.

---

(١) سراج الملوك ص/١١٤

وأنشد أبو علي للنابغة الجعدي:

على أن حاركه مشرف ... وظهر القطاة ولم يحدب

ع وقبله:

أمر ونحى من صلبه ... كتنحية القتب المجلب

كأن تماثيل أرساغه ... رقاب وعول على مشرب

نحى: حرف، يقول في عظامه قنى: أي تحنيب، وهو يستحب في المحال والذراع أنشد الأصمعي:

أقنى المحال مجفر مجرى الضفر

وأنشد أبو علي:

يخرجن من مستطير النقع دامية ... كأن آذانها أطراف أقلام

قال ابن عبد ربه: هذا البيت لعدي بن الرقاع.

ع هذا من حسن التشبيه، وأول من سبق إليه عدي بن زيد في قوله:

له عنق مثل جذع السحو ... ق والأذن مصعنة كالقلم

وقال العماني:

تخال أذنيه إذا تشوفا ... قادمة أو قلما محرفا

وقال العتبي وصف أعرابي حربا فقال: لقيناهم فلقيتنا خيل خرجت من مستطير نقع كأن هواديها أعلام، وآذانها أقلام، وفرسانها أسود آجام. قال الخليل: يقال للأذن اللطيفة الدقيقة مصعنة: وأنشد بيت عدي بن زيد.

وأنشد أبو علي:

لها أذن حشرة مشرة ... كإعليط مرخ إذا ما صفر

ع هو لامرىء القيس. وكذلك الأبيات التي أنشد بعده من هذه القصيدة وقد تقدمت موصولة متسقة. منها:

وسالفة كسحوق الليا ... ن أضرم فيها الغوى السعر

اللبان: قال أبو علي اللبان: النخل، وهذا قول غير مخلص ولا مقنع، واللبان يقع على النخل ما عدا العجوة، وقيل هو النخل لا يدري لونه. وقوله: أضرم فيها الغوي السعر يريد أنه احترق وتشذب، فهو أظهر لطوله وأحسن موقعا في تشبيه العنق به لقصر شعرته، كما قال أيضا

ومستفلك الذفري كأن عنانه ... ومثناته في رأس جذع مشذب

وأنشد أبو علي لرؤبة:

وأوفقت للرمى حشرات الرشق

ع وصلته:

لما تسوى في خفي المندمق

وأوفقت. وقد تقدم بأتم من هذه الصلة حيث أنشد أبو علي:

فبات والنفس من الحرص الفشق

وقوله: المندمق: هو المدخل، يقال اندمق عليه واندقم أي دخل. وقوله: وأوفقت للرمى: هو من المقلوب، إنما هو أفيقت من قولهم: أفقت السهم، إذا ألقمت فوقه الوتر، فقدم العين على الفاء.

وأنشد أبو علي:

وتلقى لئيم القوم للناس محشرا

وأنشد أبو علي لامرىء القيس:

وبهو هواء تحت صلب كأنه ... من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب

ع وقبله:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة ... وصهوة عير قائم فوق مرقب

له جؤجؤ حشر كأن لجامه ... يعالى به في رأس جذع مشذب

ومضى في صفته، ثم قال: وبهو هواء:

يدير قطاة كالمحالة أشرفت ... إلى سند مثل الغبيط المذأب". (١)

٦٤-" امتلائها بالشحم

ووصف أعرابي امرأة فقال بيضاء رعبوبة بالشحم مكروبة بالمسك مشبوبة

وهذا بخلاف الرجال فإن المطلوب فيهم الخفة وقلة اللحم لأجل قوة النهضة وسرعة الحركة في الحرب وغيره والسمن يمنع ذلك مع ما يقال إن فيه تبليدا للذهن قال بعضهم ما رأيت حبرا سمينا إلا محمد بن الحسن يعني صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه

وربما استحسن قلة اللحم في المرأة أيضا وتوصف حينئذ بالهيف

ومن ذلك ثقل الردف فهو مما يتمدح به من النساء بخلاف الرجل فإن ذلك فيه غير محمود

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن رجلا أخذ خطرا من قوم على أن يغضب معاوية بن أبي سفيان مع غلبة حلمه فعمد إلى معاوية وهو ساجد في الصلاة فوضع يده على عجيزته وقال ما أشبه هذه العجيزة بعجيزة هند يعني أم معاوية فلما سلم من صلاته التفت إلى ذلك الرجل وقال يا هذا إن أبا سفيان كان محتاجا من هند إلى ذلك وإن كان وأجد جعل لك شيئا على ذلك فخذه

---

(١) سمط اللآلي ص/٢٥٠

ومما يستحسن في المرأة طول الشعر في الرأس ودقة العظم وصغر القدم ونعومة الجسد وقلة شعر البدن في أمور أخرى يطول ذكرها ". (١)

٦٥-"خيل لأمية بن عبد الله جيء بهم إلى الحجاج

كان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وجه إلى أبي فديك فانهزم وأتي الحجاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أفخاذهم " عدة " فأمر الحجاج فكتب تحت ذلك: " للفرار " .

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشجاعة والجبن

" وقال عمر رضي الله عنه: إن الشجاعة والجبن غرائز في الرجال، تجد الرجل يقاتل كمن لا يبالي ألا يؤوب إلى أهله، وتجد الرجل يفر عن أبيه وأمه، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد " .

وقال الشاعر:

يفر الجبان عن أبيه وأمه ... ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

للحرسي في الشجاعة والجبن

حدثني أبو حاتم قال: حدثني الأصمعي قال: سمعت الحرسي يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجبا. استثرنا من مزرعة في بلاد الشأم رجلين يذريان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمس، والآخر مثل الجمل عظما، فقاتلنا الأصيفر بالمذرى لا تدنو منه دابة إلا نخس أنفهم وضربهم حتى شق علينا فقتل، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء.

حديث صاحب النقب

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدثنا أبو عمرو الصفار قال: حاصر مسلمة حصنا فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد. فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء. فجاء رجل فقال: استأذن لي على الأمير. فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أ،ا أخبركم عنه. فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا: ألا تسودوا اسمه في صحيفة " إلى الخليفة " ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال: فذاك له. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعدهم صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

كتاب كسرى أنوشروان إلى مرازبته

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال: كتب أنوشروان إلى مرازبته: عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى.

---

(١) صبح الأعشى ١٢/٢

وصف أعرابي لقوم تحاربوا

وذكر أعرابي قوما تحاربوا فقال: أقبلت الفحول تمشي مشي الوعول، فلما تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواههم .

وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال: آحتثوا كل جمالية عيرانة فما زالوا يخصفون أخفاف المطي بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المران أرشية الموت وآستقوا بهم أرواحهم.

بين رجل من العرب وقطري بن الفجاءة

حدثني عبد الحمن عن عمه عن رجل من العرب قال: انهزمنا من قطري وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حسا منكرا خلفي، فالتفت فإذا أنا بقطري فيئست من الحياة فلما عرفني قال: آشددعنانهم وأوجع خاصرتهم قطع الله يديك.

قال: ففعلت فنجوت منه.

في شجاعة شبيب

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال: لما غرق شبيب " قالت آمرأة: الغرق يا أمير المؤمنين، قال: " ذلك تقدير العزيز العليمقال: فأخرج فشق بطنه وأخرج فؤاده فإذا مثل الكوز، فجعلوا يضربون به الأرض فينزو.

وعلة الجرمي وأبو عمرو بن العلاء في يوم الكلاب

حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء قال: لما كان يوم الكلاب خرج رجل من بني تميم، أحسبه قال: سعدي، فقال: لو طلبت رجلا له فداء! قال: فخرجت أطلبه، فإذا رجل عليه مقطعة يمانية على فرس ذنوب، فقلت له: على يمينك. قال: على يساري أقصد لي. قلت: أيهم ت منك اليمن. قال: العراق مني أبعد. قلت: وتالله لا ترى أهلك العام. قال: لاو الله ولا أهلك لا أراهم. قال: فتركته ولما كان بعد أيام ونعت نعته بعد ذلك فقيل لي: هو وعلة الجرمي.

من شجاعة الأحنف بن قيس". (١)

٦٦-"وقال أيضا: رميت ظبية فلما نفذ السهم ذكرت بالطبية حبيبة لي فشددت وراء السهم حتى قبضت على قذذه.

لأعرابي يذكر مبلغ حبه لامرأة **وصف أعرابي** امرأة فقيل: ما بلغ من شدة حتك لها؟ قال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها ريح المسك.

بين الفرزدق وسليمان بن عبد الملك في كذب الشعراء أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك:

ثلاث واثنتان فهن خمس ... وسادسة تميل إلى شمام

فبتن بجانبي مصرعا ت ... وبت أفض أغلاق الختام

كأن مفالق الرمان فيه ... وجمر غضا قعدن عليه حامي

---

(١) عيون الأخبار ص/٧٣

فقال له سليمان: ويحك يا فرزدق، أحللت بنفسك العقوبة، أقررت عندي بالزنا وأنا إمام ولا بد لي من أحدك. فقال الفرزدق: بأي شيء أوجبت على ذلك؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن كتاب الله هو الذي يدرأ عني الحد. قال: وأين؟ قال: في قوله: والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فأنا قلت يا أمير المؤمنين ما لم أفعل.

لبعض الشعراء في ذلك المعنى وقول الشاعر:

وإنما الشاعر مجنون كلب ... أكثر ما يأتي على فيه الكذب

وقال الشاعر:

حسب الكذوب من البل ... ية بعض ما يحكى عليه

مهما سمعت بكذبة ... من غيره نسبت إليه

وقال بشار:

ورضيت من طول العناء بيأسه ... واليأس أيسر من عدات الكاذب

من أقوال العرب في الكذب والعرب تقول: أكذب من سائلة وهي تكذب مخافة العين على سمنها. وأكذب من مجرب لأنه يخاف أن يطلب من هنائه .

وأكذب من يلمع وهو السراب.

لابن سيرين منصور ابن سلمة الخزاعي قال: حدثنا شبيب بن شيبة أبو معمر الخطيب قال: سمعت ابن سيرين يقول: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف.

وقال في قول الله عز وجل: " لا تؤاخذني بما نسيت " لم ينس ولكنهما من معاريض الكلام.

للقيني في الصدق وقال القيني: أصدق في صغار ما يضرني لأصدق في كبار ما ينفعني.

وكان يقول: أنا رجل لا أبالي ما استقبلت به الأحرار.

لجرمي في قلة الحياء نافر رجل من جرم رجلا من الأنصار إلى رجل من قريش، فقال للجرمي: أبا الجاهلية تفاخره أم بالإسلام؟ فقال: بالإسلام؛ فقال: كيف تفاخره وهم آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلام؟ قال الجرمي: فكيف تكون قلة الحياء.

وقال آخر: إنما قويت على خصومي بأني لم أستتر قط بشيء من القبيح.

لأعرابي يذكر رجلا وذكر أعرابي رجلا فقال: لو دق وجهه بالحجارة لرضها، ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها .

لأسدي في غلبته للناس قيل لرجل من بني أسد: بأي شيء غلبت الناس؟ قال: أبهت الأحياء وأستشهد الموتى.

شعر لطريح الثقفي يذم قوما وقال طريح الثقفي يذم قوما:

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا ... شرا أذيع وإن لم يعلموا كذبوا

اثنان لا يتفقان واثنان لا يفترقان وكان يقال: اثنان لا يتفقان أبدا: القناعة والحسد، واثنان لا يفترقان أبدا: الحرص والقحة.

وقال الشاعر:

إن يبخلوا أو يغدروا ... أو يفخروا لا يحفلوا

يغدوا عليك مرجلي ... ن كأنهم لم يفعلوا

كأبي براقش كل لو ... ن لونه يتخيل

بين أبي الهول الحميري والفضل بن يحيى هجا أبو الهول الحميري الفضل بن يحيى ثم أتاه راغبا إليه؛ فقال له الفضل: ويلك بأي وجه تلقاني! قال: بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر؛ فضحك ووصله.

من أمثال العربي في الوقاح ومن أمثال العرب في الوقاح: رمتني بدائها وانسلت.

لبعض الشعراء وقال الشاعر:

أكول لأرزاق العباد إذا شتا ... صبور على سوء الثناء وقاح

الغيبة توجب الوضوء قال رجل لقوم يغتابون ويكذبون: توضؤوا فإن ما تقولون شر من الحدث.

وبلغني عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال: قلت لعبيدة: ما يوجب الوضوء؟ قال: الحدث وأذى المسلم.

لعمر بن الخطاب روى الصلت بن دينار عن عقبة عن أنس بن مالك قال: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر؛ فسألني عن أحوال الناس ثم قال: كيف يصلح أهل بلد جل أهله هذان الحيان: بكر بن وائل وبنو تميم، كذب بكر وبخل تميم.". (١)

٦٧-"وكان لشريح ابن يلعب بالكلاب، فكتب شريح إلى معلمه:

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها ... طلب الهراش مع الغواة الرجس

فإذا خلوت فعضه بملامة ... وعظته وعظك للأريب الكيس

وإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا بلغت بها ثلاثا فاحبس

واعلم بأنك ما فعلت فنفسه ... مع ما يجرعني أعز الأنفس

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب:

أيها المبتلى بحب الكلاب ... لا يحب الكلاب إلا الكلاب

لو تعريت وسطها كنت منها ... إنما فقتها بلبس الثياب

وقال آخر:

لتبك أبا أحمد قردة ... وكلب هراش وديك صدوح

وطير زجال وقمرية ... هتوف العشي وكبش نطو

من حكم لقمان بلغني عن أبي الحسن العكلي عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال: سمعت أبي يقول قال لقمان: ضرب الوالد ولده كالسماد للزرع.

---

(١) عيون الأخبار ص/١٥٢

وصية عمر لأهل الشام حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن أسامة ابن زيد عن مكحول قال: كتب عمر إلى أهل الشام: علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية. ما كانت تسميه العرب الكامل من الرجال وكانت العرب تسمي الرجل، إذا كان يكتب ويحسن الرمي ويحسن العوم وهي السباحة ويقول الشعر، الكامل.

البيان

للنبي صلى الله عليه وسلم في البيان حدثني عبدة بن عبد الله قال: حدثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من البيان سحرا " فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطب.

وقال العباس: يا رسول الله، فيم الجمال. قال: " في اللسان " .

وكان يقال: عقل الرجل مدفون تحت لسانه.

ليزيد بن المهلب وقال يزيد بن المهلب: أكره أن يكون عقل الرجل على طرف لسانه. يريد أنه لا يكون عقله إلا في الكلام.

وقال الشاعر:

كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجة وليس له لسان

وما حسن الرجال لهم بزين ... إذا لم يسعد الحسن البيان

لخالد بن صفوان وقال خالد بن صفوان لرجل: رحم الله أباك، فإنه كان يقري العين جمالا، والأذن بيانا.

شعر للنمر بن تولب وقال النمر بن تولب:

أعذني رب من حصر وعي ... ومن نفس أعالجها علاجا

ومن حاجات نفسي فاعصمني ... فإن لمضمرات النفس حاجا

وصف أعرابي رجلا يتكلم فيحسن فقال:

يضع الهناء مواضع النقب

من أمثال العرب في البلاغة ومثله قولهم: فلان يجيد الحز، ويصيب المفصل. وربما قالوا: يقل الحز.

لمعاوية في عبد الله بن عباس وقال معاوية في عبد الله بن عباس:

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف ... لعي ولم يثن اللسان على هجر

يصرف بالقول اللسان إذا انتحى ... وينظر في أعطافه نظر الصقر

ولحسان في ابن عباس وقال حسان فيه:

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بملتقطات لا ترى بينها فصلا

شفى وكفى ما في النفوس فلم يدع ... لذي إزبة في القول جدا ولا هزلا

سموت إلى العليا بغير مشقة ... فنلت فراها لا دنيا ولا وغلا

ويقال: الصمت منام والكلام يقظة .

ويقال: خير الكلام ما لم يحتج بعده إلى الكلام.

للعباس بن الحسن الطالبي ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلا فقال: ألفاظه قوالب معانيه.

أعرابي يمدح رجلا ومدح أعرابي رجلا فقال: كلامه الوبل على المحل، والعذب البارد على الظمأ.

وقال الحطيئة:

وأخذت أقطار الكلام فلم أدع ... فما يضر ولا مديحا ينفع

الحطيئة وعمرو بن عبيد". (١)

٦٨-"وقال بعضهم: إن أحب إخواني إلي، من كثرت أياديه علي.

شعر لرجل في أخ له وقال رجل في أخ له:

وكنت إذا الشدائد أرهقتني ... يقوم لها وأقعد لا أقوم

وقال آخر:

أخ طالما سرني ذكره ... فأصبحت أشجى لدى ذكره

وقد كنت أغدو إلى قصره ... فأصبحت أغدو إلى قبره

وكنت أراني غنيا به ... عن الناس لو مد في عمره

إذا جئته طالبا حاجة ... فأمري يجوز على أمره

أعرابي يصف رجلا وصف أعرابي رجلا قال: كان والله يتحسى مرار الإخوان ويسقيهم عذبه.

وقال أعرابي:

أخ لك ما تراه الدهر إلا ... على العلات بساما جوادا

سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

فأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا

مرارا لا أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

المودة بالتشاكل

لعبد الله بن عباس بلغني عن ابن عيينة أنه قال: قال ابن عباس: القرابة تقطع والمعروف يكفر، ولم ير كتقارب القلوب.

بين العرجي ورجل قال رجل للعرجي: جئتك أخطب إليك مودتك. فقال: لا حاجة بك إلى الخطبة، قد جاءتك زنا فهو ألذ وأحلى.

شعر للكميت بن معروف، وللطائي وقال الكميت بن معروف:

ما أنا بالنكس الدنئ ولا الذي ... إذا صد عنه ذو المودة يقرب

---

(١) عيون الأخبار ص/٢٠٠

ولكنه إن دام دمت وإن يكن ... له مذهب عني فلي عنه مذهب

ألا إن خير الود ود تطوعت ... به النفس لا ود أتى وهو متعب

وقال الطائي:

ذو الود وذو القربى بمنزلة ... وإخواتي أسوة عندي وإخواني

عصابة جاورت آدابهم أدبي ... فهم وإن فرقوا في الأرض جيراني

أرواحنا في مكان واحد وغدت ... أبداننا بشآم أو خراسان

شعر عبد الله بن عبد الله بن عتبة لعمر بن عبد العزيز وقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة لعمر بن عبد العزيز:

ابن لي فكن مثلي أو ابتغ صاحبا ... كمثلك إني مبتغ صاحبا مثلي

عزيز إخائي، لا ينال مودتي ... من القوم إلا مسلم كامل العقل

وما يلبث الإخوان أن يتفرقوا ... إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكل

وقال الطائي:

ولن تنظم العقد الكعاب لزينة ... كما ينظم الشمل الشتيت الشمائل

كتاب كاتب لصديق له كتب بعض الكتاب إلى صديق له: إني صادفت منك جوهر نفسي، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام، لأن النفس يتبع بعضها بعضا.

أبو الدرداء لسلمان قال: حدثني محمد بن داود قال: حدثنا يزيد بن خلف عن يعقوب بن كعب عن بقية عن صفوان بن عمرو عن شريح عن أبي عبيد قال: كتب أبو الدرداء إلى سلمان: إن تكن الدار من الدار بعيدة فإن الروح من الروح قريب، وطير السماء على إلفه من الأرض يقع.

شعر لأبي العتاهية وقال أبو العتاهية:

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ما شاه

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

وللشكل على الشكل ... مقاييس وأشباه

وفي العين غني للعي ... ن أن تنطق أفواه

للمساحقي وقال المساحقي:

يزهدني في ودك ابن مساحق ... مودتك الأرذال دون ذوي الفضل

وأن شرار الناس سادوا خيارهم ... زمانك، إن الرذل للزمن الرذل

باب المحبة

للنبي صلى الله عليه وسلم في المحبة قال: حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيد عن حبيب بن عبيد عن المقدام بن معد يكرب، وكان أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "

إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه " لمجاهد". (١)

٦٩-"مر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علي وهو في مزرعته وقد عطش، فاستسقاه فخاض له سويق لوز فسقاه إياه؛ فقال عبد الله:

شربت طبرزدا بغريض مزن ... ولكن الملاح بكم عذاب

وما " هو " بالطبرزد طاب لكن ... بمسك إنه طاب الشراب

وأنت إذا وطئت تراب أرض ... يطيب إذا مشيت به التراب

لأن نداك ينفي المحل عنها ... وتحييها أياديك الرطاب

للحسن في السويق والنساء وقال الحسن: لا تسقوا نساءكم السويق، فإن كنتم لا بد فاعلين فاحفظوهن.

للرقاشي وقال الرقاشي: السمنة للنساء غلمة وهي للرجال غفلة للنبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة لا ترد: اللبن والسواك والدهن " أبو يزيد وشرب اللبن الحار الرياشي قال: سمعت أبا يزيد يقول: رأيت رجلا كأن أسنانه الذهب لشربه اللبن حارا.

لذي الرمة الأصمعي عن ذي الرمة أنه قال: إذا قلت للرجل: أي اللبن أطيب؟ فإن قال: قارص فقل: عبد من أنت؟ وإن قال: الحليب. فقل: ابن من أنت؟.

بين قريشي وامرأة من البادية مر رجل من قريش بامرأة من العرب في بادية، فقال، هل من لبن يباع؟ فقالت: إنك لئيم أو قريب عهد بقوم لئام.

وكان يقال: اللبن أحد اللحمين.

لبعض المدنيين وقال بعض المدنيين: من تصبح بسبع موزات وبقدح من لبن إبل أوارك تجشأ بخور الكعبة.

بين معاوية وامرأة وقف معاوية على امرأة فقال: هل من قرى؟ فقالت: نعم. قال: وما هو؟ قالت: خبز خمير ولبن فطير وماء نمير.

والعرب تقول: " إن الرثيئة تفثأ الغضب " . والرثيئة: اللبن الحامض يحلب عليه الحليب، وهو أطيب اللبن.

شعر لبعض الأعراب في اللبن قال بعض الأعراب:

وإذا خشيت على الفؤاد لجاجة ... فاضرب عليه بجرعة من رائب

في طبخ اللبن باللحم وعن مطر الوراق: أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله تعالى الضعف، أوحى الله إليه: أن أطبخ اللبن باللحم، فإن القوة فيهما.

أعرابي يصف خصب البادية **وصف أعرابي** البادية فقل: كنت أشرب رثيئة تجرها الشفتان جرا، وقارصا إذا تجشأت جدع أنفي، ورأيت الكمأة تدوسها الإبل بمناسمها، وخلاصة يشمها الكلب فيعطس.

---

(١) عيون الأخبار ص/٢٨٢

في ترويب اللبن وتقول الأطباء: إن اللبن إذ سخن بالنار وسيط بعودمن عيدان شجر التين راب من ساعته.
وقالوا: وإن أراد صاحبه ألا يروب وإن كان فيه روبة جعل فيه شيئا من الحبق، وهو الفوذنج النهري،فإنه يبقى كهيئته.
أخبار من أخبار العرب في مآكلهم ومشاربهم
للمعلى الربعي المعلى الربعي قال: مكثت ثلاثا لا أذوق طعاماوأشرب فيهن شرابا، فدعوت الله تعالى، وإذا دعا العبد الله بقلب صادق كانت معه من الله عين بصيرة، فدفعت إلى ذئبين في جفر، فرميتهما فقتلتهما، ثم أتيت جفرا فيه ماء فاستقيت، ثم أتيتهما وإذا هما علمهيديتيهما، وإذا لهما نحفة – يعني شبه الزفير – فاشتويت واحتذيت واذهنت.
بين ابن قرفة وصياد أعرابي قال ابن قرفة " شيخ من سليم " : أضافني رجل من الأعراب فجاءني بقدر جماع ضخمة ليس فيها شيء من طعام إلا قطع لحم، فإذا بضعة تنمات في فمي، وبضعة كأنها بضع ساق، وبضعة كأنها شحم زخم؛ فقلت: ما هذا؟ فقال: إني رجل صياد، جمعت بين ذئب وظبي وضبع.
بين مدني وأعرابي قال مدني لأعرابي: ما تأكلون وما تدعون؟ قال: نأكل ما دب ودرج إلا أم حبين. فقال المدني: ليهنيء أم حبين العافية.
لرجل من بني هلال على مائدة الفضل بن يحيى قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجل من بني هلال بن عامر، فذكروا الضب ومن يأكله، فأفرط الفضل في ذمه وتابعه القوم، فغاظ الهلالي ما سمع منهم، ولم يكن على المائدة عربي غيره، ثم لم يلبث أن أتي الفضل بصحفة فيها فراخ الزنانير، فلم يشك الأعرابي أنها ذبان البيوت، فقال حين خرج:
وعلج يعاف الضب لؤما وبطنة ... وبعض إدام العلج هام ذباب
ولو أن ملكا ناك أمه ... لقالوا لقد أوتيت فصل خطاب
شعر لأبي الهندي، ثم لبعض الأعراب وقال أبو الهندي " رجل من العرب " :". (١)

٧٠-"قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: خصصنا بخمس: بصباحة، وفصاحة، وسماحة، ورجاحة، وحظوة " يعني " عند " النساء " . وسئل عن أمية فقال: هم أغدر وأفجر وأمكر؛ ونحن أفصح وأصبح وأسمح.
لامرأة في الزبير وعلي ومصعب رأت امرأة الزبير فقالت: من هذا الذي هو أرقم يتلمظ؟ ورأت عليا فقالت: من هذا الذي كأنه كسر ثم جبر؟ ورأت طلحة فقالت: من هذا الذي كأنه دينار هرقلي؟ لسكينة بنت الحسين في ابنتها ألبست سكينة بنت الحسين ابنة درا كثيرا وقالت: والله ما ألبستها أياه إلا لتفضحه.
لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء يذكر نساء مع جارية:
أقبلن في رأد الضحاء بها ... وسترن وجه الشمس بالشمس
ذكر بعض الأعراب امرأة قال: خلوت بها والقمر يرينيها، فلما غاب أرتينه.
وقال بعض الشعراء:

---

(١) عيون الأخبار ص/٣٤٩

غلام رماه الله بالحسن يافعا ... له سيمياء لا تشق على البصر

كأن الثريا علقت في جبينه ... وفي أنفه الشعري وفي وجهه القمر

ولما رأى المجد استعيرت ثيابه ... تردى بثوب واسع الذيل وأتزر

إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ... ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

بين أعرابي وأمه قال غلام من الأعراب لأمه:

نشدتك بالله هل تعلمين ... بأني طويل وأني حسن

قالت: قبحك الله!فكان ماذا! قال:

وأني أقمص بالدار عين ... غداة الصباح وأحمي الظعن

قال عمه: فهلا كان ذا قبل! قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو جثل أسحم

فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

وقال الطائي:

بيضاء تبدو في الظلام فيكتسي ... نورا وتبدو في النهار فيظلم

أعرابي يصف امرأة **وصف أعرابي** امرأة فقال: كاد الغزال يكونها، لولا ما تم منها ونقص منه لابن الأعرابي في الحلاوة والجمال والملاحة قال ابن الأعرابي: الحلاوة في العينين، والجمال في الأنف، والملاحة في الفم.

قال أعرابي يصف امرأة:

خزاعية الأطراف مرية الحشا ... فزارية العينين طائية الفم

المقنع الكندي كان المقنع الكندي من أجمل الناس وكان يتقنع لأنه كان متى سفر لقع " أي أصيب بعين " ، وهو القائل:

وفي الظعائن والأحداج أملح من ... حل العراق وحل الشام واليمنا

جنية من نساء الإنس أحسن من ... شمس النهار وبدر الليل لو قرنا

الحكم بن صخر وجارية الحكم بن صخر الثقفي قال: خرجت حاجا مختفيا، فلما كنت ببعض الطريق أتتني جاريتان من بني عقيل لم أر أحسن منهما وجوها، ولا أظرف ألسنة ولا أكثر علما وأدبا، فقصرت بهما يومي فكسوتهما. ثم حججت من قابل ومعي أهلي، وقد أصابتني علة فنصل لها خضابي، فلما صرت إلى ذلك الموضع فإذا أنا بإحداهما، فدخلت علي، فسألت مسألة منكر فقلت: فلانة! قالت: فدى لك أبي وأمي! تعرفني وأنكرك؟! قلت: أنا الحكم بن صخر. قالت: إني رأيتك عاما أول شابا سوقة وأراك العام ماكا شيخا، وفي دون هذا ينكر المرء صاحبه. قلت: ما فعلت أختك؟ قالت: تزوجها ابن عم لها وخرج بها إلى نجد فذلك حيث يقول:

إذا ما قفلنا نحو نجد وأهله ... فحسبي من الدنيا قفول إلى نجد

فقلت: لو أدركتها لتزوجتها. فقالت: ما يمنعك من شقيقتها في حسبها، ونظيرتها في جمالها؟ – تعني نفسها – قلت: يمنعني

من ذلك ما قال كثير:

إذا وصلتنا خلة كي تزيلنا ... أبينا وقلنا الحاجبية أول

فقالت: فكثير بيني وبينك، أليس هو القائل:

هل وصل عزة إلا وصل غانية ... في وصل غانية من وصلها خلف

فسكت عيا عن جوابها.

أبو حازم المدني وامرأة حسناء التقاها في موسم الحج قل أبو حازم المدني: بينا أنا أرمي الجمار رأيت امرأة سافرة من أحسن الناس وجها ترمي الجمار، فقلت: يا أمة الله، أما تتقين الله! تسفرين في هذا الموضع فتفتنين الناس! قالت: أنا والله يا شيخ من اللواتي قل فيهن الشاعر:

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن لبريء المغفلا". (١)

٧١-"دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فسلم فلم يرد عليه فقال لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون قد وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر في ذلك فقال إنه أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما سمعي وبصري وقلبي وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وعما قلت ويقال إذا عدل السلطان في رعيته ثم جار على واحد لم يف عدله بجوره ويقال حق على من ملكه الله على بلاده وحكمه في عباده أن يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا وللغيظ كاظما وللظلم هاضما وللعدل في حالتي الرضا والغضب مظهرا وللحق في السر والعلانية مؤثرا وإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه ولقد صدق من قال

لكل ولاية لا بد عزل ... وصرف الدهر عقد ثم حل

وأحسن سيرة تبقى لوال ... على الأيام إحسان وعدل

وقال عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل وكان كسرى يقيم رجلين من موابذته عن يمينه وشماله إذا أراد النظر في أمور الناس فكان إذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له والرعية يسمعون أيها الملك أنت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة انصف الخلق وانظر لنفسك ويقال إنه كتب ثلاث رقاع في إحداها أمسك غضبك فإنك لست باله وإنك ستموت ويأكل بعضك بعضا وفي الثانية إرحم عباد الله يرحمك الله وفي الثالثة احمل عباد الله على الحق فإنه لا يسعهم إلا ذلك وكان إذا جلس للناس عامة لينظر في أمورهم قام بعض الحجاب على رأسه وبيده الرقاع فإذا رآه غضب على أحدنا وله الرقعة الأولى فإن رآه تمادى على غضبه ناوله الثانية فإن لم ينته ناوله الثالثة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه في الموسم فإذا اجتمعوا قال يا أيها الناس إني لم أستعمل عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أعراضكم ولا من أموالكم شيأ إنما استعملتهم ليحجزوا بينكم ويردوا عليكم فيئكم فأيكم كانت له عندي مظلمة فليقم

---

(١) عيون الأخبار ص/٣٨٢

وصف أعرابي أميرا عادلا فقال هو عالم برعيته عادل في أقضيته عار من الكبر قابل للعذر سهل الحجاب متحير إلى الصواب رفيق بالضعيف مكرم للشريف غير مجاف للقريب ولا مخيف للغريب وكان شمس المعالي قابوس بن وشمكير عادلا في ملكه كان لا يؤتى بمفسد إلا أقام الحق عليه ولو أنه أقرب الناس إليه وقع جعفر بن يحيي إلى بعض عماله أنصف من وليت أمره وإلا أنصفه منك من ولي أمرك ووقع أخوه الفضل بئس الزاد إلى المعاد التعدي على العباد وسأل عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع العمال فقال رأيت الظالم مقهورا والمظلوم منصورا والغني موفورا والفقير مبرورا فقال الحمد لله الذي وهب لي من العدل ما تطمئن إليه قلوب رعيتي وتعرض له متظلم في بعض الطرق فوقف له وأزال شكايته فقيل له هلا صرت حتى يستقر بك المنزل فقال الخير سريع الذهاب وخشيت أن أفوته بنفسي وإنما هي فرصة قدمت فيها العزم واستصحبت الحزم قال شاعر يمدح متوليا اتصف بهذه الخلة من الرؤساء الجلة

لا تقدح الظنة في حكمه ... شيمته عدل وإنصاف

يمضي إذا لم تلقه شبهة ... وفي اعتراض الشك وقاف

ومما اتفق على مدحه الأوائل والأواخر تواضع من حاز الفضائل والمفاخر". (١)

٧٢-"ما يحكى أن أعرابيا قال عند ضجره في طلب الرزق والله لقد تقلبت بي الأسباب وقرعت جميع الأبواب واضطربت غاية الاضطراب وسافرت حتى بلغت منقطع التراب ورضيت من الغنيمة بالاياب فما رأيت الحرمان إلا فائضا والنحج إلا غائضا واعترضت أعرابية المنصور بطريق مكة بعد موت السفاح فقالت يا أمير المؤمنين قد أحسن الله إليك في الحالتين وأعظم عليك النعم في المنزلتين سلبك خليفة الله وافادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك وأشكر له ما منحك ووقف أعرابي على قوم يسألهم فقال يا أرباب الوجوه الصباح والعقول الصحاح والصدور الفساح والنفوس السماح والألسن الفصاح والمكارم الرباح هل فيكم من يسمع كلامي فيعذرني من مقامي ووقف أعرابي بقوم فقال يا قوم أشكو إليكم زمانا كلح لي بوجهه وأناخ علي بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال اعتورتني جديداه بنبال مصائبه عن قسي نوائبه فما تركا لي ثاغية أجتدي ضرعها ولا راغية أرتجي نفعها فهل فيكم معين على صرفه أو معد على حيفه فردوا عليه ولم ينيلوه شيأ فولي عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم ... جودا وليس الجود من أفعالكم

لا بارك الله لكم في مالكم ... ولا أزاح السوء عن عيالكم

فالموت خير من صلاح حالكم

ومن كلامهم في الأوصاف وصف أعرابي امرأة فقال هي السقم الذي لا برء منه والبرء الذي لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء ووصف آخر امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا ما نقص منه وتم منها وقال آخر سبقنا الحي وفيهم أدوية السقام فقرأن بالحدق السلام وخرست الألسن عن الكلام وقال آخر خرجت حين انحدرت النجوم وسالت أرجلها فما

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٨

زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر وأرسل أعرابي ولده في حاجة فرجع خائبا فسأل عن سبب خيبته فقال أتيت سوق الظما فبكت السماء وضحك البرق وقهقه الرعد فخفت الهاطلة فرجعت **وصف أعرابي** مصيبة فقال إنها مصيبة تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا وقيل لبعض الأعراب هل عندكم في البادية طبيب قال كلا إن حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار وقيل لأعرابي كيف حالك فقال أمزق ديني بالذنوب وأرقعه بالاستغفار وقيل لأعرابي مالك من فلان قال وجه صبيح وصدر فسيح وقلب نصيح ونسب صريح وخلق صحيح وسعي نجيح ووعد مريح

ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الأفاضل ... الهادي حلال سحرها بحرام سحر بابل

ولنورد امام ذلك كلاما في فضل الكتابة كافيا وللكتاب من أدواء الخمول شافيا قلت الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان قراره وأطواده بأقلامهم تبسط الأرزاق وتقبض الآجال وبأحلامهم تصان المعاقل إذا عجز عن صونها الرجال وقالوا الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء حيث شاء وقالوا لو أن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة وقالوا الكتابة قطب الأدب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل وبالكتاب قامت السياسة والرياسة وإليهم ألقى تدبير الأعنة والأزمة وعليهم يعتمد في حصر الأموال وانتظام شتات الأحوال شاعر

قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب ... ثم استمدوا بها ماء المنيات

نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ... ما لا ينال مجد المشرفيات

آخر

قوم إذا خافوا عداوة إمرئ ... سفكوا الدما بأسنة الأقلام

ولضربة من كاتب ببنانه ... أمضى وأنفذ من رقيق حسام

قال ابن المقفع الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب للملوك ومن فضل الكتابة إن صاحب السيف يزاحم صاحب القلم في قلمه ولا يزاحمه الكاتب في سيفه

فمن موجز بلاغتهم ... ومعجز صياغتهم". (١)

٧٣-"وما حسن الرجال لهم بزين ... إذا لم يسعد الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

آخر

والصمت أزين للفتى ... ما لم يكن عي يشينه

والقول ذو خطل إذا ... ما لم يكن لب يعينه

وقال الجاحظ لا يعاب الأخرس ولا يلام من استولى على بيانه العجز ويذم الحصر ويؤنب العي **وصف أعرابي** قوما بالعي فقال منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل إلى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ومنهم من يلج كلامه الاذان

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٧٨

فيحملها عبأ ثقيلا إلى الأذهان قال شاعر ينزه لسانه عن العي

وما بي من عي ولا أنطق الخنى ... إذا جمع الأقوام في الخطب محفل

آخر

وقلنا بلا عي وسنا بطاقة ... إذا النار يوم الحرب طال اشتعالها

ومن علامات العي الواضحة ... وسمات اللكن الفاضحة

الاستعانة وهو أن يرى المخاطب إذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه للمخاطب استمع إلي واسمع مني وألست تفهم وافهم عني ومنهم من يقول في خلل كلامه أما قولي كذا فأعني به كذا ولا يريد التفسير ولكن يعمد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول فبيانه أبدا يقصر عن إيضاح أشكاله وإن أتى بأنواع الكلام وأشكاله وذم بعض البلغاء عييا فقال قلبه ميت الفطنة ولسانه بادي اللكنة ولفظه ظاهر الهجنة شديد التعاون بين التهافت إذ عصته ولدغته المساجلة والمساورة تثاءب للعطاس وتثاقل للنعاس وتشاغل بمسح اللحية ومس الجبهة وقرع السن وفتل الأصابع فعجزه طاهر وعيه حاضر شاعر في مثل ذلك

ملي ببهر والتفات وسعله ... ومسحة عثنون وفتل الأصابع

ومن علامته التنحنح من غير داء والتثاؤب من غير ريبة والاكباب في الأرض من غير علة وقال ابن المعتز

ومن الكبائر مقول متتعتع ... جم التنحنح متعب متهور

ومن عيوب اللسانالمزيلة للاحسانالمزريه بقدر الانسان

التمتمة والفأفأة والعقلة والحبسة واللفف والرثة والغمغمة والطمطمة واللكنة والغنة واللثغة قال الأصمعي التمتمة إذا تعتع في التاء فهو تمتام وإذا تردد في الفاء فهو فأفاء قال الراجز

ليس بفأفاء ولا تمتام ... ولا كثير الهجر في الكلام

والعقلة التواء اللسان عند الكلام والحبسة تعذر النطق ولم يبلغ حد الفأفاء ولا التمتام ويقال إنها تعرض أول الكلام فإذا مر فيه انقطعت واللفف ادخال بعض الكلام في بعض قال الراجز

كأن في فيه لفيفا إن نطق ... من طول تحبيس وهم وأرق". (١)

٧٤-"ثم كان ابنه يحيى سالكا في سننه آخذا في الجود بفرائضه وسننه ففيه يقول سلم الخاسر

يا أيها الملك الذي ... أضحى وهمته المعالي

أنت المنوه باسمه ... عند الملمات الثقال

ثم الذي أمواله ... عند المحامد خير مال

لله درك من فتى ... ما فيك من كرم الخلال

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٨٨

يحيى بن خالد الذي ... يعطى الجزيل ولا يبالي
أعطاك قبل سؤاله ... وكفاك مكروه السؤال
ملك خلا من ماله ... ومن المروأة غير خال
وإذا رماك بموعد ... كان النوال مع المقال

وأولاده سادوا فشادوا ما أسس وجادوا فزادوا المن بما غرس فلهم طارف السخاء وتليده وكهل الثناء ووليده فالفضل في جوده ونزاهته وجعفر في بلاغته وفصاحته وموسى في نجدته وشجاعته ومحمد في مروأته وبعد همته وفيهم يقول الشاعر

أولاد يحيى أربع ... كالأربع الطبائع
فهم إذا اختبرتهم ... طبائع الصنائع

لكن الفضل كان لتلقي العفاة أبسطهم وأمضاهم بالصلة عزيمة وأنشطهم وأمدهم بالانعام يدا لا سيما إن ترنم شاعر بمدحه أو شدا وفيه يقول الخياط المدني

لمست بكفي كفه أبتغي الغني ... ولم أدر أن الجود من كفه بعدي
فلا أنا مما قد أفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وفيهم يقول سلم الخاسر

سأرسل بيتا قد وسمت جبينه ... يقطع أعناق البيوت الشوارد
أقام الندى والجود في كل بلدة ... أقام بها الفضل بن يحيى بن خالد

وفيهم يقول مروان بن أبي حفصة وجمعهم على النسق

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد ... وما كل من يدعى بفضل له الفضل
رأى الله فضلا منك في الناس شائعا ... فسماك فضلا فالتقى الاسم والفعل
وزادك فضلا أن أهلك في الورى ... كرام إذا أزرى بذي الشرف الكهل
ولم يبق فيك الجود للبخل موضعا ... فأصبح يستعدى على جودك البخل
إذا كذبت أسماء قوم عليهم ... فاسمك صديق له شاهد عدل

وفيه يقول الحسن بن مطير رحمه الله تعالى

رأى الله للفضل بن يحيى فضيلة ... ففضله والله بالناس أعلم
له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ... ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى ... ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه ... على الناس لم يصبح على الأرض معدم
ولو أن يوم البؤس خلى شماله ... على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
وممن فاه ببديع مدحه اللسان ... من ذوي الانعام والاحسان

وصف أعرابي رجلا فقال ذاك رجل اشترى عرضه من الأذى فهو وإن أعطى الدنيا بأسرها رأى بعد ذلك إن عليه حقوقا منها ومدح أعرابي قوما بالجود فقال هم الذين جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم فالحمد فيهم زائد والجود لهم شاهد يعطون أموالهم بطيب أنفس إذا طلبت إليهم ويباشرون المكروه باشراق الوجوه إذا بغى عليهم ومدح آخر رجلا فقال ما رأيت الرزق أبغض أحد أبغضه وقالوا فلان دواء الفقر إن سئل أعطى وإن لم يسئل ابتدأ وقالوا فلان يبذل ما جل ويجبر ما اعتل ويكثر ما قل ومن كلام الثعالبي فلان يحيي القلوب بلقائه قبل أن يميت العدم بعطائه فلان يوجب الصلات وجوب الصلاة فلان لو أن البحر مدده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه وقالوا فلان له نفس فيحاء لا تضيق بالبذل وأذن صماء لا تصغي للعذل وأما المنظوم في هذا فكثير فمن ذلك قول المهلب بن أبي صفرة

قوم إذا نزل الغريب بأرضهم ... ردوه رب صواهل وقيان

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ... لتطلب الحاجات بالعيدان

بل يبسطون وجوههم فترى لها ... عند السؤال كأحسن الألوان

آخر

نزلت على آل المهلب شاتيا ... بعيدا عن الأوطان في زمن محل

فما زال بي إكرامهم وافتقادهم ... وألطافهم حتى حسبتهم أهلي

آخر". (١)

٧٥-"يا ابنة القوم ما تريدين مني ... صارمي منطقي ووجهي مجني

ما يزور الكرى جفوني إلا ... جسوة الطائر الذي لا يثني

فعلوى إذا استقل بعزم ... لم يعرج بليتني ولواني

آخر

حلفت لان ألقى الشدائد كلها ... ومالي بأن ألقى الهوان يدان

تذكرت إني هالك وابن هالك ... فهانت علي الأرض والثقلان

فدع كل شيء خالف العزم إنه ... سيكفيكه جد إن معتلجان

وما يدرك الحاجات مثل مثابر ... ولا عاق عنها النجح مثل توان

أبو نصر بن أحمد الميكالي

قالوا تمهل في الذي ترتجي ... بلوغه من نافع الأمر

قلت التأني مظفر بالمنى ... لكنه يجحف بالعمر

آخر

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٤٠

على كل حال فاجعل الحزم عدة ... لما أنت باغيه وعونا على الدهر

فإن نلت أمرا نلته عن عزيمة ... وإن قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب حاجبا

ولم يستشر في أمره غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

آخر

إذا فرصة أمكنت في العدى ... فلا تبد فعلك إلا بها

فإن لم تلج بابها مسرعا ... أتاك عدوك من بابها

ومن ممادح من عرف في قومه بالشجاعة ومد إلى قطف الرؤس سيفه وباعه قالوا فلان أبلغ صولة من أسد العرين وأشد منعة من الحصن الحصين وصف أعرابي رجلا بالشجاعة فقال هو ابن الحرب أرضع بدرها وربي في حجرها وسئل أعرابي عن قومه فقال كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام صغرت بينهم السهام بشؤبوب الحمام وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت أفواهها الحتوف فرب يوم شموس أحسنت أدبه عزمتهم وحرب عبوس أضحكتها أسنتهم ومدح أعرابي قومه فقال قومي والله ليوث حرب وغيوث جدب ليس لأسيافهم أغماد غير الهام ولا رسل للمنايا غير السهام وقالوا فلان يبادر المهل مبادرة الأجل الأمل أطراف الأسل أحلى عنده من لعق العسل ابن شرف القيرواني فلان قلبه يخرجه عن القلب وصرامته تقتاده إلى مكان الطعن والضرب رماحه نجوم ظلام القتام وسهامه رجوم شياطين الأنام لا ترد حاجته مواضيه ولا تمطله المغافر المنية عند تقاضيه شاعر مادحا

يلقى السيوف بوجهه وبنحره ... ويقيم مهجته مقام المغفر

ما إن يريد إذا الرماح شجرنه ... ذرعا سوى سربال طيب العنصر

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا ... فعقرت ركن المجد إن لم تعقر

أبو الفرج

يسعى إلى الموت والقنا قصد ... وخيله بالرؤس تنتعل

كأنه واثق بأن له ... عمرا مقيما وماله أجل

آخر

كأن سيوفه صيغت عقودا ... تجول على الترائب والنحور

وسمر رماحه جعلت هموما ... فما يخطرن إلا في ضمير

البحتري مادحا

يلقى السيوف بوجه منه ليس لها ... ظهر وهادي جواد ماله كفل

يسعى به البرق إلا أنه فرس ... في صورة الموت إلا أنه رجل

مسلم بن الوليد

لو أن قوما يخلقون منية ... من بأسهم كانوا بني جيريلا
قوم إذا حمى الوطيس لديهم ... جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا
ولآخر
وحامي بلاد الله من كل مارق ... له الطير ضيف والوحوش وفود
مليك له زهر النجوم أسنة ... إذا أم أفقا والسحاب بنود
آخر
عقبان روع والسروج وكورها ... وليوث حرب والفنا آجام
وبدور تم والترائك في الوغى ... هالاتها والسائرون غمام
جادوا بممنوح التلاد وجودوا ... ضربا بجديه الطلى والهام
وتجاوبت أسيافهم وجيادهم ... فالأرض تمطر والسماء تغام
البحتري
معشرا أمسكت حلومهم الأر ... ض وكادت لولاهم أن تميدا
فإذا الجدب جاء جاد واغيوثا ... وإذا النقع ثار ثاروا أسودا
وكأن الإله قال لهم في ال ... حرب كونوا حجارة أو حديدا
آخر". (١)

٧٦-"وترى وتسمع لمعه وخفوقه ... فتخال فيه بوارقا ورعودا
آخر
خميس إذا أخفى سنا الشمس نطقه ... أضاء وأبداه الحديد المسرد
تواجهه هوج الرياح فينثني ... وتحمله الأرض الوقور فيرعد
أبو الطيب المتنبي
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة ... فما يفهم الحداث إلا التراجم
وله
وذو لجب لا ذو الجناح أمامه ... بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الريح وهي ضعيفة ... تطالعه من بين ريش القشاعم
ويخفى عليك البرق والرعد فوقه ... من اللمع في هاماته والجماجم

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٧٩

ابن المعتز

وعم السماء النقع حتى كأنه ... دخان وأطراف الرماح شرار

ابن الساعاتي

والنقع ليل والأسنة أنجم ... والسمر غاب والكماة أسود

وصف النزال والقتلى

وصف أعرابي وقعة فقال اصطفوا كجناح الطائر وشدوا شد الأسد الخادر فما ثنوا أعنتهم ولا صرفوا أسنتهم حتى انصرف اعداؤهم أبو نصر الميكالي دارت رحى الحرب بين أعمار تباح ودماء تستباح وأجسام تطاح وأرواح تسفي بها الرياح فالسيوف للهامات دامغة والرماح في الأكباد والغه بض البلغاء طلبنا فلانا في الوغى فوجدناه وجسده بالصفاح منمق محبر وبالرماح معجم ومحرر ابن عبد ربه من أبيات

فكم على النهر أوصال مفرقة ... تقسمتها المنايا فهي أشطار

قد فلقت بصفيح الهند هامتهم ... فهن بين حوامي الخيل أعشار

وكم بساحتهم من شلو مطرح ... كأنه فوق ظهر الأرض أجار

كأنما رأسه أفلاق حنظلة ... وساعداه على الزندين جمار

أبو بكر الخوارزمي

كتبنا في وجوههم سطورا ... غرائب حبرهن دم همول

فترجمها الأعادي للأعادي ... ويقرؤها على الحي القتيل

فمالك غير جمجمة كتاب ... ومالك غير صاحبها رسول

ابن الرومي

كتبت لنا أيدي النزال صحائفا ... هجما من الأعراب والافصاح

أطراسها جثث الكماة وحبرها ... مما أسلناه دم الأرواح

فالشكل فوق سطورها بصوارم ... والنقط تحت حروقها برماح

ابن نباتة

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم ... عيونا لها وقع السيوف حواجب

قطع الرؤس أحسن ما نظم فيها قول الشريف البياضي من أبيات

خطبنا بالقنا مهج الأعادي ... فزفت والرؤس لها نثار

وقول جرير وإن كان قبله

كأن رؤس القوم فوق رماحنا ... غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

وقول الآخر

وكأنما سمر الرماح معاطف ... والهام فوق صدورهن نهود

الفصل الثالث من الباب الحادي عشر

في ذم التصدي للهلكة

ممن لا يستطيع بها ملكة

قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال تعالى خذوا حذركم وقد روى أن عمر رضي الله عنه حين كره طواعين الشأم أراد الرجوع إلى المدينة فقال له أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله قال نعم إلى قدر الله فقال له أيمنع الحذر القدر قال لست مما هناك في شيء إن الله لا يأمر بما لا ينفع ولا ينهى عما لا يضر فإنه يقول ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال خذوا حذركم وقالوا الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح الهلكة وقال يزيد ابن المهلب الاقدام على الهلكة تغرير والاحجام عن الفرصة جبن وأنشدت لطاهر بن الحسين

ركوبك الأمر ما لم تبد فرصته ... جهل ورأيك في الاقحام تغرير

فاعمل صوابا وخذ بالحزم مأثرة ... فلن يذم لأهل الحزم تدبير

ويقال أهوت إلى يزيد بن المهلب حية فلم يتوقها فقال له أبوه ضيعت الحزم من حيث حفظت الشجاعة الشريف الرضي

العزم في غير وقت العزم معجزة ... والازدياد بغير العقل نقصان". (١)

٧٧-"والأخنس: القصير المشافر، وإنما توصف المشافر بالسبوطة.

ووصف أعرابي إبلا، فقال: كوم بهازر، مكد خناجر، عظام الحناجر، سباط المشافر، أجوافها رغاب، وأعطانها رحاب، تمنع من البهم، وتبذل للجمم.

ناقة مكود وخنجورة: كثيرة اللبن. والبهازر: العظام. والكوم: المرتفعة الأسنمة. ولم يحسن أيضا صفة ورود الإبل. قال:

جاءت تسامي في الرعيل الأول ... والظل عن أخفافها لم يفضل

ذكر أنها وردت في الهاجرة، وهذا خلاف المعهود، وإنما يكون الورود غلسا، كقول الآخر:

فوردت قبل الصباح الفاتق

وقال الآخر:

فوردن قبل تبين الألوان

وقول لبيد:

إن من وردى تغليس النهل

ومن الغلط قول أبي النجم:

صلب العصا جاف عن التغزل

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٩٠

يصف راعي الإبل بصلابة العصا، وليس بالمعروف.
والجيد قول الراعي:
ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا
وإنما يقال: فلان صلب العصا على أهله إذا كان شديدا عليهم.
ومن الغلط قول أبي النجم أيضا في وصف الفرس، وهو غلط في اللفظ
كأنها ميجنة القصار
وإنما الميجنة لصاحب الأدم، وهي التي يدق عليها الأدم من حجر وغيره.
ومن فساد المعنى قول الشماخ:
بانت سعاد وفي العينين ملمول ... وكان في قصر من عهدها طول
كان ينبغي أن يقول: في طول من عهدها قصر، لأن العيش مع الأحبة بوصف بقصر المدة، كما قال الآخر:
يطول اليوم لا ألقاك فيه ... وحول نلتقي فيه قصير
ومن اضطراب المعنى قول أبي دواد الأيادي:
لو أنها بذلت لذي سقم ... حرض الفؤاد مشارف القبض
حسن الحديث لظل مكتئبا ... حران من وجد بها مض
وكان استواء المعنى أن يقول: لبرأ من سقمه كما قال الأعشى:
لو أسندت ميتا إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر
وقال تأبط شرا:
قليل غرار النوم
تقديره قليل يسير النوم، وهذا فاسد، ووجه الكلام أن يكون ما ينام إلا غرارا، فإن احتلت له قلت: يعنى أن نومه أيسر من اليسير.
وقول أبي ذؤيب:
فلا يهنأ الواشون أن قد هجرتها ... وأظلم دوني ليلها ونهارها
هذا من المقلوب، كان ينبغي أن يقول: وأظلم دونها ليلى ونهاري.
وقول ساعدة:
فلو نبأتك الأرض أو لو سمعته ... لأيقنت أني كدت بعدك أكمد
كان ينبغي أن يقول: إن بعدك أكمد.
ومن الخطأ قول طرفة يصف ذنب البعير
كأن جناحي مضرحي تكنفا ... حفافيه شكا في العسيب بمسرد
وإنما توصف النجائب بخفة الذنب ... وجعله هذا كثيفا طويلا عريضا

وقول امرئ القيس:

وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها سعف منتشر

شبه ناصية الفرس بسعف النخلة لطولها، وإذا غطى الشعر العين لم يكن الفرس كريما.

وقول الحطيئة:

ومن يطلب مساعي آل لأي ... تصعده الأمور إلى علاها

كان ينبغي أن يقول: من طلب مساعيها جز عنها وقصر دونها، فأما إذا تناهى إلى علاها فأي فخر لهم، فإن قيل: إنه أراد به أنه يلقى صعوبة كما يلقى الصاعد من أسفل إلى علو، فالعيب أيضا لازم له، لأنه لم يعبر عنه تعبيرا مبينا.

وقول النابغة:

ماضي الجنان أبي صبر إذا نزلت ... حرب يوائل منها كل تنبال

التنبال: القصير من الرجال، وليس القصير بأولى بطلب الموئل من الطوال، وإن جعل التنبال الجبان فهو أبعد من الصواب، لأن الجبان خائف وجل اشتدت الحرب أم سكنت.

والجيد قول الهمداني:

يكر عل المصاف إذا تعادى ... من الأهوال شجعان الرجال

وقول المسيب بن علس:

فتسل حاجتها إذا هي أعرضت ... بخميصة سرح اليدين وساع

وكأن قنطرة بموضع كورها ... وتمد ثني جديلها بشراع

وإذا أطفت بها أطفت بكلكل ... نبض الفرائص مجفر الأضلاع

وهذا من المتناقض، لأنه قال خميصة، ثم قال: كأن موضع كورها قنطرة، وهي مجفرة الأضلاع، فكيف تكون خميصة وهذه صفتها.

وقول الحطيئة:

حرج بلاوذ بالكناس كأنه ... متطوف حتى الصباح يدور". (١)

٧٨-"وقال أعرابي: ما أشد جولة الهوى وفطام النفس عن الصبا، ولقد تصدعت نفسي للعاشقين، لوم العاذلين قرطة في آذانهم، ولو عات الحب نيران في أبدانهم. وقال أعرابي: ما رأيت دمعة ترقرق في عين، وتجري على خد، أحسن من عبرة أمطرتها عينها، فأعشب لها قلبي. وقال أعرابي وذكر قوما زهادا فاز قوم أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع به الناس مسافة آجالهم، فأحسنوا المقال، وشفعوه بالفعال، تركوا النعيم ليتنعموا، لهم عبرات متدافعة، لا تراهم إلا في وجه عند الله وجيها. **ووصف أعرابي** واليا فقال: كان إذا

---

(١) كتاب الصناعتين ص/٣٠

ولى طابق من جفونه، وأرسل العيون على عيونه، فهو شاهد معهم، غائب عنهم، فالمحسن آمن، والمسيء خالف. **ووصف أعرابي** دارا فقال: هي والله معتصرة الدموع، جرت بها الرياح أذيالها، وحلت بها السحاب أثقالها. وذكر أعرابي رجلا فقال: كان الفهم منه ذا أذنين، والجواب منه ذا لسانين، لم أر أحدا كان أرتق لخلل الرأي منه، كان والله بعيد مسافة الرأي، يرمى بطرفه حيث أشار الكرم، يتحسى مرارة الإخوان، ويسيغهم العذب. **ووصف أعرابي** قومه فقال: كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام سفرت بينهم السهام، بوقوف الحمام، وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها، فكم من يوم عارم قد أحسنوا أدبه، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم، وخطب شين، قد ذللوا مناكبه، إنما كانوا كالبحر الذي لا ينكش غماره، ولا ينهنه تياره. وقيل لأعرابي: يزعم فلان أنه كساك ثوبا، فقال: إن المعروف إذا أمر كدر، وإذا محض امر، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه.

وذكر أعرابي رجلا فقال: كلامه منقوض آثار القطا، وهو من ذا رث عقال المودة، مسود وجه الصداقة، ولئن كان لبنى الآدميين سباخ إنه لمن سباخ بني آدم.

وقيل لأعرابي: لم لا تشرب النبيذ؟ فقال: لا أشرب ما يشرب عقلي.

وقال معاوية: العيال أرضة المال. وقال خالد بن صفوان: إياكم ومجانيق الضعفاء. وقال: لا تضع معروفك عند فاجر، ولا أحمق، ولا لئيم، فإن الفاجر يرى ذلك ضعفا، والأحمق لا يعرف ما أوتى إليه فيشكره على مقدار عقله، واللئيم سبخة لا ينبت شيئا ولا يثمر، ولكن إذا رأيت الثرى فازرع المعروف تحصد الشكر، وأنا الضامن.

وأهدت امرأة من العجم إلى هوى لها في يوم نوروز وردا وكتبت إليه: هذا اليوم أحد فتيان الدهر وشاب أقسامه، والقصف فيه عروس، والورد في البرد كالدر في النحر، وقد بعثت إليك منه مهرا ليومك، فزوج السرور من النفس، والطرب من القلب، ولا تستقل برا، فإنا لا نستكثر على قبوله شكرا.

وقال آخر في رجل: ماذا تثير الخبرة من دفائن كرمه. وقال أعرابي لخصمه: أما والله لئن هملجت إلى الباطل، إنك عن الحق لقطوف، ولئن أبطأت عنه لتسرعن إليه، فالعلم أنه إن لم يعد لك الحق عد لك الباطل، والآخرة من ورائك. وقال آخر: الخط مركب البيان. وقال آخر: القلم لسان اليد. وسمعت بعض الأطباء يقول: الماء مطية الطعام.

وقال الحسن بن وهب لكاتبه: لا ترق ماء معروفي بالمن، فإن اعتدادك بالعرف يعقل لسان الشكر.

وأمثال هذا كثير في منثور الكلام وفيما أوردته كفاية إن شاء الله.

فأما الاستعارة من أشعار المتقدمين فمثل قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر مرخ سدوله ... على بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكلكل

وقال زهير:

صحا القلب عن ليلى وأقصر باطله ... وعرى أفراس الصبا ورواحله

وقول امرئ القيس:

فبات عليه سرجه ولجامه ... وبات بعيني قائما غير مرسل

أي كن أراه وأحفظه، وعلى هذا مجاز قوله عز وجل: " تجري بأعيننا " . وقال زهير:

إذا سدت به لهوات ثغر ... يشار إليه جانبه سقيم

وقال النابغة:

وصدر أراح الليل عازب همه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وفي هذا البيت ماء وطلاوة ليس مثله في بيت زهير. وقال عنترة:

جادت عليه كل بكر حرة ... فتركن كل قرارة كالدرهم

وقال مهلهل:

تلقى فوارس تغلب ابنة وائل ... يستطعمون الموت كل همام

وقال زهير:". (١)

٧٩-"وشرب أحدهم بحضرة الحسن بن وهب قدحا وعبس، فقال له: والله ما أنصفتها، تضحك في وجهك، وتعبس في وجهها وقال ظاهر بن الحسين لابنه: التبذير في المال ذمه حسب التقتير فيه، فاتق التبذير، وإياك والتقتير. وقال أعرابي: أتيت بغداد فإذا ثياب أحرار على أجساد عبيد، إقبال حظهم إدبار حظ الكرم، شجر فروعه عند أصوله، شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر.

وقال أعرابي: الله مخلف ما أتلف الناس، والدهر متلف ما أخلف الله، فكم من منية علتها طلب الحياة، وحياة سببها التعرض للموت، وهذا مثل قول الشاعر:

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وقال آخر: كدر الجماعة خير من صفو الفرقة. وقال بعضهم: وكان اعتدادي بذلك اعتداد من لا تنضب عنه نعمة تغمرك، ولا يمر عليه عيش يحلو لك.

وقال بعضهم: وكان سروري بذلك سرور من لا تأفل عنه مسرة طلعت عليك، ولا تظلم عليه محلة أنارت لك.

وقال المنصور: لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية. **ووصف أعرابي** غلاما فقال: ساع في الهرب، قطوف في الحاجة.

وكتب سعيد بن حميد في كتاب فتح: ظنا كاذبا لله في حتم صادق، وأملا خائنا لله في قضاء نافذ.

وقال الأفوه الأودى: سهما تقر به العيون وإن كان قليلا خير مما وجلت به القلوب وإن كان كثيرا. ونحوه قول الشاعر:

ألا كل ما قرت به العين صالح

ومن الأشعار في الطباق قول زهير:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ... ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

---

(١) كتاب الصناعتين ص/٨٧

وقول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقول الطفيل الغنوى يصف فرسا:

بساهم الوجه لم تقطع أباجله ... يصان وهو ليوم الروع مبذول

وقول الآخر:

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

وقال حسين بن مطير:

ومبتلة الأرداف زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودها

بصفر تراقيها وحمر أكفها ... وسود نواصيها وبيض خدودها

وقال في وصف السحاب:

وله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك يراوح بينه وبكاء

وقال آخر:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة ... لقد سرني أنى خطرت ببالك

وقال النابغة:

وإن هبطا سهلا أثارا عجاجة ... وإن علوا حزنا تشظت جنادل

وقال مسافع:

أيعد بنى أمي أسر بمقبل ... من العيش أو آسى على إثر مدبر

أولاك بنو خير وشر كليهما ... وأبناء معروف ألم ومنكر

وقال أوس بن حجر:

أطعنا ربنا وعصاه قوم ... فذقنا طعم طاعتنا وذاقوا

وقال الفرزدق:

لعن الإله بنى كليب إنهم ... لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون إلى نهيق حمارهم ... وتنام أعينهم عن الأوتار

وقال امرؤ القيس:

بماء سحاب زل عن ظهر صخرة ... إلى بطن أخرى طيب طعمه خصر

وقال النابغة:

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازب

وقال بيهس بن عبد الحرث، يصف الشيب:

حتى كأن قديمه وحديثه ... ليل تلفح مدبرا بنهار

فطابق بين قديم وحديث، وليل ونهار، فأخذه الفرزدق، فقال:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

طابق بين الشيب والشباب، والليل والنهار، وهذا أحسن من قول بيهس سبكا ورصفا، وفيه نوع آخر من البديع، وهو يصيح بجانبيه نهاره أخذه من قول الشماخ:

ولاقى بصحراء الإهالة ساطعا ... من الصبح لما صاح بالليل نفرا

وقال أبو داود قبله:

تصيح الردينيات في حجباتهم ... صباح العوالي في الثقاف المثقب

وقال آخر:

تصيح الردينيات فينا وفيهم ... صياح بنات الماء أصبحن جوعا

وقال آخر في صفة قوس:

في كفه معطية منوع

وقال آخر:

مرحت وصاح المرو من أخفافها

وقال آخر في صفة ناقة:

خرقاء إلا أنها صناع

وقال آخر:". (١)

٨٠-"وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر عن المأمون بعزله عن ديار مصر، وتسليم العمل إلى إسحاق بن إبراهيم: أما بعد فإن أمير المؤمنين قد رأى تولية إسحاق بن إبراهيم ما تتولاه من أعمال المعاون بديار مصر، وإنما هو عملك نقل منك إليك. فسلمه من يدك إلى يدك والسلام. واغتاب رجل رجلا عند سلم بن قتيبة، فقال له سلم: اسكت، فوالله لقد تلمظت مضغة طالما لفظها الكرام.

ومن المنظوم قول طرفة:

أبيني، أفي يمني يديك جعلتني ... فأفرح أم صيرتني في شمالك

أي أبيني منزلتي عندك أوضيعة هي أم رفيعة، فذكر اليمين وجعلها بدلا من الرفعة، والشمال وجعلها عوضا من الضعة. وأخذه الرماح بن ميادة، فقال:

ألم تك في يمنى يديك جعلتني ... فلا تجعلن بعدها في شمالكا

---

(١) كتاب الصناعتين ص/٩٥

ولو أنني أذنبت ما كنت هالكا ... على خصلة من صالحات خصالكا

وقال آخر:

تركت الركاب لأربابها ... وأكرهت نفسي على ابن الصعق

جعلت يدي وشاحا له ... وبعض الفوارس لا تعتنق

فقوله: جعلت يدي وشاحا تمثيل. وقول زهير:

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهذم

أراد أن يقول: من أبي الصلح رضى بالحرب، فعدل عن لفظه، وأتى بالتمثيل، فجعل الزج للصلح، لأنه مستقبل في الصلح، والسنان للحرب لأن الحرب به يكون، وهذا مثل قولهم: من عصى الصوت أطاع السيف، ومنه قول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال: بسهميك، وأراد العينين. وقال العباس بن مرداس:

كانوا أمام المؤمنين درية ... والشمس يومئذ عليهم أشمس

أراد تلألؤ البيض في الشمس، فكأن على كل رأس شمسا، وقال قدامة: من أمثلة هذا الباب قول الشاعر:

أوردتهم وصدور العيس مسنفة ... والصبح بالكوكب الدري منحور

وقال: قد أشار إلى الفجر إشارة إلى طريقه بغير لفظه. وليس في هذا البيت إشارة إلى الفجر، بل قد صرح بذكر الصبح، وقال: هو منحور بالكوكب، أي صار في نحره، ووضع هذا البيت في باب الاستعارة أولى منه في باب المماثلة.

ومما عيب من هذا الباب قول أبي تمام:

أنت دلو وذو السماح أبو ... موسى قليب وأنت دلو القليب

أيها الدلو لا عدمتك دلوا ... من جياد الدلاء صلب الصليب

الفصل العاشر

في الغلو

الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها، كقول الله تعالى: " وبلغت القلوب الحناجر " . وقال تأبط شرا:

ويوم كيوم العيكتين وعطفة ... عطفت وقد مس القلوب الحناجر

وقال الله تعالى: " وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " ، بمعنى لتكاد تزول منه. ويقال إنها في مصحف ابن مسعود مثبتة، وقد جاءت في القرآن مثبتة وغير مثبتة. قال الله تعالى: " وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم " .

وقال الشاعر:

يتقارضون إذا التقوا في موطن ... نظرا يزيل مواطئ الأقدام

وكاد إنما هي للمقاربة، وهي أيضا مع إثباتها توسع، لأن القلوب لا تقارب البلوغ إلى الحناجر وأصحابها أحياء.

وقوله تعالى: " ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " ، وهذا إنما هو على البعيد، ومعناه لا يدخل الجمل في

سم الخياط ولا يدخل هؤلاء الجنة.

ومثله قول الشاعر:

إذا زال عنكم أسود العين كنتم ... كراما وأنتم ما أقام ألائم

وقول الآخر:

فرجي الخير وانتظري إيابي ... إذا ما القارظ العنزي آبا

وقال النابغة:

فإنك سوف تحلم أو تناهى ... إذا ما شبت أو شاب الغراب

ومثال الغلو من النثر قول امرأة من العجم كانت لا تظهر إذا طلعت الشمس فقيل لها في ذلك، فقالت: أخاف أن تكسفني. وقال أعرابي: لنا تمرة فطساء جرداء، تضع التمرة في فيك، فتجد حلاوتها في كعبك. وقيل لأعرابي: ما حضر فرسك؟ قال يحضر ما وجد أرضا. **ووصف أعرابي** فرسه، فقال: إن الوابل ليصيب عجزه، فلا يبلغ إلى معرفته حتى أبلغ حاجتي. وذم أعرابي رجلا، فقال: يكاد يعدى لؤمه من تسمى باسمه.". (١)

٨١-"والعلامات الجامعة للنجابة في الفرس ما ذكره أيوب بن القربة وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال: القصر الثلاث الصافي الثلاث، الطويل الثلاث الرحب الثلاث، فقال: صفهن، فقال: أما الثلاث الصافية، فالأديم، والعينان والحافر، وأما الثلاث القصار، فالعسب، والساق، والظهر، وأما الثلاث الطوال فالأنف، والعنق، والذراع، وأما الثلاث الرحبة فالجوف والمنخر والجبهة، وقد جمع بعض الشعراء هذه الأوصاف فيقوله:

وقد اغتدي قبل ضوء الصباح ... وورد القطا في الغطاط الحثاث

بصافي الثلاث عريض الثلاث ... قصير الثلاث طويل الثلاث

وأهدى عمرو بن العاص ثلاثين فرسا من خيل مصر، فعرضت عليه وعنده عتبة بن سنان بن يزيد الحارثي، فقال له: معاوية كيف ترى هذا يا أبا سفيان فإن عمرا أطنب في وصفها، فقال: أراها يا أمير المؤمنين كما وصفت إنها لسامية العيون لاحقة البطون مصغية الآذان قراء الأسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر، وقعها تحليل، ورفعها تعليل، فهي إن طلبت سبقت، وإن طلبت لحقت قال معاوية: اصرفها إلى دارك فإن بنا عنها غنى وبفتيانك إليها حاجة، وهذه الخلال قلما توجد في جواد، ولو بذل فيه سواد العين، وسويداء القلب.

وقد قال أبو الطيب المتنبي مؤيدا لما قلت:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت في غبن من لا يجرب

وإذا لم يشاهد غير حسن شياتها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيب

ووصف أعرابي فرسا أجرى في حلبة فقال: لما أرسلت الخيل جاءوا بشيطان في اشطان، فارسوله، فلمع البرق واستهل الودق

---

(١) كتاب الصناعتين ص/١٠٨

فكان أقرب الخيل إليه نقع عينه من بعد عليه.

ووصف محمد بن الحسين بن الحروف فرسا فقال: هو حسن القميص جيد الفصوص وثيق القصب نقي العصب يبصر بأذنيه ويتبع ويتبوع، بيديه، ويدخل برجليه، وكتب عبد الله بن طاهر مع فرس أهداه إلى المأمون، وقد بعث إلى أمير المؤمنين فرسا يلحق الأرانب في الصعداء، ويجاوز الظباء في الاستواء ويسبق في الحدود جري الماء إن عطف جار وإن أرسل طار وإن حبس صفن، وإن استوقف قطن، وإن رعى أبن فهو كما قال تأبط شرا.

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي ... بمنخرق من شدة المتدارك

ووصف آخر فرسا، فقال: وإذا هبط قعى كأنه محلول من قول أبي بكر بن دريد يصف فرسا:

إذا جرى لم يعلق الطرف به ... ولم يجعل لونه ولم يحط

مثل دعاء مستجاب إن علا ... أو كقضاء نازل إذا هبط ووصف آخر فرسا، فقال: أسيل الخد حسن القدر لقد سبق الطرف ويستغرق الوصف وقال محمد بن عبد الملك لصديق له ابلغ لي برذونا، وثيق اليدين سالم الأذنين ذكي العينين، يأنف من تحريك الرجلين، وساير شبيب بن شيبة علي بن هشام فاستبطأه فقال له: أنت على جواد إن تركته سار وإن ضربته طار وأنا على معرف إن تركته وقف وإن شربته قطف وقال بعض الشعراء يصف فرسا سبق حلبة فقال:

جاء كلمع البرق جاش ناظره ... يرسب أولاه ويطفو آخره

فما يمس الأرض منه حافره

وقال أبو عبادة البحتري:

كالهيل المبني إلا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل

جد لأن ينقض عذرة في غرة ... يقف تسيل حجولها في جندل

صافي الأديم كنا عنيت له ... لصفاء نقبته مدارس صيقل

هزج الصهيل في نفحاته ... فبرات معبد في الثقيل الأول

وقال أبو الفرج الببغاء:

إن لاح قلت أدمية أم هيكل؟ ... أو عن قلت أسابح أم جدال؟

تتخاذل الألحاظ في إدراكه ... ويحار فيه الناظر المتأمل

فكأنه في اللطف منهم ثاقب ... وكأنه في الحسن حظ مقبل

وقال محمد بن هاني الأندلسي:

عرفت بساعة سبقها لأنها ... علقت بها الرهان عيون

واجل علم البرق فيها إنها ... مرت بجانحيته وهي ظنون

ولآخر:

منع القوائم أن تمس بها الثرى ... فكأنه في جريه متعلق

وكأن أربعة تراهن طرفه ... فيكاد يسبقه إلى ما يرمق

وقال عبد الجبار بن محمد بن حمد يس الصقلي:

شطر أولومجرر في الأرض ذيل عسيبه ... حمل الزبرجد منه جسم عقيق

يجري فلمع البرق في آثاره ... من كثرة الكبوات غير مفيق

ويكاد يخرج سرعة من ظله ... لو كان يرغب في قران صديق وقال أبو الفتح كشاجم:". (١)

٨٢-"الحد الأول

في العقل والعلم والجهل وما يتعلق بها

فمما جاء في العقل والحمق

وذم اتباع الهوى ما يحد به العقل وبنوه والحمق وذووه: قيل: العقل، الوقوف عند مقادير الأشياء قولا وفعلا. وقيل: النظر في العواقب، وقال المتكلمون: اسم لعلوم إذا حصلت للإنسان صح تكليفه. وقيل: العاقل من له رقيب على جميع شهواته. وقيل: من عقل نفسه عن المحارم، ولذلك لم يصح وصف الله تعالى به. والحمق قلة الإصابة ووضع الكلام في غير موضعه. وقيل: فقدان ما يحمد من العاقل.

مدح العقل وذم الحمق

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما اكتسب ابن آدم أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى. وقيل: الحمق يسلب السلامة ويورث الندامة، والعقل وزير رشيد وظهير سعيد، من أطاعه أنجاه، ومن عصاه أرداه. وقيل: لو صور العقل لأضاء معه الليل، ولو صور الجهل لأظلم معه النهار؛ وقال المتنبي:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

حاجة الفضائل إلى العقل

قيل: العقل بلا أدب فقر، والأدب بغير عقل حتف. وقيل: بلوغ شرف المنزلة بغير عقل إشفاء على الهلكة. وقيل: من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه.

ذم من له أدب بلا عقل

وصف أعرابي رجلا فقال: هو ذو أدب وافر وعقل نافر.

فهبك أخا الآداب، أي فضيلة ... تكون لذي علم، وليس له عقل؟

وقيل: ازدياد الأدب عند الأحمق كازدياد الماء العذب في أصول الحنظل، كلما ازداد ريا ازداد مرارة.

حاجة العقل إلى الأدب

عاقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح، العقل والأدب كالروح، والجسد بغير روح صورة، والروح بغير جسد ريح. وقيل: العقل بغير أدب كأرض طيبة خربة، وأن العقل يحتاج إلى مادة الحكمة كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الطعام.

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر ص/٥٢

ضياع العقل بفقد التقو:

قيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن إنسان عبادة قال كيف عقله؟ فإن قالوا عاقل قال: ما أخلقه أن يبلغ، وإن قالوا ليس بعاقل قال: ما أخلقه أن لا يبلغ. وقال الحسين: ثلاثة تذهب ضياعا: دين بلا عقل، ومال بلا بذل، وعشق بلا وصل. وقيل: لا تعتدوا بعبادة من ليس له عقدة من عقل.

فضل اجتماعهما

قال معاوية لرجل حكيم مسن: أي شيء أحسن؟ فقال: عقل طلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة.

عزة العقل

كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل، فإنه كلما كثر كان أغلى ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله، أول شرف العقل أنه لا يشترى بالمال.

قلة العقل وذويه:

قيل لبهلول: عد لنا المجانين: فقال: هذا يطول ولكني أعد العقلاء! ومثله وإن لم يكن من بابه: أن رجلا كتب كتابا وعرضه على آخر فقال فيه خطأ كثير، فقال الكاتب: علم على الخطأ لا صلحه. فقال: بل أعلم على الصواب فهو أسهل. وقيل لرجل: ما جماع العقل؟ فقال: ما رأيته مجتمعا في أحد فأصفه، وما لا يوجد كاملا لا يحد.

فضل مصاحبة العقلاء:

قال الزهري: إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعاقل. وقال: عدوك ذو العقل أبقى عليك وأرعى من الرامق الأحمق.

تبرم العقلاء بصحبة الجهال:

قيل: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسر منه بلين العيش مع السفهاء. وقيل: قطيعة الجاهل تعدل صحبة العاقل.

لم يبل ذو الجهل الذي ... دارت عليه صروف دهره

ببلية أشجى له ... من جاهل يزري بقدره

يمضي حكومته عليه ... بجهله وجواز أمره

النهي عن مصاحبة الجاهل:

قال لقمان: لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال، وأنظر إلى السيف ما أحسن منظره. وقال الجاحظ: لا تجالس الحمقى فإنه يعلق بك من مجالستهم من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرا من الصلاح، فإن الفساد أشد التحاما بالطباع. وقيل: العاقل يضل عقله بمصاحبة الجاهل.

استعمال العقل والجهل مع ذويهما:

قيل: العاقل يعامل الإنسان على خليقته ويجاري الزمان على طريقته:

فكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم ... وإن كنت في الحمقى فكن مثل أحمق

أحامقه حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل، لكنت أعاقله

ذم عاقل متجاهل:". (١)

٨٣-"قيل لبعض الحكماء: هل شيء أضر من التوانئ؟ فقال: الاجتهاد في غير موضعه. وقيل: العجز عجزان عجز التقصير وقد أمكن، والجد في طلبه وقد فات؛ أخذه الشاعر فقال:

تتبع الأمر بعد الفوت تغرير ... وتركه مقبلا عجز وتقصير

وقيل: شر الرأي الدبري؛ قال الشاعر:

أصبحت تنفخ في رمادك بعدما ... ضيعت حظك من وقود النار

الأمر بترك التلهف على ما فات:

قال الله تعالى: " لا تأسوا على ما فاتكم " . قيل أكبر الأدواء للبدن التلهف على ما لا يدرك. إن ليتا وإن لوا عناء.

؟؟؟؟؟؟إظهار الندامة والتأسف:

قال الشاعر:

عضضت أناملي وقرعت سني

الكسعي وخبره المشهور:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وهذا هو المضروب به في الندامة، وإياه عنى الفرزدق بقوله:

ندمت ندامة الكسعي لمل ... غدت مني مطلقة نوار

صخر بن عمرو:

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

وآخر كنت كناشب في الوحل ينوي ... نهوضا، وهو يزداد ارتطاما

؟؟مدح من لا يندم فيما يباشره:

أبو الأصمع:

لا ينهض العجز في أعقاب نهزته ... ولا يصاحب عزما حين يحتزم

المتنبي:

فما تكشفك الأعداء عن ملل ... من الحروب ولا الآراء عن زلل

الموسوي في مدح بعضهم: في قرعه سنه لا يطمع الندم.

النهي عن الأغترار:

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١

في المثل: عش ولا تغتر.

وقيل: برد غداة غر عبدا من ظما. وقيل: الفرار بقراب أكيس. وقيل: لا تكن كمن أراق الماء واتبع السراب.

الأمر بالإقدام بعد الإتضاح والمدح بذلك:

رو بحزم، إذا استوضحت فاعزم. وقيل: أحزم الناس من إذا وضح له الأمر صدع فيه. وقيل: أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان والتأني بعد الفرصة؛ قال الشاعر:

وواقف عند الأمر ما لم يضح له ... وامضي إذا ما هم من كان ماضيا

مدح التجارب:

التجارب ليس لها نهاية، والمرء منها أبدا في زيادة. وقيل: العقل كالسيف والتجربة كالمسن. وقيل: التجارب مرائي الغيوب ونواظر العيوب.

مدح مجرب:

قيل: فلان حلب الدهر أشطره، وهو شراب بأنقع، وهو مؤدم مبشر؛ قال الشاعر:

حلبت الدهر من عسل وصاب ... وذريت الزمان بكل ريح

ومدح أعرابي قوما فقال: أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة.

ذم غير مجرب:

قيل: فلان غفل لم تسمه التجارب ولم تفترعه النوائب، وغفل لم تسمه النوب ولم يعض غاربه القنب. **وصف أعرابي** واليا مغترا فقال: ما أطول سكر كأس شربها فلان، ولم يخف من عاقبتها الخمار.

المصيب بظنه:

قيل: من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم. وقال عليه الصلاة والسلام: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. وكأن عمر رضي الله عنه يقال له المحدث لصحة ظنه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن يكن في هذه الأمة محدث فهو عمر.

ويقال: فلان ألمعي. وقيل: ما تزاحمت الظنون على أمر مستور إلا كشفته؛ قال الشاعر:

إذا ما ظن أعرض أو أصابا

وقال:

نجيح مليح أخو مارق ... يكاد يخبر بالغائب

البحتري:

وإذا صحت الروية يوما ... فسواء ظن امرىء وعيانه

الموسوي:

ولا علم لي بالغيب إلا طليعة ... من الحزم لا يخفى عليها المغيب

مدح الشك وسوء الظن:

قيل: بوحشة الشك ينال أنس اليقين. وقيل: عليك بسوء الظن فإن أصاب فالحزم، وإن أخطأ فالسلامة؛ قال:

وحسن الظن عجز في أمور ... وسوء الظن يأخذ باليقين

وقيل: من أطال الركون قل ركونه. وقول الله تعالى: " إن بعض الظن إثم " دلالة على أن جله صواب. وقال عبد الملك: فرق ما بين عمر وعثمان، أن عمر أساء ظنه فأحكم أمره، وعثمان أحسن ظنه فأهمل أمره. وقيل لبعضهم: أسأت الظن، فقال: إن الدنيا لما امتلأت مكاره وجب على العاقل أن يملأها حذرا. أبو محمد الخازن:

وما شكي وإن أكثرت إلا ... محاماة على الشيء اليقين

ذمهما:". (١)

٨٤-"قال شعبة: إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون؟ وقال محمد بن مطيع: رأيت الحسن بن زياد أسوأ الناس صلاة، فعاتبته فقال: ما طلب الحديث أحد إلا ساءت صلاته! وقال عمرو بن الحارث: ما رأيت علما أشرف ولا أوضع أهلا من الحديث، وهم شر خلف من خير سلف.

مدح الإسناد:

قيل: الإسناد قيد الحديث. وقيل: الحديث من غير إسناد كالجمل بلا زمام وخطام. **وصف أعرابي** رجلا فقال: ما أحسن حديثه لو أن له سلاسل يقاد بها، يعني الأسانيد؛ قال:

ونص الحديث إلى أهله ... وإن الأمانة في نصه

وقيل في قوله تعالى: " أو أثارة من علم " إنه الأسانيد.

ذمه:

طلب رجل من الحسن إسناد حديث، فقال: وما تصنع به، وقد نالتك عظته، وقامت عليك حجته؟ وقيل لرجل: كتبت حديثا بغير إسناده؛ قال: إني أريده للعمل لا للتسوق والتجمل. وسأل رجل آخر عن إسناد شعر فقال: والله ما تركت الحديث إلا بغضا للإسناد، وأنت تسألنيه في الأشعار!

مدح النحو:

النحو نصاب العلم ونظامه وعموده وقوامه، ووشي الكلام وحلته وجماله وزينته. وقيل: النحو يرفع الوضيع ويخفض الرفيع، وكان معلم الرشيد يضرب على الخطأ واحدا وعلى اللحن سبعا.

ذمه:

نظر بعض الرؤساء إلى ابنه وهو ينظر في كتاب سيبويه فقال: أف لك! علم المؤدبين وهمة المحتاجين. وقيل: من كثرت عليه العربية أظلمت عليه الروية. وقيل: إذا كتبت كتابا فالحن فيه فإن العربية مجدودة. ومما يتصل بهذا الباب أن بعض الفصحاء

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٥

كان يدخل على بعض عمال البصرة وهو يعرب في كلامه، فقال له يوما: إن لم تترك الإعراب ضربتك. فقال: إني إذا أشقى الناس به. ضربت صغيرا لأتعلم وضربت كبيرا لأترك.

ذم الكثير منه:

ذكر النحو عند المأمون فقال: علم يغنيك أدناه عن أقصاه. وقال أبو حنيفة: المكثر من النحو كالمكثر من غرس شجر لا يثمر. وقيل: النحو ملح العلم، ومتى استكثر من الملح في الطعام فسد. وذكر أهل النحو عند بعض البلغاء فقال: أغزرهم علما أنزرهم فهما!

مدح العروض وذمه:

قيل: معرفة العروض تسهل عليك ما تعوج من الشعر، فإنه نصابه ونظامه وعموده وقوامه. وعاب النظام الخليل فقال: تعاطى ما لا يحسنه ورام ما لا يناله، وفتنته دوائره التي لا يحتاج إليها غيره. ودخل أعرابي مسجد البصرة فانتهى إلى حلقة علم يتذاكرون الأشعار والأخبار، وهو يستطيب كلامهم، ثم أخذوا في العروض فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليه ما لم يعرفه فظن أنهم يأتمرون به، فقام مسرعا وخرج وقال:

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

لما سمعت كلاما لست أعرفه ... كأنه زحل الغربان والبوم

وليت منفلتا والله يعصمني ... من التقحم في تلك الجراثيم!

ابن طباطبا:

كل العلوم يزين المرء بهجتها ... إلا العروض فقد شانت ذوي الأدب

بي الدوائر دارت من دوائرها ... ما لإمرىء أرب في ذاك من أرب

فاستعمل الذوق في شعر تؤلفه ... وزن به ما بنوا في سالف الحقب

مدح الملح:

قال الأصمعي: نلت بالعلم وصلت بالملح. وقيل: النوادر تفتح الآذان وتفتق الأذهان وقال أبو عبيدة: الملح مروءة تنفق عند الأشراف، فارتادوا لها وانظروا عند من تضعونها.

مدح الكلام:

قيل: المتكلمون دعائم الدين، ولولاهم لأضلت الملحدة كثيرا من الناس. وروي أن ملك الصفد كتب إلى الرشيد يسأله أن يبعث إليه من يعلمه الدين فدعا يحيى بن خالد يعرض عليه الكتاب، فقال يحيى: لا يقوم لذاك إلا رجلان ببابك: هشام بن الحكم، وضرار، فقال: كلا إنهما مبتدعان فيلقنان القوم ما يفسدهم ويغويهم بالمسلمين، ليس لذلك إلا أصحاب الحديث. فقال يحيى: أصحاب الحديث لا يحسنون وأهل الصفد قد غلب عليهم الثنوية، فأبى أبو يوسف ووجه بعض أصحاب الحديث، فلما ورد أكله أهل صفد بالحجج، فقال ملك الصفد: ما أضعف دينكم وحججكم! فضحك صاحب الحديث، فقال الملك: وما هذا الضحك؟ فقال: أنا لسنا أصحاب الحجج، فإننا مقلدة، وعندنا من له الجدل وعنده الحجج ولا يقوى لهم أحد، وقد أشار بعض المحصلين على صاحبنا أن لا يبعثنا فوقع الغلط عليه.

ذمه:". (١)

٨٥-"قيل لأبي عمرو بن العلاء: لم كانت العرب تطيل؟ قال: ليسمع منها. قيل: فلم توجز؟ قال: ليحفظ عنها؛ وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

يرمون بالخطب الطوال، وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقال ابن قدامة: البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة وهي مطابقة اللفظ والمعنى لا زائدا ولا ناقصا، والإشارة وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة، والتذييل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه. شاعر:

يكفي قليل كلامه وكثيره ... ثبت إذا طال النضال مصيب

وأمر يحيى بن خالد كاتبين أن يكتبا في معنى، فأوجز أحدهما وأطال الآخر، فقال للموجز، لما نظر في كتابه: لم أجد موضع مزيد، وقال للمطيل: لم أجد موضع نقصان. وقال جعفر ابن يحيى: إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار هذرا، وإذا كان التطويل واجبا كان التقصير عجزا.

استقباح إعادة الحديث:

قيل: الحديث الرجيع، كالحدث والرجيع. وقيل: إذا أعيد الحديث ذهب ضوؤه ورونقه. قال ابن السماك لجارية له تصغي إلى كلامه: كيف تجدين كلامي؟ قال: ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده! قال: إنما أردده ليفهمه من لم يفهمه! قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه مله من قد فهمه. وقيل لرجل كلاما لغبي: قد ثقل كلامك على الذكي، قبل حصوله في قلب الغبي.

ذم إطالة الحديث:

قيل: من أطال حديثه فقد عرض أصحابه للسآمة وطول الاستماع. وقال سقراط لرجل: أنساني أول كلامك بعد العهد بآخره، وفارق آخره فهمي لتفاوته. وخطب رجل خطبة نكاح، فأخذ يطيل فقام بعض الحاضرين فقال: إذا فرغ الخطيب فبارك الله لكم، فإني على شغل.

الموصوف بالفصاحة:

سمع أعرابي الحسن يتكلم فقال: هو فصيح إذا لفظ نصيح إذا وعظ. وقال:

ملقن ملهم فيما يحاوله ... جم خواطره جواب آفاق

وقيل: انتهت الفصاحة إلى أربع: علي وابن عباس وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم. قال الشعبي: ما رأيت أحدا يتكلم فيحسن إلا أحببت أن يسكت، إلا زياد فإنه لم يخرج قط من حسن إلا إلى ما هو أحسن منه. وقال يحيى بن زياد: فلان أخذ بزمام الكلام فقاده أحسن مقاد، وساقه أحسن مساق، فاسترجع به القلوب النافرة واستصرف له الأبصار الطامحة. وقيل: كلام كنظم الجمان وروض الجنان، فكأنه من كل قلب ينظم.

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١١

أبو تمام:

من السحر الحلال لمجتنبه ... ولم أر قبله سحرا حلالا!

الخنساء:

كأن كلام الناس جمع حوله ... فأطلق في إحسانه يتخير

فضيلة اللسان:

قال العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: فيم الجمال؟ قال: في اللسان. وقيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة. وذكره بعضهم فقال: لله دره من عضو ما أصغره وأكثر ضره ونفعه! وقيل: مروءتان ظاهرتان: الفصاحة والرباش.

موصوف لسانه بالصرامة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه: ما بقي من لسانك؟ فضرب به أرنبته وقال: والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه! قال الله تعالى: سلقوكم بألسنة مداد. **ووصف أعرابي** رجلا فقال: لسانه أدق من ورقة وألين من سرقة.

الغساني:

له بين فكيه لسان كأنه ... حسام دقيق الشفرتين عتيق

آخر:

وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

آخر:

وحسبت أنه لسانه من عضبه

وصف كلام بالسلاسة:

قيل: لو كان الكلام طعاما لكان هذا أداما. كلام يقطر عسله. هذا والله نثر نغم أحسن من نثر نعم. كلام كالويل في المحل. وتكلم المأمون بكلام حسن في مسألة ثم قال لبعض ندمائه: كيف كان الكلام في هذه المسألة؟ قال: كان والله كغيث وقع على أرض عطشة. فقال: جوابك هذا أحلى لدي من الأمن بعد الخوف! المتنبي:

إذا ما صافح الأسماع يوما ... تبسمت الضمائر والقلوب!

قال ابن المقفع: ما زالت ينابيع حكمه تترقرق في معابر الآذان حتى ملأت القلوب عقولا، اللفظ لحسن إحدى النفاثات في العقد. وقيل في وصف كلام: إنه يحط الجندل ويثقب الخردل، وإنه دون السحر وفوق الشعر.

لفظ ساعد المعنى في الجودة:

مدح أعرابي رجلا فقال: كأن ألفاظه قوالب لمعانيه. قال الشاعر:

تزين معانيه ألفاظه ... وألفاظه زائنات المعاني". (١)

٨٦-"أول من عقد البيعة لغيره أبو بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعقد معاوية البيعة ليزيد ابنه وهو معروف، ولما قعد للبيعة دخل رجل فقال: اعلم أنك لو لم تولي هذا أمر المسلمين لأضعتهم! فقال للأحنف: لم لا تقول؟ فقال: أخاف الله إن كذبت، وأخافك إن صدقت! فقال: جزاك الله عن الإسلام خيرا. ولما شاور السفاح سعد بن عمرو المخزومي في عقد البيعة لعمه دون أخيه قال له: أحدثك بحديث، كنت مع مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية فبلغه وفاة سليمان وولاية عمر بن عبد العزيز الخلافة، فجزع جزعا شديدا فقلت: لا تجزع لموت سليمان، ولكن اجزع لخروج الأمر من ولد أبيك إلى ولد جدك! فأمسك السفاح وعقد البيعة للمنصور.

وال مراع لرعيته:

وصف أعرابي واليا فقال: كان إذا ولي طابق بين جفونه، وأرسل العيون على عيونه، فهو شاهد معهم غائب عنه، فالمحسن آمن، والمسيء خائف. وقيل: من دبر حاشيته ضبط قاصيته. وقال إبراهيم الموصلي:

أصبحت راعينا وحارس أمرنا ... والله من عرض الردى لك حارس

صلاح الرعية لصلاح الرعاة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تهلك الرعية وإن كانت ظالمة مسيئة إذا كانت الولاة هادية مهدية. وقيل: زمانكم سلطانكم، فإذا صلح سلطانكم صلح زمانكم. وقيل: صنفان لو صلحا صلح الناس: الفقهاء والأمراء. وقال بزرجمهر: إذا هم الإمام بظلم ارتفعت البركة. وروي في الخبر: إذا جار السلطان في ناحية ضرى سباعها. وقيل: إذا رضي الراعي بفعل الذئب لم تنبح الكلاب على الغريب. وقيل: أوتي عمر رضي الله عنه بتاج كسرى فقال: إن الذي رد هذا لأمين! فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين الله، فإن أديت أدوا، وإن ربعت ربعوا، قال: صدقت! قال الشاعر:

ونفسك فاحفظها من الغي والردى ... متى تغويها يغو الذي بك يقتدي

صلاح الولاة بصلاح الرعية:

قال عبد الملك: إنكم لتسومون منا فعل أبي بكر وعمر، ولستم تعملون بعمل رعيتهما، فأعان الله كلا على كل. وكتب المهدي في جواب كتاب جاء بشكوى عامل: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وقيل، شيئان صلاح أحدهما بصلاح الآخر: الرعية والسلطان.

خصب الزمان وطيبه بعدل الولاة وجدبه بجورهم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرض لتزين في عين الخليفة إذا كان عليها إمام عادل، وتقبح في أعينها إذا كان عليها إمام جائر. وروي أن أبرويز نزل بامرأة متنكرا، فحلبت بقرة لها فرأى لبنا كثيرا، فقال للمرأة: كم يلزمك في السنة لهذه البقرة للسلطان؟ قالت: درهم واحد. قال: وأين ترتع وبكم بها ينتفع؟ قالت: ترتع في أرض السلطان، ولي منها قوتي وقوت عيالي؛

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٢

فتفكر في نفسه وقال: إن الواجب أن تجعل أتاوى على الأبقار فلأصحابها نفع عظيم. فما لبث أن قالت المرأة: أوه! إن سلطاننا هم بجور. فقال لها ابرويز: ولم؟ قالت: إن در البقرة انقطع وإن جور السلطان مقتض لجدب الزمان، كما أن عدله مقتض لخصب الزمان! فأقلع أبرويز عما هم به وتاب مما خطر بقلبه، وكان بعد ذلك يقول: إذا هم بجور ارتفعت البركة! وقال سقراط: ينبوع فرح العالم الملك العادل، وينبوع حزنهم الملك الجائر. وقال الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة لما أجعلها إلا في الإمام، لأنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمن العباد. فقبل ابن المبارك رأسه وقال: من يحسن هذا غيرك؟ وكان رجل يساير عاملا فمر بقصر خرب عليه زوجا بوم، والذكر يصرصر للأنثى، فقال العامل للرجل: ما يقول هذا البوم؟ فقال: إن أمنتني أخبرتك بما يقولان! فقال: أنت آمن. قال: إن الذكر خطب الأنثى فقالت: لا أجيبك حتى تجعل مهري عشرين قرية خربة، فقال الذكر: إن بقي لنا هذا العامل سنة أمهرتك خمسين قرية! فغضب العامل وقال: لولا أني آمنتك لعاقبتك! وقيل: عدل السلطان خير من خصب الزمان، وسلطان عادل خير من مطر وابل.

تفويض كل أمر إلى المستصلح له:". (١)

٨٧-"وقيل: لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه، وانظروا إلى سرعة ظعنه ومكنون حزنه وسوء منقلبه!

من أظهر الندامة عند الموت من الكبار لما ثقل:

عبد الملك رأى غسالا فقال: وددت أني كنت غسالا لا أعيش إلا بما كسبت يوما فيوما. فذك ذلك لأبي حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنى عنده ما هم فيه. وكان يقول: بعنا الدنيا والآخرة بغفوة.

ممتنع من الولاية:

في الخبر: نودي لقمان إني أجعلك خليفة في الأرض. فقال: إن أجبرني ربي فسمعا وطاعة، وإن خيرني اخترت العافية فولاء الحكمة وصرفت الخلافة إلى داود عليه السلام، فكان إذا رآه داود قال: وقيت الفتنة يا لقمان! وقيل لبعضهم: ما يمنعك من الإمارة؟ قال: حلاوة رضاعها ومرارة فطامها! وبعث هشام إلى إبراهيم بن جبلة فقال: إنا قد عرفناك صغيرا، وخبرناك كبيرا، ورضينا سيرتك، وقد رأيت أني أشركك في عملي، وقد وليتك خراج مصر؛ فقال: أما الذي عليه رأيك فالله يجزيك، وأما أنا فما لي بالخراج بصر! فضحك وقال: لتلين طائعا أو كارها، فتركه حتى سكنت سورة غضبه ثم قال: إن الله تعالى يقول، إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها! فما غضب حيث أبين ولا أكرههن إذ كرههن، فأنت حقيق أنها لا تغضب ولا تكره. فغضب وتركه. ولما أراد عمرو بن هبيرة تولية إياس القضاء قال له: إني لا أصلح لأني عيي دميم حديد! فقال: أما الحدة فالسوط يقومك، وأما الدمامة فإني لا أحاسن بك، وأما العي فإنك تعبر عما تريده. فولاه.

حث الوالي على إدخار الإحسان:

قال جعفر بن محمد: كفارة عمل السلطان إلى الإخوان. وقال بعضهم لوال:

---

(١) محاضرات الأدباء ٧١/١

بادر بإحسانك الليالي ... فليس من غدرها أمان!

وقيل: أحسن والدولة تحسن إليك. وأنشد:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل خافقة سكون

ولا تزهد عن الإحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون

وقيل: اجعل زمان رخائك عدة لزمك بلائك. وقيل: تودد الرجل في علو مرتبته ذب الشماتة أيام سقطته. واستعمل عمر رضي الله عنه رجلا فقال: إن العمل كبير فانظر كيف تخرج منه.

ذم مغتر بولايته:

وصف أعرابي واليا فقال: ما أطول سكر كاس شربها فلان، ولما من عاقبتها أشد سكرا، ولئن كانت الدنيا مشغولة به ليوشك أن تكون فارغة منه، حيث لا يرجى له أوبة ولا تقبل له توبة! وذكر الأصمعي أن قول الشاعر:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف غب ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

كأنما أخذ من قوله تعالى: " حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة " . ودخل الأنباري الشاعر على الصاحب بالأهواز، وكان نازلا في دار ابن بقيه ، فلم يعرفه الصاحب ولم يلتفت إليه فأنشأ يقول:

اسمع مقالي ولا تغضب علي فما ... أبغي بذلك لا بذلا ولا عوضا

في هذه الدار في هذا الرواق على ... هذا السرير رأيت الملك فانقرضا

فقال له: من أنت؟ فانتسب له، فأقبل عليه وأكرمه وخوله.

البسامي:

فلا يغرركم نعم توالت ... فإن الدهر حال بعد حال

تهديد وال بعزله:

إبراهيم بن العباس الصولي:

أبا جعفر خف نبوة بعد دولة ... وعرج قليلا مدى غلوائكا

فإن يك هذا اليوم يوما حويته ... فإن رجائي في غد كرجائكا

جحظة:

قد نلتم منحة ما نالها بشر ... وحزتم نعمة ما حازها ملك

فليت شعري أمقدار تعمدكم ... بما أتاكم به أم خولط الفلك؟

ونظر الفضل بن مروان في رقاع الناس فإذا رقعة فيها:

تعززت يا فضل بن مروان فاعتبر ... فقبلك كان الفضل، والفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم ... أبادهم الأقياد والحبس والقتل

وإنك قد أصبحت في الناس ظالما ... ستودي كما أودى الثلاثة من قبل

يعني الفضل بن يحيى، والفضل بن ربيع، والفضل بن سهل. وقال رجل لبعض الولاة: ما أنت إلا أن يزيلك القدرعن القدرة، فتحمل على المذلة والحسرة.

تمنى العزل له تبرما به:". (١)

٨٨-"في كتاب كليلة: ليس بين العداوة الجوهرية صلح وإن اجتهد، فالماء وإن أطيل اسخانه فليس يمتنع من اطفاء النار إذا صب عليها. وحكي عن أعرابي أخذ جرو ذئب فرباه بلبن شاة عنده وقال: إذا ربيته مع الشاة يأنس بها فيذب عنها، ويكون أشد من الكلب ولا يعرف طبع أجناسه، فلما قوي وثب على شاته فافترسها! فقال الأعرابي:

أكلت شويهتي ونشأت فينا ... فما أدراك أن أباك ذيب؟

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الود والعداوة يتوارثان. وقيل: لكل حريق مطفئ، فللنار الماء، وللئيم العداوة، وللحزين الصبر، وليس للحقد الغريزي دواء!

المسرة بوقوع المعاداة بين أعدائك:

في كتاب كليلة: من حق العاقل أن يرى معاداة بعض عدوه لبعض ظفرا حسنا، ففي اشتغال بعضهم بعض خلاصه منهم. وفي الأدعية المجمع عليها: اللهم أخذل الكافرين وأوقع بينهم العداوة والبغضاء.

دنيء يعاديك بلا سبب:

عبد الصمد:

رب من يشجيه أمري ... وهو لم يخطر ببالي

قلبه ملآن من ذكري وقلبي منه خال!

الموسوي:

يسطو بلا سبب وتلك طبيعة الكلب العقور

المتنبي:

واتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكله

تأسف من يعاديه لئيم أو دنيء:

علي بن الجهم:

بلاء ليس يشبهه بلاء: ... عداوة غير ذي حسب ودين

يبيحك منه عرضا لم يصنه ... ويرتع منك في عرض مصون

ولما حاصر المنصور ابن هبيرة أن بارزني فقال: لا أفعل. فقال ابن هبيرة: لأشهرن امتناعك ولأعيرنك به! فقال المنصور:

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٧٨

مثلنا ما قيل أن خنزيرا بعث إلى الأسد وقال قاتلني، فقال الأسد لست بكفؤي، ومتى قتلتك لم يكن لي فخر، وإن قتلتني لحقني وصم عظيم، فقال لأخبرن السباع بنكولك، فقال الأسد: احتمال العار في ذلك أيسر من التلطخ بدمك! وفي عذر من يخاصم دنيئا ويدافعه، قول المتنبي:

إذا أتت الإساءة من وضيع ... ولم ألم المسيء فمن ألوم؟

الحث على العداوة بالفعل لا القول:

قيل: غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله. وولى أبو مسلم رجلا ناحية فقال له: إياك وغضبة السفلة فإنها في ألسنتها، وعليك بغضبة الأشراف فإنها تظهر في أفعالها.

الحث على أمانة الحقد:

أرسطوطاليس: استعد لإهماد لهب العداوة بالأناة قبل تلهب ناره، فإن إطفاءه قبل انتشاره سهل يسير. وقيل: ما أحسن بالرجل أن يحسن مداراة عدوه حتى يطفئ سورة ناره. وقال بعض أصحاب المأمون يوما: إن عجيف بن عنيسة خبيث النية رديء السريرة وأراك قد قربت مجلسه! فقال: والله لأحسنن إليه ولأتفضلن عليه حتى أكون أحب الناس إليه، فلم يزل يختصه حتى صار يبذل دونه مهجته.

مدح الحقد وذويه:

وصف أعرابي حقودا فقال: يحقد حقد من لا ينحل عقده ولا يلين كيده! وقال يحي لعبد الملك ابن صالح: إنك حقود! فقال: إن كان الحقد عندك بقاء الخير والشر إنهما عني لثابتان، فلما قال يحي: ما رأيت من احتج للحقد حتى حسنه سواه! وقيل لرجل: إنك لحقود! فقال:

وإن امرأ لم يحقد الوتر لم يكن ... لديه لذي النعما جزاء ولا شكر

ابن الرومي:

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى ... وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض

إذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع ... من البذر فيها فهي ناهيك من أرض!

الأخطل: شمس العداوة حتى يستقاد لهم.

ذم الحقد وذويه:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ترفع أعمال العباد فترفع إلى الله في كل جمعة، فيغفر للمستغفرين ويرحم المترحمين، ويترك أهل الحقد لنيتهم. وقيل للأحنف: من أسود الناس؟ فقال: الأخرق في ماله المطرح لحقده!

أسباب العداوات:

شكل رجل إلى سهل بن هارون عداوة رجل فقال: العداوة تكون من المشاكلة والمناسبة والمجاورة واتفاق الصنائع، فمن أيها معاداته لك؟ وقال رجل آخر: إني أخلص لك المودة. فقال: قد علمت. قال: كيف علمت وما معي من الشاهد إلا قولي؟ قال: إنك لست بجار قريب، ولا بابن عم نسيب! ولا بمشاكل في صناعة! وقيل لشبيب بن شبة: ما بال فلان يعاديك؟

فقال: لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلد ورفيقي في الصناعة. وقيل: كل عداوة لعلة فإنها تزول بزوال العلة، وكل عداوة لغير علة فإنها لا تزول.". (١)

٨٩-"رجحتم على أكفائكم إذ وزنتم ... وهل يستوي الآلاف والعشرات

أبو تمام:

محاسن أقوام متى تقرنوا بها ... محاسن أقوام تكن كالخبائث

من يبكت مساميه ومباريه:

بشار:

أيها الجاهل المباهي بريدا ... ليس بدر السماء منك بدان

أبو تمام:

ويا أيها الساعي ليدرك شأوه ... ترحزح قصيا أسوأ الظن كاذبه

بحسبك من نيل المكارم أن ترى ... عليما بأن ليست تنال مناقبه

آخر:

نحيت بيربوع لتدرك دارما ... ضلالا لمن مناك تلك الأمانيا

سعيت شباب الدهر لم تستطعهم ... أفالآن لما أصبح الدهر فانيا

الموسوي:

يريد المعالي عاطل من أداتها ... وهيهات من محصوصة طيرانها

حث من يحسد فاضلا أن يفعل فعله:

رأى الحسن قوما يتهافتون على جنازة بعض الصالحين فقال: مالكم تتهافتون على ما لا يجدي عليكم؟ هاهي الأسطوانة التي كان يلزم، ألزموها تكونوا مثله.

أسجع:

يريد الملوك مدى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنع

ابن المعتز:

يا طالبا للملك كن مثله ... تستوجب الملك وإلا فلا

وأنشد أبو العيناء:

إذا أعجبتك خلال امرئ ... فكنه يكن منك ما يعجبك

الموصوف بأنه نال السماء رفعة:

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١١٥

تميم بن مقبل:

نالوا السماء فأمسكوا بعنانها ... حتى إذا كانوا هناك استمسكوا

صاحب البصرة:

ملكنا السماء بأحسابنا ... ولولا السماء ملكنا السما

أخذه من قول النابغة الجعدي:

بلغنا السماء نجدة وتكرما ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وأنشد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إلى أين؟ فقال: إلى الجنة! فقال صلى الله عليه وسلم: لا فض فوك! الفرزدق:

فلو أن السماء دنت لمجد ... ومكرمة دنت لهم السماء

النازل ذروة الشرف:

شاعر:

سما فوق صعب لا تنال مراتبه

حسان:

سموت إلى العلياء بغير مشقة ... فنلت ذراها لا دنيئا ولا وغلا

ابن الرومي:

تدلوا على هام المعالي إذا ارتقى ... إليها أناس غيرهم بالسلالم

غيره:

على قمة المجد المؤثل جالس

المبادر إلى تناول المكرمات:

يستحسن في هذا المعنى قول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد ... وقصر مبتغوها عن مداها

وضاقت أذرع المثرين عنها ... سما أوس إليها فاحتواها

ابن الرومي:

سجايا إذا همت بخير تسرعت ... إليه، وإن همت بشر تناءت

وصف أعرابي رجلا فقال: هو وساع إلى الخير قطوف عن الشر؛ وعكس ذلك شاعر فقال:

هو في الخير قطوف ... وهو في الشر وساع

المختصر طريق المكرمات:

البحتري:

له طريق إلى العليا مختصر

ابن طباطبا:

كأنه من سمو همته ... يأتي طريق العلا فيختصر

الرفاء:

قلت إذا برز سبقا في العلا: ... إلى المجد طريق مختصر

المتدرع للعلا:

شاعر:

ألبسه الله ثياب العلا ... فلم تطل عنه ولم تقصر

أشجع:

مكارم ألبست أثوابها ... كل جديد عندها بال

الأخطل:

وأقسم المجد حقا لا يخالفهم ... حتى يحالف بطن الراحة الشعر

وقيل: المجد دثاره والكرم شعاره.

من انتهى إلى العلا ابتداء منه:

أحمد بن أبي طاهر:

خلائقه للمكرمات مناسب ... تناهى إليه كل مجد مؤثل

أبو تمام:

ما أنشئت للمكرمات سحابة ... إلا ومن أيديهم تتدفق

الموصوف بأنه يحمي المكرمات:

قال أعرابي لقوم: أنتم والله حضان الشرف. وقال رجل لآخر: لو وجد الكرم في يد غيرك لعلم أنه ضالة لك.

أبو شراعة:

مولى المكارم يرعاها ويعمرها ... إن المكارم قد قلت مواليها

أبو تمام:

قوم تراهم غيارى دون مجدهم ... حتى كأن المعالي عندهم حرم

أبو تمام:

مضوا وكأن المكرمات لديهم ... لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

آخر:

يحمي شريعة مجد غير مورود

من ارتفع بيت شرفه:

شاعر:". (١)

٩٠-"فإما بيتكم إن عد بيت ... فطال السمك وارتفع الفناء

وإما أسه فعلى قديم ... من العادي إن ذكر البناء

أبو تمام:

له نبعة فرعها في السماء ... وفي هامة الحوت أعراقها

أبو فراس:

لنا بيت على عنق الثريا ... بعيد مذاهب الأطباب سام

تظلله الفوارس بالعوالي ... وتفرشه الولائد بالطعام

آخر:؟

له قبة في المجد رأس عمادها

المتدرع للمعالي:

الراعي:

فمن يفخر بمكرمة فإنا ... سنناها لأيدي الفاعلينا

ابن الرومي وقد أحسن:

هم المبدعون بديع العلى ... إذا كان غيرهم المتبع

وما الدين إلا مع التابعين ... ولكنهما المجد للمبتدع

أبو تمام وقد أحسن:

ومهما يكن من وقعة بعد لا يكن ... سوى حسن مما فعلت مردد

محاسن أصناف المغنين جمة ... وما قصبت السبق إلا لمعبد

المتنبي:

يمشي الكرام على آثار غيرهم ... وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع

وقال أرسطوطاليس للإسكندر: أما مناقبك فقد نسخها تواترها، فصارت كالشيء القديم يتأسى به، لا كالبديع يتعجب منه.

المتبث بالمعالي والخادم لها:

أبو الشيص:

عشيق المكارم فهو معتمد لها ... والمكرمات قليلة العشاق

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٤

المتنبي:

تلذ له المروءة وهي تؤذي ... ومن يعشق يلذ له الغرام

ومن هنا أخذ الصاحب قوله:

أشبب لكن بالمعالي أشبب ... وأنسب لكن بالمكارم أنسب

أبو تمام:

خدم العلى فخدمته وهي التي ... لا تخدم الأقوام ما لم تخدم

العديم النظير والشبيه:

وصف أعرابي رجلا فقال: ما نطف فحل بمثله. قال:

ما ولدت مثلك أرحام النساء

آخر:

إن الزمان بمثله لعقيم

المتنبي:

ليس له عيب سوى أنه ... لا تقع العين على شبهه

وليس ذلك بعيب، وإنما هو كقول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

علي بن عبد العزيز:

جملة القول أن مثلك لا يمكن في مثل دهرنا تكوينه

أبو نواس:

خلقت بديعا لا يقال كأنه ... تعالى، ولم يسمع بمثلك سامع

آخر:

ولم تقع عين على مثله

ابن طباطبا:

تعالين عن وصف فلست بذاكر ... كأن لدى تشبيهها وكأنما

ابن سكرة في الصابي:

خرجت أطلب شيئا لا وجود له ... ومن غدا يطلب المفقود لم يجد

شبه الكريم أبي اسحاق في كرم ... ما ليس في الظن هل يسطاع في بلد؟

من اشتغاله كسب المعالي:

البحتري:

إلى فارغ من كل شغل يشينه ... فإن يشتغل بالمجد طاب اشتغاله

المتنبي:

ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل

من يتزايد في المجد على مرور الدهر:

شاعر:

وجدتك أمس خير بني معد ... وأنت اليوم خير منك أمس

أبو الهول:

ما كنت في غاية، إلا سبقت ولا ... طال المدى بك إلا زدت إحسانا

من لا يحصى بحده:

أبو شراعة:

وحزت بهم لا بل بنفس ابن حرة ... مآثر يحصى دون إحصائها الرمل

دعبل:

معاليه يحصى قبل إحصائها القطر

الموصوف بأنه تجمع فيه عالم لفضله:

عقيل:

يصول إذا استجير به نفير

أبو نواس:

متى تخطى إليه الرجل سالمة ... تستجمع الخلق في تمثال إنسان

وله:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

المتنبي:

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما ... وأتى فدلك إذ أتيت مؤخرا

من يستحقر في جنبه أجلاء الناس:

بكر بن النطاح:

ما الناس إلا ملك وحده ... غير خشارات وتساس

وشنة بن الأبيض:

الناس عند علي حين نذكرهم ... كالشوك يذكر بين الورد والآس

ابن العوام:

فنحن السنام والمناسم غيرنا ... ومن ذا يسوي بالسنام المناسما؟

وذلك مأخوذ من قول الآخر:

ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا؟

أبو السعداء:

الناس أيام الشهو ... ر وأنت فيهم عيد". (١)

٩١-"من تنزين به الدنيا:

وصف أعرابي رجلا فقال: لئن عابه كونه في الزمان لقد تزين الزمان بكونه فيه.

الجريمي:

تحلت به الدنيا فغطت عيوبها ... وأمست به الدنيا تجل وتحمد

المتنبي:

أنت الذي بجح الزمان بذكره ... وتزيلت بحديثه الأسمار

وقال أبو الفضل به العميد أمدح بيت قول المتنبي:

الدهر لفظ وأنت معناه

قال الشيخ رحمه الله: وأنا استحسن قول الشاعر:

فما أحسن الدنيا وفي الدار خالد ... وأقبحها لما تجهز غازيا!

ابن الرومي:

يا زينة الدين والدنيا إذا احتفلا ... وأظهرا ما أعداء من الزين

من تنافست فيه الأيام:

نصيب:

وهل يخفى على الناس النهار؟

ابن الرومي:

شمس الضحى أبرع ... من أن تطمسا

آخر:

إني إذا خفي الرجال وجدتني ... كالشمس لا تخفى بكل مكان

ابن هرمة:

إذا خفي القوم اللئام رأيتني ... ما قرن شمس في المجرة أو بدر

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يطوف بالبيت، فرآه يزيد فقال: من هذا؟ فقال له الحارث ابن الليث:

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٥

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

اعتذار من لم يعرف:

قال رجل لسقراط: ذكرتك عند فلان فلم يعرفك! فقال: يضره أنه لا يعرفني لأنه لا يجهل مكان ذي العلم إلا خسيس!

وقال محمد بن الزيات لبعض أولاد البرامكة: من أنت ومن أبوك؟ فقال: أما أنا فالذي تعرفني، وأما أبي فالذي لم يعرفك ولا أباك! المتنبي:

وإذا خفيت على الغبي فعاذر ... أن لا تراني مقلة عمياء

وصف الإنسان بأنه لا يخلو من العيب:

قيل لبعض الفلاسفة: من الذي لا عيب فيه؟ فقال: الذي لا يموت! وقال الأحنف: الشريف من عدت سقطاته أي الرجل المهذب.

شاعر:

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها؟ ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه!

ولهذا باب آخر في الأخوانيات.

الحث على إكرام النفس عند المذلة:

قال عمرو بن العاص: المرء حيث يجعل نفسه، إن صانها ارتفعت وإن قصر بها اتضعت: بعضهم:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

حاتم:

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن ... عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

صالح بن عبد القدوس:

إذا ما أهنت النفس لم تك مكرما ... لها بعد ما عرضتها لهوان

أنشد غلام أبي عبيدة:

ولا تهن للصديق مكرمة ... نفسك حتى تعد من خوله

يحمل أثقاله عليك كما ... يحمل أثقاله على جمله

وإنما يعني بذلك الهوان الذي هو لاعسف، لا الهون الذي قالت العرب فيه: إذا عز أخوك فهن؛ قال صلى الله عليه وسلم: سيد القوم خادمهم.

الممدوح بصيانة النفس:

قال بعضهم: جعلت الدنيا دون عرضي فآثر لدي ما صانه، وأهونها على ما شانه. ووصف آخر رجلا فقال: اشترى بالمعروف عرضه من الأذى فلو كانت الدنيا له فأنفقها صيانة لنفسه لاستقلها.

ابن نباتة:

ليست من الحوادث كل ثوب ... سوى ثوب المذلة والهوان

مدح إهانة النفس حيث تحمد:

مدح أعرابي رجلا فقال: كان يهين نفسا كريمة لقومه، ولا يبقي لغد ما وجد في يومه.

الخنساء:

نهين النفوس وهو النفو ... س يوم الكريهة أوفى لها

ويروى أن الشافعي رضي الله عنه:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ما جاء في الفتوة:

قيل: الفتوة طعام موضوع ونائل مبذول وبشر مقبول، وعفاف معروف وأذى مكفوف. وجاء جماعة إلى حسان فقالوا: من الفتى؟ فقال:

إن الفتى لفتى الهواجر والسرى ... وفتى الطعان ومدره الحدثان

ذاك الفتى إن كان كهلا أو فتى ... ليس الفتى بمنعم الشبان

المروءة:". (١)

٩٢-"أعدد نظائر أخلاق عددن له ... هل سب من أحد أو سب أو بخلا؟

أنشد أبو العيناء في معناه:

إذا أعجبتك خلال امرئ ... فكنه يكن منك ما يعجبك

فليس على الجود والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يحجبك!

الحكم بين نذلين:

سئل أبو العيناء عن رجلين فقال: هما الخمر والميسر، اثمهما أكبر من نفعهما! وتفاخر رجلان في الكرم وتراضيا بأبي العيناء فحكماه فقال: أنتما كما قال الشاعر:

حمارا عبادي إذا قيل: نبنا ... بشرهما يوما، يقول: كلاهما!

وفي المثل: كثير ويرعر وكل عير خير. وقيل: زندان في وعاء. وقيل: زندان في رقعة. وقيل: سواسية كأسنان الحمار، وعكس هذا المعنى الصنوبري فأتى بأجود لفظ وأوضح معنى فقال:

أناس هم المشط استواء لدى الوغا ... إذا اختلف الناس اختلاف المشاجب

عذر من ذكر فاضلا ونذلا معا:

قال بعض الكبار لرجل: أتذكرني مع فلان وفلان؟ فقال: قد ذكر الله النار والجنة. وفرعون مع موسى، وآدم مع إبليس، فلم يهن بذلك أوليائه ولم يكرم به أعداءه!

---

(١) محاضرات الأدباء ١٣٦/١

اختيار أراذل:

وصف أعرابي قوما فقال: هم كلاب وفلان من بينهم سلوقي، وهم حنظل وهو هبيد وأن في الشر خسارا، وليس العاقل من يعرف الخير من الشر، وإنما العاقل من يفرق بين الشرين.

محمود:

ذممتك أولا حتى إذا ما ... بلوت سواك عاد الذم حمدا

ولم أحمدك من خير ولكن ... رأيت سواك شرا منك جدا

فعدت إليك مختلا ذليلا ... لأني لم أجد من ذاك بدا

كمجهود تعاظم أكل ميت ... فلما اضطر عاد إليه شدا

من لا يفرح بموته ولا يسر بحياته:

شاعر:

إذا كنت لا ترجى لدفع ملمة ... ولم يك في المعروف عندك مطمع

ولا أنت ممن يستعان بجاهه ... ولا أنت يوم الحشر ممن يشفع

فعيشك في الدنيا وموتك واحد ... وعود خلال من وصالك أنفع

ذكر أحمد بن الخطيب عند أبي العيناء فقال: إن دنوت منه غرك، وإن بعدت منه ضرك! فبلغ كلامه أحمد فقال: تفسيره أن حياته لا تنفع وموته لا يضر! وقيل لرجل: مات فلان! فقال: من لم تنفع حياته لم تجزع وفاته.

فبعدا لا انقضاء له وسحقا ... فغير مصابه الخطب العظيم

من لا يستحضر في المحافل ولا يعرج عليه الأماثل:

الأخطل:

أما كليب بن يربوع فليس لهم ... عند التفاخر أيراد ولا صدر

مخلفون ويقضي الناس أمرهم ... وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا

الآكلون خبيث الزاد وحدهم ... والسائلون بظهر الغيب: ما الخبر؟

وقيل:

شهادته وغيبته سواء

آخر:

كزائدة الإبهام خلف الرواجب

آخر:

كزائدة النعامة في الكراع

عبدان:

خرجنا غداة إلى نزهة ... وفينا زياد أبو صعصعة

فستة رهط به خمسة ... وخمسة رهط به أربعة

سحيم بن موسى:

عن المكارم تنفي طيء طردا ... نفي الزيوف أبتها كف منتقد

المتعري من الإنسانية:

وصف أعرابي رجلا فقال: ليس فيه من الآدمية إلا أنه سمى آدميا، وقال فتى لابنه: ما لي إذا أخذتم في الأشعار والأخبار تسلط علي المنام؟ لأنك حمار في مسلاخ إنسان! ويقال: فلان حارض بن حارض، لمن خير فيه.

ذم من لا يبالي بما ارتكب:

وصف أعرابي رجلا فقال: يهون عليه عظام الذنوب في ويحسن في عينه قباح العيوب، ولو كان في بني سباخ أنه لمن سباخهم! المري:

قوم إذا خرجوا من سوءة ولجوا ... في سوءة لم يخبوها بأستار

وقيل: من الأبيات الرائعة المعجبة التي لا أرياب لها قول الشاعر:

إن يغدروا أو يجنبوا ... أو يبخلوا لا يحفلوا

وغدوا عليك مرجلين ... كأنهم لم يفعلوا

الموصوف بكثرة المساوي:

قيل: مدفع المعائب ومجمع المثالب قذف على الليل لونه لانطمست نجومه.

الأخطل:

قوم تناهي إليهم كل فاحشة ... وكل مخزية سبت بها مضر!

أبو تمام:

مساو لو قسمن على الغواني ... لما أمهرن إلا بالطلاق

زبينا النصراني:". (١)

٩٣-"ابن المقفع: أعظم الجهاد جهاد المرء نفسه لقول الله تعالى: " إن النفس لأمارة بالسوء " . قال عمر رضي الله عنه: جاهدوا أنفسكم كما تجاهدوا أعداءكم. وكان الحجاج يقول على المنبر: اقدعوا هذه النفس فإنها طلعة. وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها، فإن لها خدائع، ومتى سكنت إليه فأنت مخدوع. وسئل انوشروان: أي الأشياء أحق بالاتقاء! قال: أعظمها مضرة. قال: فإن جهل قدر المضرة؟ قال: أعظمها من الهوى نصيبا، فالهوى للنفس البهيمية والرأي للنفس الإنسانية. قال بعض الحكماء: قبيح للرجل إن يركب الفرس فيكون الفرس هو الذي يدبر الفارس.

---

(١) محاضرات الأدباء ١٤١/١

وأقبح من ذلك أن تكون هذه النفس التي ألبسناها هي التي تدبرنا لا نحن ندبرها. قال شاعر:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقال

أبو العتاهية:

إذا طاوعت نفسك كنت عبدا ... لكل دنيئة تدعو إليها

عبيد العنبري:

يعد الفتى أعداءه وصديقه ... ونفس الفتى أعدى عدو يحاوله

آخر:

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ... ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه وغادر سبة ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

آخر:

وأنت إذا أعطيت فرجك سؤله ... وبطنك نالا منتهى الذم أجمعا

وقد مضى بعض ذلك في موضع آخر.

النفس تنبسط إذا بسطت وتنقدع إذا قدعت:

منصور بن عمار: عود نفسك الخير فإن النفس عروف ألوف، واعتبر أنك إذا أصبحت مفطرا طمعت في الغذاء، وإذا أصبحت صائما يئست منه.

أبو ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

بعضهم: لا تحدث نفسك بالفقر وطول البقاء، ولكن حدثها بالكفاف والغناء.

أبو العتاهية:

اقنع لنفسك ترضها ... واملك هواك وأنت حر

آخر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعت تاقت وإلا تسلت

مدح قادع نفسه عن الشهوات:

قد مدح الله قادع نفسه عن الشهوات فقال: " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى " .

قال أبو حازم: ما احتجت إلى شيء مما يستقرض إلا استقرضته من نفسي. وقال ملك لعابد: ما منعك أن تخدمني وأنت عبدي؟ فقال: لو صدقت نفسك لعلمت أنك عبد عبدي! فقال: كيف؟ قال: لأني ملكت الشهوة فهي عبدي، وقد ملكتك فأنت عبدها! فقال: صدقت.

أشجع:

تجافى عن الدنيا فقد فتقت له ... خواصرها واستقبلته أمورها

آخر:

وخلى عن الدنيا وقد فرشت له ... محفلة أخلافها لم تصرم

مدح متظلف عن مال غيره متبرع بماله:

وصف أعرابي رجلا فقال: هو بماله متبرع وعن مال غيره متورع.

شاعر:

أبو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه

آخر:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى

وقال إبراهيم بن العباس:

يعرف الأبعد إن أثرى ولا ... يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

آخر:

فتى إن هو استغنى تخرق في الغنى ... وإن قل مالا لم يضع سنة الفقر

قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: أما ترى هذا الحائك لا نفتي في مسألة إلا خالفنا فيها؟ يعني أبا حنيفة رضي الله عنه. فقال: ابن شبرمة: لا أدري حياكته. ولكني أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها، وهربت منا فطلبناها.

ذم إظهار الفقر والنهي عنه:

قيل أشد الأشياء مؤونة الفاقة، وأشد من ذلك الاستكانة إلى من لا يجبرها. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: رضي بالذل من كشف ضره. وقال حكيم: استتر من الشامتين بحسن العزاء عند النوائب. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الفقر بين عينيه إلى يوم القيامة، ثم تلا قوله تعالى: " قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون " . بزرجمهر: لم أر ظهيرا على تقلب الدول كالصبر: ولا مذلا للحاسد كالتجمل. وسئل متى يفحش زوال النعمة؟ فقال: إذا زال معها حسن التجمل.

زيد الفوارس:

ألم تعلمي أني إذا الدهر مسني ... بنائبة زلت ولم أتترس

مدح صابر على فقره صائن لنفسه:

كثير:

إذا قل مالي زاد عرضي كرامة ... علي ولم أتبع دقاق المطامع". (١)

---

(١) محاضرات الأدباء ٢٤٣/١

٩٤-"من لا يبقي مالا:

كأن عليه أن يفرق ماله ... ألية مبرور الألية محترز

المتنبي:

عجبا له حفظ العنان بأنمل ... ما حفظها الأشياء من عادتها

وله:

لو كان ضوء الشمس في يده ... أضاعه جوده وأفناه

آخر:

يقول أناس: لو جمعت دراهما ... وكيف ولم أخلق لجمع الدراهم؟

أبى الله إلا أن تكون دراهمي ... مدى الدهر نهبى بين عاف وغانم

أعرابي:

حسن الحديث ضعيف خيط الدرهم

من لا تجب عليه زكاة لإنفاقه ماله:

قال بكر بن النطاح:

وما وجبت علي زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على الفقير؟

رجل من بني عذرة:

والله ما بلغت للجود ماشيتي ... حد الزكاة ولا إبلي ولا مالي

من ماله معد للبذل:

البحتري:

فتى لا يريد الوفر إلا ذخيرة ... لمأثرة تزداد أو مغرم يعرو

علي بن الجهم:

ولا يجمع الأموال إلا لبذلها ... كما لا يساق الهدي إلا إلى النحر

من لا يبخل بروحه ولا ماله لو سئل:

مدح رجل آخر فقال: كيسه محلول وماله مبذول، يطعمك نفسه أن أكلتها، ويسقيك روحه إن شربتها؛ ومنه أخذ بعض بني غطفان:

ولو لم أجد لنزيلي قرى ... قطعت له بعض أطرافيه

بكر بن النطاح:

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله!

الكميت:

وتبتذل النفس المصونة نفسه ... إذا ما رأى حقا عليه ابتذالها

وقال أبو هفان في معناه وإن كان في وصف الضيافة:

ولو نزل الأضياف ليلة لا قرى ... لأطعمتهم لحمي وأسقيتهم دمي

ابن نباتة:

وحكمني حتى لو أني سألته ... شبابي، وقد ولى به الشيب، رده

المنخدع المتباله في ابتذال ماله:

قيل: الكريم هو المنخدع عن ماله حتى يحكم فيه الطمع، ويستعمل في ماله الخدع. وقيل لبعضهم: ما الشرف؟ فقال: الانخداع عن المال. ولا تجد أحدا يتغافل عن ماله إلا وجدت له في قلبه فضيلة لا تقدر على دفعها، وقد أدبنا نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله: رحم الله سهل البيع سهل الشراء.

وهذا خلاف قول الناس: المغبون غير محمود ولا مأجور. وقد قال صلى الله عليه وسلم: ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: التغابن للضعيف.

شاعر:

ممن يغر على الثناء فيمدحه

البحتري:

وإذا خادعنه عن ماله ... عرف المسلك فيه فانخدع

وله:

وقد يتغابى المرء في عظم ماله ... ومن تحت برديه المغيرة أو عمرو

وله:

إذا معشر صانوا السماح تعسفت ... به همة مجنونة في ابتذاله

وتخطى أبو تمام حتى استقبح قوله فقال:

ما زال يهذي بالمكارم والعلى ... حتى ظننا أنه محموم

والهذيان والحمى مستقبح ذكرهما في المدح. المنذر الغساني يوصي ابنه: آمرك بالذل في نفسك والانخداع في مالك.

من عيبه إفراطه في الجود:

فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فلا يبقي من المال باقيا

كشاجم:

ما فيهم عيب سوى الإفراط في الجود فقط

أبو هفان:

عيب بني مخلد سماحتهم ... وأنهم يتلفون ما ملكوا

وقيل للحسن بن سهل وقد كثر عطاؤه على اختلاف حاله: ليس في السرف خير. فقال: ليس في الخير سرف! وقال المأمون لمحمد بن عباد: إنك متلاف. فقال: منع الجود سوء الظن بالمعبود. وفي الزهد أخبار عن ذلك.

الساتر عطيته:

روي أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ملك أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية، فنزل فيه قوله تعالى: " الذي ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية " " الآية " .

المتنبي:

ستروا الندى ستر الغراب سفاده ... فبدا، وهل يخفى الرباب الهاطل؟

ووصف أعرابي رجلا فقال: إذا أعطي شكر، وإذا أعطى ستر.

المسرور بما يعطيه:

لما دخل الفضل ين يحيى الرقة قال لوكلائه: أحصوا منزل من يغنيه ألف درهم. فأحصوا ثلاثمائة منزل فوجه إليهم ثلاثمائة ألف درهم ثم وضع له الطعام فقال: ما أكلت طعاما أهنأ منه اليوم، وقد علمت أني أغنيت ثلاثمائة بيت.". (١)

٩٥-"قال بختيشوع: الحلواء كلها حقها أن تؤكل بعد الطعام، لأن للمعدة ثورانا عقيب الإمتلاء كثوران الفقاع، فإذا صادفت الحلاوة سكنت. وقول الناس: إن في المعدة زاوية لا يسدها إلا الحلاوة على أصله. قال: والآكل إذا اشته الحلوة ثم فقدها وجد في حواسه نقصا.

الفالوذج والخبيص:

قال سفيان: لابد للعاقل في كل أربعين يوما من خبيصة تحفظ عليه قوته. كل طعام بلا حلو فهو خداج. وقال رجل في مجلس الأحنف: ما شيء أبغض إلي من الحلواء. فقال: رب ملوم لا ذنب له، وسمع الحسن قائلا يعيب الفالوذج فقال: لباب البر بلعاب النحل بسمن الماعز، ما عاب هذا مسلم قط. وقال أعرابي: وددت أن الموت والفالوذج اعتلجا في صدري! وبعث رجل إلى مزيد فالوذجا قليل الحلوة فقال: ينبغي أن يكون هذا عمل قبل أن يوحي ربك إلى النحل. وقيل: ذهبت بهجة الخبيص منذ عمل من عسل. وأتي يزيد بن الوليد بفالوذج، فجعل الغاضري يأكل ويسرع فقال يزيد: أرفق فالإكثار منه يقتل. فقال الغاضري: منزلي على طريق المقابر، وما رأيت جنازة قيل أن صاحبها مات من أكل الفالوذج.

اللوذينج:

قيل لبعض الناس: إن التمر يسبح في البطن! فقال: إذا كان التمر يسبح في البطن فإن اللوذينج يصلي فيها التراويح! وقيل: اللوزينج قاضي قضاة الحلاوات. شاعر في وصفه:

مستكثف الحشو ولكنه ... أرق جسما من نسيم الصبا

يخال من رقة خرشائه ... شارك في الأجنحة الجندبا

لو أنه صور من خبزه ... ثغر لكان البارد الأشنبا

وقيل لآخر: ما تقول في لوزينجة قد رق قشرها وغرقت في سكرها ودهن لوزها؟ فقال: فما أشد الوصف إذا عدم الموصوف.

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٦٨

العصيدة:

بعض الأغفال:

وقدم من قبل الخبيص عصيدة ... مغشى أعاليها بمنثور سكر

ترى الجمر أثناء العصيدة كامنا ... فتحسب مسكا بين أقطاع عنبر

ورؤي مخارق وهو يدور حول قدر يتخذ فيها عصيدة ويقول بلحن عجيب:

أنت يا ذات الأثافي ... أسمعينا غليانك

فبنشك ونشيشك ... طاب عنبرك وبابك

إنما قتلي لنفسي ... واجتهادي لمكانك

القطائف:

كشاجم:

قطائف مثل أضابير الكتب ... كأنها إذا تبدت من كثب

كوائر النحل بياضا وثقب

آخر:

ألذ شيء على الصيام ... من الحلاوات في الطعام

قطائف نضدت فحاكت ... فرائد الدر في النظام

منومات على جنوب ... في الجام كالصبية النيام

التمر:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يصبه يومه ذلك سم ولا سحر. وقال صلى الله عليه وسلم: أول ما يفطر به الرطب والتمر، وأول ما تأكل النفساء الرطب والتمر، لأن الله سبحانه وتعالى قال لمريم: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. وقال شيخ: ما وضع الناس في أفواههم شيئا أطيب من عجوة. **وصف أعرابي** تمرا فقال: تمرات جرد فطس، يغيب فيهن الضرس، كأن نواها ألسن الطير، تضع التمرة في فمك فتجد حلاوتها في كعبك. وقال أعرابي: ضفنا فلانا فأتى بتمر كأعنان الوردان، يوحل فيه الضرس! وقيل: خير التمر ما غلظ لحاه ورق سحاه ودق نواه. قال النابغة يصفه.

صغار النوى مكنوزة ليس قشرها ... إذا طار قشر التمر عنها بطائر

آخر:

وكنت إذا ما قرب الزاد مولعا ... بكل كميت جلده لم يؤسف

مداخله الأقراب غير ضئيلة ... كميت إذا خفت مزادة مخلف

آخر:

يا حبذاالتمرة ما أحلاها! ... تدمن الفقحة من ذكراها

وقال الحجاج يوما لجلسائه: ليكتب كل واحد منكم أطيب طعام وليدفعه إلي. فكتب كلهم التمر والزبد. وقال سوار لرجل حضر لشهادة: بم تشهد؟ فقال:

شهدت بأن التمر بالزبد طيب ... وأن الحبارى خالة الكروان

فقال: أما الأول فإني أشهد به أيضا.

أكل التمر:

قال بعضهم: لم أنتفع بأكل التمر إلا مع الزنج وأهل أصفهان، فالزنج لا تختار وأنا أختار، وأهل أصفهان يأخذون قبضة فإلى أن يفرغوا من أكلها لم يأخذوا من غيرها، وأنا أختاركما أحب. وقيل: فلان برم قرون أي لا يخرج مع أصحابه ويأكل تمرتين تمرتين.". (١)

٩٦-"أقل ما يأكله أقله ... لا يحمل النيل ولا يقله

ووصف أعرابي رجلا فقال: هو أكلة وكلة وتكلة.

آخر:

كأنه برذونة رغوث

آخر:

قرضابة طرفاه الدهر في تعب ... ضرس طحون وفرج يفسد الدينا

آخر:

خب جبان، وإذا جاع بكى ... لا يواري فرجه إذا اصطلى

ويأكل التمر ولا يلقي النوى ... كأنه غرارة ملأى خنا

آخر:

أيا آكل من نار ... ويا أشرب من رمل

وكان بلال بن أبي بردة أكولا، وفيه يقول الحسن رضي الله عنه: يتكى على شماله ويأكل غير ماله حتى إذا كظه الطعام يقول ابغوا لي هاضوما. وقيل: وهل تهضم إلا دينك؟ وقيل لرجل: كيف أكل فلان؟ فقال: كما لا يحبه لبخيل. ويتمثل في هذا الباب بقول جرير:

كالحوت لا يلهيه شيء يلهمه ... يصبح ظمآن وفي البحر فمه

وفي الجشاء لابن عيينة:

وتصبح تقلس عن تخمة ... كان جشاءك عن فجله

---

(١) محاضرات الأدباء ٢٨٢/١

المسرع اللقم:

شاعر:

ما يبن لقمته الأولى إذا ازدردت ... وبين أخرى تليها قيس أظفور

آخر:

يدارك اللقم ولا يخشى الغصص ... تلقما يقطع أزرار القمص

وقال آخر: فلان إذا أكل شدق وعلق وحملق أي لقمة في فمه، وأخرى في يده، وأخرى يرمقها بعينه. وقيل: فلان برم قرون لمن لا يدخل في الميسر ثم يأكل تمرتين تمرتين. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل طعاما، فرفع إلى فيه لقمة لم يأخذ غيرها حتى ينقي فاه منها.

المعظم اللقم:

شاعر:

أعددت للقم بنانا مجرفا ... وضرس ناب كالرحا محرفا

ومعدة تغلي وبطنا أكنفا ... حولا دكيكا ما يذوق علفا

أعرابي:

يحشو زوايا بطنه إذا اضطرم ... لقما كأمثال جلاميد الأكم

البحتري:

وكأن الفتى يطم ركابا ... قد تهورن أو يسد بشوقا

آخر:

يلقم لقما ويغدى زاده ... يرمي بأمثال القطا فؤاده

آخر:

ترى كل محلول الإزار كأنما ... يطين سطحا أو يلقم ناضحا

وقيل: فلان إن أكل لف وإن شرب اشتف.

شاعر:

وكأنما صوت التطعم منهم ... قبل يفوه بهن صوت شفاه

آخر:

كأن دويه في الحلق لما ... يهمهم صوت رعد في سحاب

الأكل بالملعقة:

أكل أعرابي بملعقة شيئا فاحترق فمه فقال: أبعدني الله أن أحكم على فمي غير يدي، فإنها رائد حق ونذير صدق. وكره الأكل بالملعقة مع الغير فإن إدخالها إلى الفم وإعادتها إلى الصحفة مستقبح. وكان بعض أهل المروءات يضع بين يديه ملاعق، فإذا التقم بواحدة لم يعد إليها.

المملوء فمه من الطعام:

سلم رجل على أعرابي وكان في فمه لقمة، فلما بلعها قال: حياك من خلا فوه! وقال حميد الأرقط:

أتانا وما داناه سحبان وائل ... بيانا وعلما بالذي هو قائل

فما زال عنه اللقم حتى كأنه ... من العي لما أن تكلم باقل

من أكل ما اشتهاه ولم يخف عقباه:

حضر أعرابي طعام أمير فأكل معه، فأحضر الفالوذج فقال الأمير: إن أكلت هذا حززت رأسك! فنظر مليا ثم رأى تركه خسرانا فمد إليه يده وقال: أوصيك بصبيتي خيرا! مر أعرابي بقوم وعندهم طعام فقال: ما هذا؟ قالوا: زقوم. قال: طيب والله لأساعدنكم على أكله.

استدعاء الطعام:

قال الأصمعي: أضفت أعرابيا فلما أكلنا قلت يا جارية أطعمينا تينا، فنسيته، فقلت له بعد ساعة: أتحسن شيئا من القرآن؟ قال: نعم. فقلت: اقرأ فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم والزيتون وطور سينين. فقلت وأين التين؟ فقال: نسيته أنت وجاريتك من ذلك الوقت. دخل رجل على قوم يشربون، فناولوه أقداحا وكان جائعا فقال للمغني عن:

خليلي داويتما ظاهرا ... فمن ذا يداوي جوى باطنا

فعلم صاحب الدار أنه جائع فقال عن له:

من يسأل الناس يحرموه ... وسائل الله ما يخيب

ودخل آخر على قوم فقالوا له: أي صوت أحب إليك؟ فقال: صوت المقلى! ودعي ابن حجاج إلى دعوة مع جماعة فتأخر عنهم الطعام فقال لصاحب الدعوة:

يا ذاهبا في داره آتيا ... من غير ما معنى ولا فائده". (١)

٩٧-"قال الله تعالى: " هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين " ؛ قيل: وصفهم بذلك لأنه قام بخدمتهم بنفسه.

المقنع:

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا ... ولا في إلا تلك من شيمة العبد

وقال:

وعبد للصحابة غير عبد

جحظة البرمكي:

يا أم طارق ليل قد ألم بنا ... استغنمي أجره فالأجر مغتنم

كوني له أمة فيما يحل له ... ورفهيه ففي ترفيهه كرم

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٩٠

ونزل ضيف بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فتخفف هو وغلمانه عند نزوله وعاونوه في حلوله، فلما أراد الارتحال عنهم لم يعنه غلام، فشكاهم فقال: إن غلماننا لا يعينون على الارتحال عنا.

الاستقصاء على الأكيل مدحا وذما:

قال ابن عون: ما رأيت أسخى بالطعام من الحسن وابن سيرين. وكان الحسن رضي الله عنه يقول: الطعام أهون من أن يحلف عليه. وكان ابن سيرين يحلف يقول: أقسمت لتأكلن.

دعبل:

كيف احتيالي لبسط الضيف من حصر ... عند الطعام، فقد ضاقت به حيلي؟

وقدم رجل إلى الشعبي طعاما فقصر في أكله فقال: قصرت. فقال: يا هذا إما أن تحلف علينا أو تدعنا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من داخل إلا وله حيرة فابدأوه بالسلام، وما من مدعو إلى طعام إلا وله حشمة فابدأوه باليمين.

محادثة الأكيل:

كره قوم الحديث على المائدة، واستحبه قوم، ومن صاحب الدعوة أحسن ولذلك قال الشاعر:

صادف أنسا وحديثات ما اشتهى ... إن الحديث طرف من القرى

وقيل: محادثة الأخوان تزيد في لذة الطعام.

أحمد بن أبي طاهر:

وأكثر ما ألذ به وألهو ... محادثة الضيوف على الطعام

وقيل: من أكثر الكلام على طعامه غش بطنه وثقل على أخوانه.

مضاحكة الأضياف:

شاعر:

أضاحك ضيف قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

أعرابي:

نقريهم الوجه ثم البذل يتبعه ... لا نترك الجهد منا قل أو كثرا

آخر:

أبسط وجهي للضيوف النزل ... والوجه عنوان الكريم المفضل

فضل الاجتماع على الأكل:

شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة البركة في طعامهم فقال: لعلكم تتفرقون على طعامكم. قال: نعم. قال: اجتمعوا عليه واذكروا اسم الله لديه. وقال صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بشراركم؟ من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده. وكانت العرب تعد التفرد بالأكل احتقاب وزر حتى أنزل الله تعالى: " ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا " . وقال أبو أمامة في قوله تعالى إن الإنسان لربه لكنود: أنه الذي يأكل وحده! شاعر:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلا فإني لست آكله وحدي!

وقال عبد الله بن المعتز في اجتماع الأيدي على الطعام:

كأن أكف القوم في جفناته ... قطا لم ينفره عن الماء صارخ

من نحر سمان الإبل للضيف:

وصف أعرابي رجلا فقال: نحر لنا ذا سديف مسرهد دنيء غير مصرد، فقدمه في جفان كالحوابي وقدور كالجياني.

العجير السلوى:

وإن ابن عمي لابن زيد وإنه ... لبلال أيدي حلة الشول بالدم

ابن المعتز:

والسيف راعي إبلي في المحل ... يسلمها إلى قدور تغلي

يرقل فيها بالوقود الجزل ... أرقالها في السير تحت الرحل

المتنبي:

تفري صوارمه الساعات عبط دم ... كأنما الساع قفال ونزال

من نحرها له لما قل لبنها:

لبيد:

إذا ما درها لم يقر ضيفا ... ضمن له قراه من الشحوم

عوف بن الأحوص:

إذا الشول راحت ثم لم يغد حملها ... بألبانها ذاق السنان عقيرها

الخائف ابله النحر:

ابو هرمة:

وكانت تطير الشول عرفان صوته ... ولم تمس إلا وهي خائفة العقر

أبو فراس:

وتصبح الكوم أشتاتا مروعة ... لا تأمن الدهر إلا من أعاديها

من لا يبقي ابله لحسنها عن النحر:

بعضهم:

إذا أخذت بزل المخاض سلاحها ... تجرد فيها متلف المال كاسبه

البسامي:

ترى إبل البخيل لها سلاح ... تهاب، وما لإبلي من سلاح". [(١)]

٩٨-"وما كيس في الناس يحمد رأيه ... فيوجد إلا وهو في الحب أحمق

حمد تحمل المذلة في الهوى:

شاعر:

إن التذلل في حكم الهوى شرف

آخر:

لا تأنفن من الخضوع لذي الهوى ... واخضع لإلفك كائنا من كانا

وقيل: التذلل للحبيب من شيم الأريب. ونقشت ظريفة على خاتمها:

قصيرة من طويلة ... نفس المحب ذليله

قال الأصمعي: غضب الفضل بن يحيي على جارية فبعثت إلي تسألني أن أسترضيه، فسألته فقال: الذنب ذنبها. فقلت: وكيف موقعها من قلبك أيها الأمير؟فقال: أحسن موقع وإنما أريد بهذا الهجر تهذيبها. فاستعمل فيها وصية العباس بن الأحنف. قال: وما هي؟ قلت:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم

فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى ... تفارق من تهوى وأنفك راغم

وصف الهوى بأنه جنون:

وصف أعرابي الهوى فقال: هو طرف من الجنون إن لم يكن عصارة السحر؛وعليه:

أداء عراني من ... جنابك أم سحر

غيلان بن عقبة:

هو السحر إلا أن للسحر رقية ... وإني لا ألقى من الحب راقيا

ابن الرومي:

أهوى الهوى كل ذي لب فلست أرى ... إلا صحيحا له أفعال مجنون

من شغف بقبيح ليس فيه موضع للعشق:

تيقن من رآك تحب قينا ... بأن الحب ضرب من جنون

مغالبة الهوى:

قيل: مغالب الهوى كمغالب الدنيا.

شاعر:

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٩٨

قد كنت أعلو الحب حينا فلم يزل ... بي النقض والإبرام حتى علانيا

آخر:

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى ... إذا جد جد البين أم أنا غالبه؟

فإن أستطع أغلب فإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

استعظام المحبوب وجلالته في عين الحب:

يستحسن في ذلك قول بعضهم:

أهابك إجلالا وما بك قدرة ... علي ولكن ملء عين حبيبها

آخر:

تمنيته حتى إذا ما رأيته ... بهت فلم أعمل لسنا ولا طرفا

وأطرقت إجلالا له ومهابة ... وحاولت أن يخفى الذي بي فلم يخفا

فلو أنني ملكت من ثغره الذي ... تمكن فيه الدر قبلته ألفا

وصف حب تمكن في الحشا:

كثير:

أباحت حمى لم ترعه الناس قبلها ... وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت

العباس بن الأحنف:

لا تحسبني ماذقا في الهوى ... إني على حبك مطبوع

عبيد الله بن طاهر:

شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليم فالتأم الفطور

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور

قيل لأبي العتاهية أي شعرك أعجب إليك؟قال قولي:

قال لي أحمد، ولك يدر ما بي: ... أتحب الغداة عتبة حقا

فتنفست ثم قلت: نعم حبا ... جرى في العروق عرقا فعرقا!

قال رجل لمحبوبه: حبك متول على فؤادي وذكرك سميري. فقال له محبوبه: أما أنا فلا أحب أن يقع طرفي على سواك.

عمر بن أبي ربيعة:

فمن كان لا يعدو هواه لسانه ... فقد سار في قلبي هواك وخيما

وليس بتزويق اللسان وصوغه ... ولكنه قد خالط اللحم والدما

المهلبي:

وصرنا في محبتنا حديثا ... يهجن شرحه قيسا ولبنى

من ذكر أن قلبه ناصر محبوبه عليه:

العباس بن الأحنف:

قلبي إلى ما ضرني دعاني ... يكثر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي إذا ... كان عدوي بين أضلاعي؟

أخذ ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: أعدى عدويك نفيسة بين جانبيك.

شاعر:

يؤازره قلبي علي وليس لي ... يدان على قلبي عليه تؤازره

آخر:

أقامت على قلبي رقيبا وناظري ... فليس يؤدي عن سواها إلى قلبي

قتيل الهوى شهيد:

روي في الخبر: من عشق فعف فمات مات شهيدا!.

الخبزارزي:

وحبك ما استحسنت خير مجرب ... عليك إذا لم تنتهك فيه محرما

الفتح بن خاقان:

زفرة في الهوى أحط لذنب ... من غزاة وحجة مبروره

المهلب:". (١)

٩٩-"أخو الحرب من لا يحتويها إذا اجتوت ... ولا يظهر الشكوى وإن كان موجعا

وقال:

قوم إذا نزلوا الوغى لم يسألوا ... حذر المنية عن طريق الهارب

آخر:

ولا يرتقي من خشية الموت سلما

أبو فراس:

صبور ولو لم تبق مني بقية ... قؤول ولو أن السيوف جواب

وقور وأحداث الليالي تنوشني ... وللموت حولي جيئة وذهاب

المبادر إلى الحرب غير مبال بها:

وصف أعرابي قوما فقال: ما سالوا قط كم القوم، وإنما يسألون أين هم؟سأل رجل يزيد بن المهلب فقال: صف لي نفسك، فقال: ما بارزت أحدا إلا ظننت أن روحه بيدي. ولما بلغ قتيبة حد العين قيل له: قد أوغلت في بلاد الترك والحوادث بين

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٣٤٧

أجنحة الدهر تقبل وتدبر. فقال: بثقتي بنصر الله توغلت، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة. فقال الرجل: اسلك حيث شئت فهذا عزم لا يفله إلا الله.

السلامي:

أتى القدر المتاح فلا اصطبار ... يرد شباه عنك ولا فرار

وليس تقدمي حرقا ولكن ... لغير الحرب تدخر الوقار

وقال:

إذا فاجأته الخيل لم ينتظر بها ... لحاق الرجال واجتماع المقاتب

وقيل لعبدالملك: من أشجع العرب في شعره؟فقال: عباس بن مرداس حيث يقول:

أشد على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها؟

وقيس بن الحطيم حيث يقول:

وإني في الحرب العوان موكل ... بإقدام نفس لا أريد بقاءها

والمزيني حيث يقول:

دعوت بي قحافة فاستجابوا ... فقلت ردوا فقد طاب الورود

أم الهيثم التميمية:

تمشي إلى أسل الرماح وقد ترى ... سبب المنية مشية المختال

أخذه بعض المحدثين فقال:

شبهت مشيتها بمشية ظافر ... يختال بين أسنة وسيوف

كلف تناهت نفسه عن نفسه ... لما انثنى بسنانه المرعوف

البحتري:

تسرع حتى قال من شهد الوغى: ... لقاء أعاد أم لقاء حبائب

المتوصل إلى الشدة بالرخاء:

قيل: نيل المعالي هول العوالي، ودرك الأحوال في ركوب الأهوال. بالصبر على لبس الحديد تتنعم في الثوب الجديد، في الصبر على النوائب ادراك الرغائب. رب قعدة تمنع قعدات، وأكلة تمنع أكلات.

الطائي:

ولم تعطني الأيام يوما مسهدا ... ألذ به غلا بنوم مشرد

وقال يزيد بن المهلب يوما لجلسائه: أراكم تعنفوني في الإقدام. فقالوا: أي والله إنك لترمي نفسك! فقال: إليكم عني فوالله لم آت الموت في حبه ولكني آتيه من بغضه، ثم تمثل:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة قبل أن أتقدما

المخوف منه:

قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة تواصت خوفا منه. ونظر إليه رجل وقد شق العسكر فقال: قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي.

تثير الجيش:

بعث أمير في طلب قوم رجلا فما لبث أن جاءه برجل أطول ما يكون. فقال: كيف تمكنت منه؟فقال: وقع في قلبي أن آخذه، ووقع في قلبه أنه مأخوذ، فنصرني عليه وخوفه وجراءتي. وقيل لأمير المؤمنين: بم غلبت الأقران؟قال: بتمكن هيبتي في قلوبهم.

المؤتمر له الوغى والردى:

كلثوم:

قداح المنايا في يديه يجيلها

الفرزدق:

أظله منك حتف ظل يرقبه ... حتى يؤامر فيه رأيك القدر

دعبل:

هم المتخيرون على المنايا ... نفوس ذوي الرياسة باقتراح

سلم الخاسر:

كأن المنايا جاريات بأمره

المتني:

ويستعظمون الموت والموت خادمه

الموفي على جماعة والغالب لهم:

قيل للإسكندر: عن في عسكر دارا ألف مقاتل. فقال: إن القصاب الحاذق ولو كان واحدا لا يهوله كثرة الغنم.

فواحدهم كالألف بأسا ونجدة ... وألفهم للعجم والعرب قاهر

وقيل لجنية بنت رباح: أعشرة هذرة أحب إليك أم ثلاثة كعشرة؟فقالت: ثلاثة كعشرة. فولدت بني جعفر.

الموسوي:

قلوا على كثرة العدو لهم ... كم عدد لا يعد في العدد!

هو من قول أبي تمام:

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم ... جيش من الصبر لا يحصى لهم عدد". (١)

---

(١) محاضرات الأدباء ٣٨٢/١

١٠٠-"قال الحسن: ما ظننت أن رجلا يفضل ألفا حتى رأيت عباد بن الحصين فإنه حاصر مدينة بكابل فثلمها ثلمة، وكان يقاتل عليها ألف فقاتلهم وحده ليله حتى أصبحوا، ومنعهم من حفظها وسدها، وبعث بنو حنيفة بالفند حين طلب بنو ثعلبة نصرة وقالوا: قد بعثنا إليكم ألف فارس، وكان يقال له عديد الألف، فلما ورد قالوا له: أين الألف؟قال: أنا!فلما كان الغد وبرزوا، حمل على ألف فارس مردف فانتظمهم.

المشبه بالأسد:

هو أشد صولة من أسد وأبلغ منعة من الحصن الحصين.

كالليث لا يثنيه عن إقدامه ... خوف الأذى وقعاقع الأعداء

وقال ابن الأعرابي: أحسن بيت في الحرب قول الشاعر:

كأن الجو محفوف بنار ... وتحت النار آساد تزور

زهير:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ... ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

وصف أعرابي آخر فقال: هو أشد إقداما من أسد، وتوثبا من فهد، واختطافا من حدأة، ومن عقاب ملاح.

جلد ابتلي به:

في المثل: إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا وقيل: إن الحديد بالحديد يفلح

المتشمر في الشدائد:

قال علقمة:

فلا يغرنك مني الثوب أسحبه ... إني امرؤ في عند الجد تشمير

وقال:

طيات طاوي الكشح لا ... يرخي لمظلمة إزاره

المتحمل للشدائد الصابر لها:

وصف رجل آخر فقال: كان ركوبا للأهوال غير ألوف للظلال. قال أعرابي لوال: اجعلني زماما من أزمتك التي تجر بها العدو، فإني ممن يتخذ الليل جملا في أثر العدو، وأتدرع ظلامه لا نكول ولا أكول. وقيل: فلان شديد الحجزة أي الصبر على الشدة.

الأقرع:

ونكبة لو رمى الرامي بها حجرا ... أصم من حجر الصوان لانصدعا

مرت علي فلم أطرح لها سلبي ... ولا استكنت لها وهنا ولا جزعا

الموسوي:

وكم عجموني فانسللت مهذبا ... وأثر عودي في نيوب الأعاجم

الموصوف بالقوة:

أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل يستحمله فقال له: خذ لك بعيرا، فأخذ بذنب بعير من إبل الصدقة فجذبه فاقتلعه، فتعجب من قوته فقال: هل رأيت أقوى منك؟قال: نعم خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها، فنزلنا منزلا أهله خلوف، فأقبل رجل ومعه ذود فضرب إلى الحوض فساورها، فنادتني فما انتهيت إليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسي بين جنبه وعضده، فما استطعت حركة حتى قضى حاجته ثم استلقى، فقالت المرأة: أي فحل هذا لو كان لنا منه سخلة؟فأمهلته حتى امتلأ نوما فقمت إليه بالسيف فضربت ساقه فأبنتها فانتبه فتناول رجله فرماني بها فأشواني وأصاب رأس بعيري فقتله. فقال عمر: ما فعلت المرأة؟فقال: هذا حديث الرجل، فكرر السؤال عليه فلم يزده على هذا فظن أنه قتلها. وكان الوليد شديد القوة، وكان يؤتى بسلسلة من حديد وفيها حبل فيشده في رجله، ويؤتى بالدابة فيثب عليها وثبة واحدة ولا يمسها بيده فيقطع السلسلة. فقال لأصحابه يوما: هل تعلمون من أصرع مني؟قالوا : نعم، رجل بخراسان. فأحضره وقال: أريد أن تصارعني وإن حابيتني قتلتك. فصارعه فحمله ووضعه فوق دسته وقال: أنت ههنا أحسن، دع راعيتك يتصارعون بين يديك ولا تدخل معهم فيما لك عنه مندوحة.

شاعر:

وما ولدت أمي من القوم عاجزا ... ولا كان ريشي من ذنابي ولا لغب

الممدوح بقوة نفسه دون جسمه:

قيل: الكرام أصبر نفوسا واللئام أصبر أبدانا؛ومنه أخذ أبو تمام قوله:

والصبر بالأرواح يعرف فضله ... صبر الملوك وليس بالأجسام

وقال:

وإني للقوي على المعالي ... وما أنا بالقوي على الصراع

وقال:

لا قوتي قوة الراعي قلائصه ... يأوي فيأوي إليه الكلب والربع

وقال معاوية: ما كان في الشبان شيء إلا وكان في منه مستمتع، إلا أني لم أكن نكحة ولا صرعة.

من لا يتألم من شدة:

قال: لا يألم الشر حتى يألم الحجر

المتبرم للحرب:

شاعر:

يا بؤس للحرب التي ... وضعت أراهط فاستراحوا

وقال:

ما ذاق هما كالشجاع ولا خلا ... بمسرة كالعاجز المتواني

سيف الدولة:

كأنما الغزو مفروض علي سرى ... من يملك الأرض أوساطا وأطرافا

فرسان العرب:". (١)

١٠١-"رأى مخنث خادما من بعيد فظنه أمرد فلما دنا منه قال: يا ناقص هذا صلف من له أربعة ايور، وأنت فارغ السراويل. ورأى مخنث رجلا يتبختر فقال له: أعلوي أنت أم قرشي؟قال: أنا فوق ذلك إني اير!فقال: تبختر ثم تبختر. وسمع مخنث رجلا يذم ابنه ويقول: ومع ذلك له اير في طول المنارة فقال: ابنك كله فضيلة وأنت لا تشعر!ونظر آخر إلى قبيح كبير الاير فقال: يا شين ما علق عليك هذا الرين. ونظر آخر إلى كبير الاير كثير الشعر فأخذ يبكي ويقول: انظروا إلى الخليفة في القطيفة! شاعر في اير:

ته على الناس جميعا ... وتقدمهم بايرك

نال موسى بعصاه ... فوق ما نلت بايرك!

مفاخرة الرجل والمرأة بسوأتيهما:

قال المتوكل يوما لعبادة وزكوية: تسابقا فأيكما سبق فله كذا فسبقت زكوية فقال المتوكل لعبادة: سخنت عينك تسبقك امرأة!فقال: هي تعدو ببادين، وأنا أعدو بخرجين وعلاوة. وقال جارية لمخنث: ما أعظم بليتي بك!قال: بليتك في حرك أعظم سود وجهه وشق وسطه وقطع لسانه، وحضر إلى جانبه كنيف!رأت صبية صبيا كشف لها عن ايره وقالت: لعن الله أبي ما زاد على أن شقه وتركه.

المستفتي في سوأته عالما سخفا:

سئل الأحنف: ما بال استاء الرجال عليها شعر واستاء النساء لا شعر عليها؟قال: لأن استاء الرجال حمى واستاء النساء مرعى. وسئل مخنث: ما بال هن المرأة ينبت أسرع من الرجل؟فقال: لقربه من السماء ويسقى من فوقه. قيل لقطرب: أيهما أسرع على المباضعة: الاير أم الحر؟فقال:

فوالله ما أدري وإني لصادق ... ألاير أدنى للفجور أم الحر

فقد جاء هذا مرخيا من عنانه ... وأقبل هذا فاتحا فاه يهدر

اختيار المرأة اير دون اير:

قالت ابنة الكميت لأمها: أي الايور أحب إليك؟قالت: اير فرس في حرارة قبس، في لين فنك في استدارة فلك في حقو رجل صمك. وقالت جارية: ما شيء أحب إلي من رجل ينيكني بايره في حري، وخصيته تدق على باب استي فتهيج شهوتي.

وصف المتاع في سبيل اللغز:

سأل خلف الأصمعي عن قول الشاعر:

---

(١) محاضرات الأدباء ٣٨٣/١

ولقد غدوت بمشرق يافوخه ... عسر المكرة ماؤه يتدفق

مرح يسيل من النشاط لعابه ... ويكاد جلد إهابه يتمزق

فقال: يصف فرسا فقال: أرانيك الله على مثله. ووقف أعرابي ينشد بكرا على جماعة فقال: من عرف بكرا أحمر في عنقه علاط وفي أنفه خزام يتلوه بكرتان سمراوتان، وإن أقرب عهد العاهد به الليلة؟فقالت جارية: ما عنيت بذلك إلا ما ضمه سراويلك. وقال مخنث لأعرابي: هل لك في شيء أسفله زرع وأعلاه ضرع وليس بباذنجان ولا قرع؟فقال: على هذا لعنة الله.

وصف الحر بالضيق والحرارة:

سئلت بنت الحسن أي الأحراح أطيب؟فقالت: الذي إذا دخلت فيه غص وإذا أخرجت منه مص.

ووصف رجل امرأة فقال: أحر من الحمام وأمص من الحجام.

امرأة:

إن حري أضيق من تسعين ... يمص مص الحاجم المكين

وقال ابن الرومي يصف سوداء:

لها حر تستعير وقدته ... من قلب صب وصدر محتنق

يزداد ضيقا على المراس كما ... تزداد ضيقا أنشوطة الوهق

أخذه من قول النابغة:

وإذا لمست لمست أخشم جاثما ... متحيزا بمكانه ملء اليد

وإذا طعنت طعنت في مستهدف ... رابي المجسة بالعبير مقرمد

وإذا نزعت نزعت عن مستحصف ... نزع الحزور بالرشاء المحصد

الواسعة الباردة:

وصف أعرابي امرأة فقال: مفازة مكة في سعتها ثقب عفصة وبلح همدان عند بردها حر مكة. وسئل عمر بن عثمان عن جارية اشتراها فقال: فيها خصلتان من الجنة: البرد والسعة. وللصاحب: وفلانة وصفت بأنها في الضيق كوز فقاعه، فكشفتها في الخلوة عن ذيل دراعه. الناجم:

يشبه عندي بربخا ... مركبا في مخرج

وقال رجل لجارية: ما أوسع حرك؟فقالت: فديت من كان يملأه ثم قالت:

وقال لما خلونا أنت واسعة ... وذاك من خجل مني تغشاه

فقلت لما أعاد القول ثانية: ... أنت الفداء لمن قد كان يملاه

وقال ماجن لجارية: لأنيكك باير مثل صومعة حصين. قالت: إذا والله امكنك من حر مثل صحراء نجد. ثم قالت تفتخر

بحرها:". (١)

١٠٢-"وخصر تثبت الأبصار فيه ... كأن عليه من حدق نطاقا

الرفاء:

أحاطت عيون الناظرين بخصره ... فهن له دون النطاق نطاق

عظم المخلخل ودقة الخصر:

قال أعرابي: أقبلن وخصورهن تخنق وحجولهن تقلق فكنا بين أسير ومطلق.

عباس:

بكى وشاحاها فلم يسكتا ... وإنما أبكاهما الجوع

ما بال خلخالك ذا خرسة ... لسان خلخالك مقطوع

وفيه:

خلخالها مشبع ... وشاحها مجوع

عبيد الله بن طاهر:

وشاحها يحسد خلخالها ... كجائع يحسد شبعانا

وعكس ذلك دعبل فقال:

خلخالها يسحب في ساقها ... وقرطها في الجيد ما ينطق

ابن أبي زرعة:

فاستكتمت خلخالها ومشت ... تحت الظلام به فما نطقا

حتى إذا ريح الصبا نسمت ... ملأ العبير بسرنا الطرقا

عظم الكفل مع دقة الخصر:

ابن الطثرية:

عقيلية أما ملاة إزارها ... فدعص وأما خصرها فنبيل

المتنبي:

كأنما قدها إذا انفتلت ... سكران من خمر طرفها ثمل

يجذبها تحت خصرها عجز ... كأنه من فراقها وجل

علي بن عاصم:

بيض سرقن من الصريم عيونها ... ومن الصريم مآكم الأكفال

---

(١) محاضرات الأدباء ٤٣٩/١

مدح عظم الثدي وتناهده:

قيل: لا تحسن المرأة حتى يعظم ثدياها. وقيل: خير الثدي ما يدفئ الضجيع ويروي الرضيع. وقيل للنظام: أي مقادير الثدي أحمد؟قال: وجدت الناس مختلفين في الشهوات ولكن سمعت الله تعالى يقول في وصف الحور: وكواعب أترابا، ولم يقل: فوالك ولا نواهد.

وقال مسلم:

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا ... وقد فاجأتها العين والشر واقع

فغطت بأيديها ثمار نحورها ... كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع

محمد بن الحسن الأزدي:

وقابلتني بفتور الجفون ... ومستوقرين على منبر

بحقين من لب كافورة ... براسيهما نقطتا عنبر

ديك الجن:

وذات رمانتين في طبق ... من فضة فصصا بفصين

تناهد الثدي مع عظم العجيزة:

عروة بن الورد:

أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا

وإذا الرياح مع العشي تناوحت ... نبهن حاسدة وهجن غيورا

وصف أعرابي امرأة فقال: بيضاء جعدة لا يمس الثوب إلا مشاشة منكبيها وحلمة ثدييها ورصاف ركبتيها وراتعة أليتيها.

طيب الرائحة:

وصف رجل امرأة فقال: ملذ كف ومشم أنف كنور يتبسم في الأشجار ونور يتنسم في الأشجار. ولما أنشد كثير عبد الملك بن مروان قوله:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالعنبر اللدن نارها

قيل له: امرؤالقيس أشعر منك حيث يقول:

ألم ترياني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

صالح اللخمي:

قسم الأترج قسمين بنصفين سواء

فلي اللون صفاء ولك الريح ذكاء

وللبعيث:

إذا هي زارت بعد شحط من النوى ... وشى نشرها لا مسكها وعبيرها

العباس:

فكيف أصنع بالواشين لا سلموا ... والعنبر الورد يأتيهم بأخباري؟

النونجي:

إذا كتمت زيارتها ... أذاع الطيب ما كتمت

فأنطق ألسن الواشين لا كانت ولا نطقت

من يطيب به ما يمسه:

عبد بني الحسحاس:

وبتنا وسادانا إلى علجانة ... وحققت تهاداها الرياح تهاديا

فما زال بردي طيبا من ثيابها ... إلى الحول حتى أصبح البرد باليا

من تطيب به الأمكنة:

عبد الله بن محمد بن نمير:

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة خفرات

وأنشد ثعلب:

واستودعت نشرها الديار فما ... تزداد طيبا إلا على القدم

أبو عيينة:

تطيب دنياها إذا ما تنفست ... كأن فتيت المسك في دورنا نهبا

التثني في المشي:

أبو النجم:

إذا مشت سالت ولم تدحرج ... كما جرى الجدول بين الأفلج

امرؤ القيس:". (١)

١٠٣-"كثرت لكثرة ودقه أطباؤه ... فإذا تحلب فاضت الأطباء

وضروعه عدد النجوم وطله ... أخلافه عدد النجوم رواء

ووصف أعرابي سحابا فقال: لقحته الجنوب ومرته الصبا واستدرته الشمال. وقالت أعرابية: صبته الصبا ومرته الجنوب وانتجفته الشمال انتجافا. وقيل: أجود بيت في صفة السحاب قول الهذلي:

تلقحه ريح الجنوب وتقبل الشمال ... نتاجا والصبا حالب يمري

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٤٥٨

وقالت أعرابية: أحب السحابة الخرساء لأنها تخرس حتى تمتلئ ماء وتصب طبا طقا يكون حبا.

؟بكاء السحاب:

عبيد الله بن طاهر:

وجاد بالقطر حتى خلت أن له ... إلفا نآه فما ينفك يبكه

الطحاوي من شطر:

فما ترقا لهن مدامع

ابن ميادة:

إذا ما هبطن الأرض قد مات عوده ... بكين به حتى يعيش هشيم

ضحكة البرق وبكاؤه بالودق:

الحسين بن مطر:

متضاحك بلوامع مستعبر ... بمدامع لم تمرها الأقذاء

فله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك إذا أبصرته وبكاء

ضحك الأرض من بكاء السماء:

الأبيض:

وللسماء بكاء ليس عن حزن ... وللرياض ابتسام ليس من عجب

آخر:

والأرض تبسم ... عن بكاء سماء

آخر وقد زاد:

فتضاحكت زهراتها بمسرة ... وبكت سحائبها بلا أحزان

الراعدة البارقة معا:

شاعر:

كأنما الرعد بها ثاكلة ... نادبة تخلط نوحا بشجى

فاقدة واحدها تذكرت ... ما قد مضى من عيشها ومن مضى

والبرق في حافاتها يفعل ما ... يفعله وجد الحزين في الحشا

وقال الرياشي في قول يزيد بن المفزع:

الريح تبكي شجوها ... والبرق يلمع في غمامه

أي الريح تبكي والبرق يضحك كقولهم: ويلي الشجي من الخلي.

التنوخي:

ببرق كأشجاني وقطر كأدمعي ... ورعد كعولي للوى ونحيبي

وهب الهمداني:

الرعد في اصطكاكه خطيب ... والبرق في خلاله لهيب

آخر:

يحن كشكلي في نشيج بكائه ... ويضحك فيه كالولود تبسما

وقال بعض البلغاء في سحاب: زجرت الرعود أردافه، وأضحكت البروق أعطافه، وحلبت الجنوب أحلافه.

وصف البرق:

برق كنبض العرق وخفق القلب وبطن شجاع يضطرب. ولمع المرائي في أكف الكواعب وكسلاسل تبر.

شاعر:

غاب تسنمه ضرام توقد ... وكأسياف تسل وتغمد

سطور كتبن بماء الذهب

عدي بن الرقاع:

وحتى حسبت البرق نارين شبتا ... بعلياء نجد ما يني موقداهما

وله:

نار تعاود فيه العود جدته ... والنار تسفع عيدانا فتحترق

آخر:

كأنواح بأيديها المألي ... كغرة شهباء في وجه دهماء

آخر:

كثغر زنجية تفتر ضاحكة ... تبدو مشافرها طورا وتنطبق

جرير:

يقول الناظرون إلى سناه ... بذي بلقاء شمس على نهار

آخر:

كأن بلق الخيل ... فيها تضرج

آخر:

أبلق جال جله ... حين وثب

وصف أعرابي سحابا فقال: لما تراءى نشوه وتبدى بدوه، اضطرمت ناره، والتطمت بحاره.

آخر:

آض لنا ماء ... وكان نارا

الرعد:

قال الله تعالى " يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " .

وسمع عبد الملك صوت الرعد ففزع فقال عمر بن عبد العزيز: هذا حس رضا الله فكيف ترى حس غضبه؟ آخر:

بأجوازه أسد ... لهن برابر

آخر:

قد سبح الرعد ... به وكبرا

أبو الغمر:

كأن الرعود بأرجائه ... هدير مقاليت في بطن واد

التنوخي:

يحدو بها الرعد فإن كلت زجر ... كأنها والمزن دان مكفهر

خوف بالبرق فوافى يعتذر ... أو قارئ أم بقوم فجهر

متعتعا من أنف ومن حصر

وقيل في صوته: كأنه عزيف الشيطان وحنين الثكلان، وكأنه صوت الرحى.

الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني:

فمن رواعده حنت صواهله ... ومن بوارقه انسلت قواضبه

السحابة المخصبة الممرعة:

امرؤ القيس:". (١)

١٠٤-"كان صلى الله عليه وسلم يكره الشكال، وهو أن تكون اليد اليمنى والرجل اليسرى أو بالعكس متخالفين.

أنشد ابو عبيدة:

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت ... حليلته وازداد حرا عجانها

وقيل: آنق الخيل المهقوع وهو الذي في عرض زوره دائرة، وكانوا يستحبونه حتى أراد رجل شراء مهقوع مرة فامتنع صاحبه من بيعه فقرأ المشتري هذا البيت فصار يتفادى منه.

المرح:

وصف أعرابي فرسا فقال: هو شيطان في أشطان. وقال بشر:

مهارشة العنان كأن فيها ... جراءة هبرة فيها اضطراب

آخر:

كأن به لسعة زنبور

---

(١) محاضرات الأدباء ٧٣/٢

غيلان بن حريث:

يكاد مما يزدهيه أشره ... يطير لولا أننا نوقره

ابو تمام:

كأ، ما خالطه أواق ... أو خامرت هامته الخندريس

وقال:

كأنه سكران أو عابث ... أو ابن رب حدث المولد

الموسوي:

يزجون جردا لا تقر على الثرى ... مرحا كأن الترب شوك قتاد

الشديد الصهيل:

شاعر:

بأجش الصوت يعبوب

مزرد:

أجش صهيلي كأن صهيله ... مزامير شرب جاوبتها الجلاجل

الموسوي:

ويصهل في مثل قعر الطوى ... صهيلا يبين للمعرب

البحتري:

وكأن صهلته إذا استعلى بها ... رعد يقعقع في ازدحام غمام

الطامح العين والرأس:

مزرد:

يرى طامح العينين يرنو وكأنه ... مؤانس ذعر فهو بالأذن خائل

المتنبي:

وينظرن من سود صوادق في الدجى ... يرين بعيدات الشخوص كما هي

زهير:

وملجمنا ما إن ينال قذاله ... ولا قدماه الأرض إلا أنامله

الموصوف بالطول:

مدح أعرابي فرسا وراكبه فقال: كان والله طويل العذار أمين العثار، إذا رأيت صاحبه عليه حسبته بازا على مرقب، معه رمح تقصر به الآجال.

عدي بن الرقاع:

لا يكاد الطويل يبلغ منه ... حيث يثنى من المقص العذار

الطويل العنق:

قال قطري لرجل: اشتر لي فرسا. قال: لا علم لي بنجابته. قال: اشتره ونصفه عنقه. ومنه أخذ ابو النجم:

يكاد هاديها يكون شطرها

امرؤ القيس:

ومثنانة في رأس جذع مسذب

دقة الأذن:

أنشد العماني الرشيد:

كأن أذنيه إذا تشرقا ... قادمة أو قلسا محرقا

فخطأه فيه ثم قال لأصحابه: كيف يجب أن يقال؟فأعياهم. فقال: تخال أذنيه كأن هواديها أعلام وآذانها أقلام. وقيل: اذن مرهفة مؤللة.

ولبعضهم:

مقدودة الآذان أمثال القدود

سعة العين:

بعضهم:

وعين لها حدرة بدرة ... وشقت مآقيها من أخر

آخر:

عين كعين البكر حين تديرها ... بمحجرها تحت النصيف المنقب

الجبهة:

لها جبهة كسراة المجن حذقه الصانع المقتدر

العرف:

واسحم ريان العسيب كأنه ... عثاكيل قنو من سميحة مرطب

الذنب:

امرؤ القيس:

لها ذنب مثل ذيل العروس ... تسد به فرجها من دبر

طفيل:

وأذنابها وحف كأن ذيولها ... مجر اشاء من سميحة مرطب

سعة الشدق:

شاعر:

وهي شدقاء كالجوالق فوها ... مستجاف يضل فيه الشكيم

الفلاح:

أشدق رحب المنكبين شرجب ... إن يلق في شدقيه كلب يذهب

ونحوه للطفيل:

وإن يلق كلب بين لحييه يذهب

سعة المنخر:

لها منخر كوجار الضباع

آخر:

لها منخر مثل جيب القميص

بشر:

كأن حفيف منخرها إذا ما ... كتمن الربو كير مستعار

وقال بعضهم: يمنع عنه وقوع البهر في السعة كنهر.

الواقص الذباب بطرفه:

المرقش:

بمحالة نفض الذباب بطرفها

ابن مقبل:

ترى النعرات الخضر تحت لبانه ... فرادى ومثنى أصعقتها صواهله

فريسا ومغشيا عليه كأنما ... خيوطة ماوي لواهن قاتله

الضامر:

عمرو بن معدي:

تقول لها الفوارس إذا رأوه ... ترى مسدا أمر على الرماح

آخر:

كأنها هراوة منوال

آخر:

كقدح رام طار عنه شذبه

آخر:

جوداء مثل هراوة المغراب

المحفر:". (١)

١٠٥-"حمى وقرى فالموت دون مرامها ... وأيسر خطب يوم حق فناؤها

المرار:

لهم إبل لا من ديات ولم تكن ... مهورا ولا من مكسب غير طائل

محبسة في كل رسل ونجدة ... وقد عرفت ألوانها في المعاقل

وصفها: أبو جرول:

مخاض كسن الظبي لم أر مثلها ... سناء قتيل أو حلوبة جائع

القطامي:

طوال القنا ما يلعن الضيف أهلها ... إذا هو رغى وسطها بعدما يسري

جفار إذا صافت هضاب إذا شتت ... وبالصيف يردون المياه على العسر

يعض عليها الحاسدون بنانهم ... وليس بأيديهم غناي ولا فقري

ألوان الإبل وتفضيل بعضها:

قال حنيف الحناتم وكان آبل الناس: الرمكاء بهية تصغير بهية والحمراء صبراء والحمراء غزراء والصهباء سرعاء، وفي الإبل أخرى إن كانت عندي لم أبعها وإن كانت عند غيري لم أشترها لأنه لا يبيعها إلا العيب. وقال أبو نصر النعامي: هجر على حمراء وأسر بورقاء، وصبح القوم على صهباء. قيل ولم ذاك؟قال: لأن الحمراء أصبر على حر الهواجر، والورقاء على السرى، والصهبة أحسن الأوان حين ينظر إليها. وقيل: ورق الإبل أصفاها، والصهب أنقاها، والدهم أبهاها، والحمر أضناها أي أكثرها ولدا، والأدم أوضؤها والرمد أوطؤها.

المتشابهة الألوان:

ذو الرمة:

إذا أنتجت منها المثاني تشابهت ... على العود إلا بالأنوف سلائله

أي تشابهت على أمهاتها لكونها على نجاد واحد فلا يعرفن إلا بالشم.

الإبل المختلفة الألوان:

بعض اللصوص يصف إبلا سرقها من أحياء مختلفة:

تسألني الباعة أي دارها ... لا تسألوني وانظروا آثارها

كل نجار في الروى نجارها ... وكل نار العالمين نارها

والنار السمة كردوس المراثي فيها:

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/١١٠

أتسألني عن نارها وديارها ... وذلك علم لا يحيط به الطمس

أي الخلق.

الإبل المعلمة:

قال الراجز:

كل علاة توجت بنارها ... قبل تمام القوم في نجارها

ومن السمات العلاط والخياط والمحجر والخطاف والغراب والخطام والكشاح والجباب. وقيل: بعير محلق وطهور وأحزب. والميسم مباح في لشريعة، كان يسم إبل الصدقة.

وكانت القصوى والعضباء ناقتا رسول الله صلى الله عليه وسلم موسومتين. ومن منفعة السمة أنها إذا عرفت للرئيس لم تطرد عن الماء. قال:

قد سقيت آبالهم بالنار ... والنار قد تسقى من الأوار

إبل غير معلمة:

ربما يترك البعير غير معلم إما لأن أغفالها كالعلم لها، أو يكون ذلك ضنا من صاحبها بها لكرمها.

قال:

ولا عيش إلا كل صهباء غفل

وقال:

تناول الحوض إذا الحوض شغل ... ومنكباها خلف أوراك الإبل

وقال:

من كل حمارء يفاع المنتمى ... يكرمها أربابها أن توسما

وصف البعير بالسرعة والقوة:

وصف أعرابي ناقة فقال: تقطع الأرض وترض الحجارة رضا وتنهض في الزمام نهضا، سريعة الوثوب بطيئة النكوب، مروح شروب. وقيل لآخر: كيف ناقتك؟فقال: عقاب إذا هوت وحية إذا التوت طوت الفلاة وما انطوت. وقال شيبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكة ومعي ثلاث جمال فصحبت يمنيا على ناقة فوقف بي جمل بعد جمل حتى بقيت راجلا فخفت أن يفوتني الحج، فقال اليمني: أتطيب نفسك عما معك وتردفني؟فقلت: نعم، فنزل وقدم رحله فكاد يضعها على عنقها، ثم قال: خذ حر متاعك إن لم تطلب نفسك عنه. ففعلت وأردفني، فجعلت تعوم بنا عوما كأ، ها ثعبان حتى انتهى بي إلى الموقف فقال: إن لي حاجة إليك أن لا تذكرها، فإن هذه آثر عندي من كل مال في الدنيا: أدرك عليها الثأر وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الموسم من صنعاء كل عام.

تحريك الأيدي والأرجل في المشي:

رؤبة:

كأن أيديهن بالقاع الفرق ... أيدي جوار يتعاطين الورق

آخر:

يدا سابح في غمرة يتبوع

آخر:

يدا معول خرقاء تسعد مأتما

آخر:

كأنها نائحة تفجع ... تبكي لميت وسواها الموجع

الشماخ:

كأن ذراعيها ذراعا مدلة ... بعيد الشباب حاولت أن تعذرا

القضامي:". (١)

١٠٦-"عوج فواج إذا حث الحداة بها ... حسبت أرجلها قدام أيديها

وصف أعرابي بعيره فقال في صفة قوائمه: وضعها تعليل ودفعها تحليل.

رمي الحصى بالأخفاف:

امرؤ القيس وعنه أخذ الشعراء:

كأن الحصى من خلفها وأمامها ... إذا نجلته رجلها حذف أعسرا

كأن صليل المروحين تشده ... صليل ذيوف يتقدن بعبقرا

عبدة بن الطيب:

ترى الحصى مشمغرا عن مناسمها ... كما تخلخل بالوغل الغرابيل

ابن المعتز:

كأن يديها وهي تسترفض الحصى ... يدا ناقد او نابل لم يسدد

الخائف من الضرب والزجر:

وصف الكميت ناقة فقال:

بزجرة أخرى من سواهن تضرب

إبراهيم بن هرمة:

تكاد تخرج من بين الجبال إذا ... ما قال غيري لأخرى غيرها عاج

آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء ١١٣/٢

سوطها لنقر الخفى ويداها لزجر الرحى

آخر:

كأن النير يلسعها ... إذا غرد حاديها

طريح:

تكاد تخرج من أنساعها مرحا ... إذا ابن أرض عوى بالبيدا وضبحا

الشماخ:

وتقسم نصف الأرض طرفا أمامها ... ونصفا تراه خشية السوط أزورا

أخذه مسلم بن الوليد فقال:

تمشي العرضنة قد تقسم طرفها ... وضح الطريق وخوف وقع المحصد

المشبه بالريح والبرق:

نصيب:

هي الريح إلا خلقها غير أنها ... تبيت غوادي الريح حيث تقيل

بكر بن النطاح:

كأن قوائمه في المسير ... رياح تطارد بالقفر

وقال:

أي قلوص راكب تراها ... من ذكر الريح فقد سماها

... أو نعت البرق فقد كناها

المشبه بالطير:

وصف رجل بعيره فقال: ركبته كأنه نعامة أو إعارته الأجنحة حمامه.

مسلم:

إلى الإمام تهادينا بأرجلنا ... خلق من الريح في أشباه ظلمان

أبو سعيد المخزومي:

إليك خليفة الرحمن طارت ... ولم أر قبلها خفا يطير

المشبه بالوحشيات:

زهير:

كأن كوري وأنساعي وراحلتي ... كسوتهن شبوبا من لظى لهبا

لبيد:

كأخنس ناشط جادت عليه ... ببرقة واجف إحدى الليالي

وكل ذلك يدخل في صفة الوحشيات.

المشبه بالسفينة:

المثقب:

كأن الكور والأنساع منها ... على قرواء ماهرة دقين

يشق الماء جؤجؤها وتعلو ... غوارب كل ذي حدب مصين

أبو النجم:

كأنه إذ خط في الزمام ... قرقور ساج مرسل الخطام

فهو يشق الماء بانتحام

النابغة:

يستن في ثني الجديل وينتحي ... فعل الخلية في الخليج الجاري

القليل المبالاة ببعد المفاوز:

الحطيئة:

إذا نظرت يوما بمؤخر عينها ... إلى علم بالغور قالت له ابعد

المتقدم على ما يسايره من المطايا: قيل لأعرابي: كيف بعيرك؟قال: يتدرع المطايا إذا ماشته بغباره، ويخدن إذا برك في آثاره لا يبرك خفيا يتقدمه فهو كما قال:

موكلة بالأقدمين فكلما ... رأت رفقة فالأولون لها تصبو

أبو نواس:

تذر المطي أمامها فكأنها ... صف تقدمهن وهي أمام

أخذه ابن المعتز وأبدع فقال:

وهي أمام الركب في ذهابها ... كسطر بسم الله في كتابها

المتنبي:

يمشي إذا عدت المطي وراءها ... ويزيد وقت جمامها وكلاله

ما يعجز الحادي عن إدراكه:

قال:

كيف ترى مر طلى حياتها ... والحادي اللاغب من حداتها

الأعشى:

حمين عراقيب الحصى وتركنه ... به نفس عال يخالطه بهر

آخر:

وإذا انتقصت إلى المفازة غادرت ... زيدا يبغل خلفها تبغيلا

أي لا يدركها الحادي السريع.

المترقص من الإبل:

المثقب:

وترقص في المسير كأن هرا ... يباريها ويأخذ بالوضين

الممزق:

ترى لو تراءى عند معقد غرزها ... تهاويل من إجلاء دهر معلق

آخر:

كأن بها من طائف الجن أولقا

الساكن من الإبل:

ذو الرمة:

تصغي إذا شدها بالكور جانحة ... حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

آخر:". (١)

١٠٧-"يعني بالرمد البعوض والعاذر الأثر. وقال:

وليلة لم أدر ما كراها ... أمارس البعوزض في دجاها

كل زجول خفق حشاها ... لا يطرب السامع من غناها

وقال:

إذا تغنين غناء الزط ... وهن مني بمكان القرط

... فثق بوقع مثل وقع الشرط

البراغيث:

تستحيل بقا كما أن الدعموص فراشا قال:

ليل البراغيث عناني وأنصبني ... لا بارك الله في ليل البراغيث

كأنهن وجلدي إذ خلون به ... أيتام سوء أغاروا في مواريث

وقال:

ألا يا عباد اله من لقبيلة ... إذا ظهرت في الأرض شد مغيرها؟

فلا الدين ينهاها ولا هي تنتهي ... ولا ذو سلاح من معد يضيرها

أبو الشمقمق:

يا طول يومي وطول ليلته ... فليهن برغوثه بجذلته

---

(١) محاضرات الأدباء ١١٤/٢

قد عقدت بندها على جسدي ... واجتهدت في اقتسام جملته

وقال:

ألا رب برغوث تركت مجدلا ... بأبيض ماضي الشفرتين صقيل

يعني أظافره. **وصف أعرابي** البراغيث فقال: ما آذى صغارها وأطفر كبارها وأخفى انطمارها وأقبح آثارها!وحضر أعرابي حلقة يونس فأنشد رجل لأبي الحسين بن أبي البغل:

إذا ما رعاني شاربا لدمي انثنى ... وغنى غناء الشارب المترنم

يدين بأديان المجوس كأنما ... يقول له اصحابه: اشرب وزمزم!

وكتب ابن ثوابة إلى ابن مكرم: نحن نبعض فهل تبعضون؟فكتب إليه: نحن نبعض ونبرغث ونبقق.

القمل:

القمل يعترى من العرق والوسخ من الثوب والشعر. وقيل: يعترى من أكل التين، ويكون في رأس الأسود الرأس اسود، وفي أخضب الشعر بالحمرة أخضب، وفي الأخصف خصيفا وفي الأبيض أبيض، وقيل هكذا كحرة بني سليم كل ما فيها من حيوان اسود، وبلاد الترك كل ما فيها على ألوان بلادهم. ومن زيبق ذهب قمله ويزيله لبس الحرير. وكان عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن عوام فاستأذنا رسول الله عليه السلام في الحرير فأذن لهما. ويكثر القمل في الدجاج والحمام إذا لم يغسلا. وكذلك في القرد ورتاه أبدا يتقمل ويضع قمله في فيه.

القراد:

يخلق من عر قالبعير ووسخه كالقمل في الإنسان، والقراد إذا كان صغيرا فمقامة ثم بيكون حنانة ثم قرادا ثم حلمة. ويقال له القل والطلح والعقير والبرام والقرشان. وقيل: أسجع من قراد وأرزق منه وأذل وأفطن من حلمة. ويقال: فلان يقرد فلانا أي يحتال عليه، وأصله أن يؤخذ قراد البعير ليسكن ثم يجعل الخطام في عنقه.

السمك:

الأجناس المائية موصوفة بالخمول وليس فيها خصلة من الفطنة إلا ما يحكى عن صيد الجري للجرذان ودابة تحمل الغريق حتى تؤديه إلى الساحل. والتبوط: ضرب من السمك ينتهي إلى الشبكة فلا يستطيع النفوذ منها فيعلم أنه لا ينجيه إلا الوثوب، فيجمع جراميزه قيد رمح فيثب ويغوص في الطين أيام الجزر والسمك. وقيل: يكون له اللسان والدماغ في الماء العذب لا الملح.

البحتري في بركة:

يقمن فيها بأوساط مجنحة ... كالطير ينقض من جو خوافيها

السرطان:

له ثمان ارجل ويستعين مع ذلك بأسنانه فكأنه يمشي على عشر وعيناه في ظهره، وينسلخ مكن جلده في السنة سبع مرات، ويتخذ جحرا له بابان: أحدهما يشرع إلى الماء والثاني إلى اليبس، ومتى انسلخ سد الباب الذي في الماء لئلا تدخل عليه

الحيات فتأكله، وترك الباب الذي يلي لتصيبه الريح فيعصب لحمه.

السلحفاة:

تكون برية وبحرية وتصيد الحيات وتبيض في الشط وفيها يقول محمد بن عبد الملك:

وسلحفاة سمح ... سكونها والحركة

شبهتها بدليمي ... ساقط في المعركة

مستتر بترسه ... عمن عسى أن يهلكه

الضفدع:". (١)

١٠٨-"""""""" صفحة رقم ٣٩ """"""

النعمة ، وأطيلت له العافية ، وأديمت به النظرة ألا يعجز عن التوثق لنفسه ، من قبل حل عقوده ، والحلول بعقوته ، والحيالة بينه وبين نفسه .

وصف أعرابية لزوجها

قالت أعرابية في الزوج : لا أريده ظريفا ولا ظريفا ولا رجل أهله ولا السمين الألحم ، ولكني أريده الضحوك ولاجا ، الكسوب خراجا . خطب رجل ابنة عم له فأخبرها أبوها بذلك فقالت : يا أبه ، سله ما لي عنده ؟ فسأله فقال : ألطف برها ، وأخمل ذكرها ، وأعصي أمرها . فقالت : زوجنيه . لما أهديت ابنة عبد الله بن جعفر إلى الحجاج نظر إليها في تلك الليلة وعبرتها تجول في خدها ، فقال : مم بأبي أنت ؟ . قالت : من شرف اتضع ، ومن ضعة شرفت . ولما كتب عبد الملك إلى الحجاج بطلاقها قال لها : إن أمير المؤمنين أمرني بطلاقك قالت : هو أبر بي ممن زوجنيك

قول امرأة لبلال بن أبي بردة

حكم بلال بن أبي بردة بالتفريق بين رجل وامرأته ، فقالت له المرأة : يا بن أبي موسى إنما بعثتم بالتفريق بين المسلمين . نزل رجل بامرأة من العرب فقال لها : هل من لبن أو طعام يباع ؟ فقالت : إنك للئيم أو حديث عهد باللئام . فاستحسن ذلك منها وخطبها فتزوجها .

كراهة النساء للشيب

حدث بعضهم قال : خرجت إلى ناحية الطفاوة فإذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها . فقلت : أيتها المرأة ؛ إن كان لك زوج فبارك الله له فيك ، وإلا فأعلميني . قال : فقالت : وما تصنع بي وفي شيء لا أراك ترتضيه . قلت : وما هو ؟ قالت : شيب في رأسي . قال : فثنيت عنان دابتي راجعا . فصاحت بي : على رسلك أخبرك بشيء . فوقفت وقلت : ما هو

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/١٢٨

يرحمك الله ؟ فقالت : والله ما بلغت العشرين بعد ،". (١)

١٠٩-"""""""" صفحة رقم ٦ """""""

فقال : لست به ، وكأن قد وليتني به ، فسألت عنه فقيل : هذا أبو نضلة هاشم بن عبد مناف فقلت هذا المحبر والسناء والرفعة لا مجد بني جفنة . فقال معاوية : أشهد أن العرب أوتيت فصل الخطاب . **وصف أعرابي** قوما فقال كأن خدودهم ورق المصاحف ، وكأن حواجبهم الأهلة وكأن أعناقهم أباريق الفضة . دخل ضرار بن عمرو والضبي على المنذر بعد أن كان طعنه عامر بن مالك فأذراه عن فرسه فأشبل عليه بنوه حتى استشالوه فعندها قال : من سره بنوه ساءته نفسه ، فقال له المنذر : ما الذي نجاك يومئذ ؟ قال : تأخير الأجل ، وإكراهي نفسي على المق الطوال . قال معاوية : لصحار العبدي : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال : شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . فقال له رجل من عرض القوم : هؤلاء بالبسر أبصر منهم بالخطب . فقال صحار : أجل والله إنا لنعلم أن الريح لتلقحه ، والبرد ليعقده ، وأن القمر ليصبغه ، وأن الحر لينضجه ، فقال معاوية : فما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال الايجاز قال : وما الإيجاز ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ . قال معاوية : أو كذا لي تقول ؟ قال صحار : أقلني يا أمير المؤمنين لا تبطئ ولا تخطئ . تكلم صعصعة عند معاوية فعرق ، فقال معاوية : بهرك القول ؟ قال صعصعة : إن الجياد نضاحة بالماء . قيل لبعضهم : من أين أقبلت ؟ قال : من الفج العميق . قال : فأين تريد ؟ قال : البيت العتيق . قالوا : وهل كان ثم من مطر ؟ قال : نعم حتى عفى الأثر وأنضر الشجر ، ودهده الحجر .". (٢)

١١٠-"""""""" صفحة رقم ٣٦ """""""

ذكر رجل عند أعرابي بشدة العبادة فقال : هذا والله رجل سوء يظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب هذا التعذيب . قال رجل لشيخ بدوي : تمرنا أجود من تمركم . فقال : تمرنا جرد فطس ، عراض كأنها ألسن الطير ، تمضغ التمرة في شدقك فتجد حلاوتها في عقبك . قال أعرابي : سألت فلانا حاجة أقل من قيمته ، فردني ردا أقبح من خلقته . وقال : مواقعة الرجل أهله من غير عبث من الجفاء . قيل لأعرابي : ما تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ وحمي الوطيس . فقال : يمشي أحدنا ميلا ، حتى يرفض عرقا ثم ينصب عصاه ، ويلقي عليها كساه ، فكأنه في إيوان كسرى . قال بعضهم : رأيت أعرابيا يصلي ويسيء الصلاة فقال له رجل : يا أعرابي ، أحسن صلاتك . فقال : إن المطالب بها كريم . عاب أعرابي قوما فقال : هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجرما على أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء . وصف بعض الأعراب النساء فقال : عليك منهن بالجاليات العيون ، الآخذات بالقلوب ، بارع الجمال ، وعظم الأكفال ، وسعة الصدور ولين البشرة ورقة الأنامل وسبوطة القصب ، وجزالة الأسوق ، وجثولة الفروع ، ونجالة العيون ، وسهولة الخدود ،

---

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع ٣٩/٤

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع ٦/٦

وامتداد القوام ، ورخامة المنطق ، وحسن الثغور ، وصغر الأفواه وصفاء الألوان . **وصف أعرابي** امرأة : هي خالية إلا من ألا وليت . قيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ فقال : أجحد المخبر ، وأحلف للمستخبر ." (١)

١١١-"""""""" صفحة رقم ٣٩ """""""

حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله ألا يكلم ابنه فحضرته الوفاة فقيل له : كلمه قبل أن تفارق الدنيا . قال : والله ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله مني الساعة . قال عبد الملك لأعرابي : تمن . قال : العافية . قال : ثم ماذا ؟ قال : رزق في دعة . قال : ثم ماذا ؟ قال الخمول ، فإني رأيت الشر إلى ذوي النباهة أسرع . قيل لأعرابي من بني يربوع : مالكم على مثال واحد ؟ قال : لأنا من بني فحل واحد . ذم أعرابي رجلا فقال : عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بفسقه وشهادات الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال . وذكر آخر رجلا بالعي فقال : رأيت عورات الناس بين أرجلهم وعورة فلان بين فكيه . وقال آخر لرجل دفعه : لتجدني ذا منكب مزحم ، وركن مدعم ، ورأس مصدم ، ولسان مرجم ووطء ميثم . قال الأصمعي : نظر أعرابي إلى الهلال فقال : لا مرحبا بك عقفان يحل الدين ، ويقرب الآجال . قيل لأعرابي : ما تلبس ؟ فقال : الليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس . سئل أعرابي عن ألوان الثياب فقال : الصفرة أشكل والحمرة أجمل والخضرة أنبل والسواد أهول والبياض أفضل . **وصف أعرابي** الكتاب ، وقد دخل الديوان فرآهم فقال : أخلاق حلوة وشمائل معشوقة ووقار أهل العلم وظرف أهل الفهم فإن سبكتهم وجدتهم كالزبد يذهب جفاء . وذم أعرابي رجلا فقال : عبد البدن ، خز الثياب ، عظيم الرواق ، صغير الأخلاق ، الدهر يرفعه وهمته تضعه ." (٢)

١١٢-"""""""" صفحة رقم ٤٠ """""""

قيل لأعرابي ينسج : ألا تستحي أن تكون نساجا ؟ فقال : إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي . مد المأمون يده إلى الأعرابي ليقبلها فتناولها بكمه فقال : أتتقزز منها ؟ قال : لا بل أتقزز لها . **وصف أعرابي** قوما فقال : هم كلاب وفلان من بينهم سلوتي . سئل رجل عن نسبه فقال : أنا ابن أخت فلان . فقال أعرابي : الناس ينتسبون طولا وأنت تنتسب عرضا . رأى أعرابي عودا فلما عاد إلىالبادية وصفه لأصحابه فقال : رأيت خشبا محدودب الظهر ، أرسح البطن ، أكلف الجلد ، أجوف أغضف ، جبينه في استه ، وعيناه في صدره ، وأمعاءه خارج بطنه ، بها يتكلم ، وعينه تترجم ، معروك الأذن ، مخنوق الحلق . سئل آخر عن امرأته فقال : أفنان أثلة ، وجنى نخلة ، ومس رملة وكأني قادم في كل ساعة من غيبة . اجتمع إعرابي مع صاحبة له فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ذكر معاده فاستعصم وقال : إن من با ع جنة عرضها السموات والأرض بمقدار فتر بين رجليك ، لقليل البصر بالمساحة . اشتكى أعرابي بالحضر فقيل : ما تشتهي ؟ قال : حشك فلاة ، وحسي قلاة . قال أعرابي لرجل : اكتب لابني تعويذا . فقال : ما اسمه ؟ قال : فلان قال : فما اسم أمه ؟

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع ٣٦/٦

(٢) نثر الدر ـ موافق للمطبوع ٣٩/٦

قال : ولم عدلت عن اسم أبيه ؟ قال : لأن الأم لا يشك فيها . قال : فاكتب : فإن كان ابني فعافاه الله ، وإن لم يكن ابني فلا شفاه الله . قيل لأعرابي : ما تقول في إبن العم ؟ قال : عدوك وعدو عدوك . ووعظ آخر ابنا له أفسد ماله في الشراب فقال : لا الدهر يعظك ولا الأيام تنذرك ، ولا الشيب يزجرك ، والساعات تعد عليك ، والأنفاس تعد منك والمنايا تقاد إليك ، أحب الأمرين إليك ، أردهما بالمضرة عليك .". (١)

١١٣-"[البكاء على خراب العمران]

وقد وقفت على كلام لصاحب المناهج في هذا المعنى فأحببت ذكره ملخصا، وهو: ونلحق بذكر المنازل التي راق منظرها، وفاق مخبرها، وارتفع بناؤها، واتسع فناؤها، طرفا من الكلام على ما عفاه الدهر من رسومها، ومحاه من محاسن صور كانت أرواحا لجسومها. **وصف أعرابي** محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثرا: ارتحلت عنها ربات الخدور، وأقامت بها أثافي القدور، ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم، وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم، والعهد قريب، واللقاء بعيد.

وقال عمر بن أبي ربيعة فأحسن (١) :

يا دار أمسى دارسا رسمها ... وحشا قفارا ما بها آهل

قد جرت الريح بها ذيلها ... واستن في أطلالها الوابل ومن كلام الفتح بن خاقان، في قلائد العقيان، يذكر آل عباد من فصل أكثر فيه التفجع، وأطال به التوجع (٢) : والغصون (٣) تختال في أدواحها، والأزاهر يحيي ميت الصبابة شذا أرواحها (٤) ، وأطيار الرياض (٥) قد أشرفت عليهم (٦) كثكالى ينحن على خرابها، وانقراض أطرابها، والوهي بمشيدها لاعب، وعلى كل جدار منها غراب ناعب، وقد محت الحوادث ضياءها، وقلصت ظلالها وأفياءها، ولطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت، وفاحت من

---

(١) ديوان عمر: ٣٠١.

(٢) قلائد العقيان: ١٠.

(٣) ق ك ج ط: والقصور.

(٤) القلائد: وتتثنى في أكف أرواحها.

(٥) القلائد: وآثار الديار.

(٦) قد أشرفت عليهم: زيادة من القلائد.". (٢)

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع ٦/٤٠

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ١/٥٠٠

١١٤-"""""""" صفحة رقم ٣٢٦ """"""

وقالوا : الأحمق لتمنى أمة أنها به مثكلة ، وتتمنى زوجه أنها منه أرملة ، ويتمنى جاره منه العزلة ، ورفيقه منه الوحشة ، وأخوه منه الفرقة .

وقال سهل بن هارون : وجدت مودة الجاهل ، وعداوة العاقل ، أسوة في الخطر ، ووجدت الأنس بالجاهل ، والوحشة من العاقل ، سيين في العيب ، ووجدت غش العاقل أقل ضررا من نصيحة الجاهل ، ووجدت ظن العاقل أوقع بالصواب من يقين الجاهل ، ووجدت العاقل أحفظ لما لم يستكتم من الجاهل لما استكتم .

وقال لقمان لابنه : لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال ، وانظر إلى السيف ما أحسن منظره وأقبح أثره .

وقال علي رضي الله عنه : قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل ، وقال : صديق الجاهل في تعب .

وقال آخر : لأنا للعاقل المدبر ، أرجى شيء من الأحمق المقبل ، وقال شاعر :

عدوك ذو العقل خير من ال . . . صديق لك الوامق الأحمق

والبيت المشهور السائر :

ولأن يعادي عاقلا خير له . . . من أن يكون له صديق أحمق

وقيل : الحمق يسلب السلامة ، ويورث الندامة ، وقد ذموا من له أدب بلا عقل .

ووصف أعرابي رجلا فقال : هو ذو أدب وافر ، وعقل نافر ، قال شاعر :

فهبك أخا الآداب أي فضيلة . . . تكون لذي علم وليس له عقل

ومن صفات الأحمق وعلاماته قيل : ما أعدمك من الأحمق فلا يعدمك منه كثرة الالتفات وسرعة الجواب ، ومن علاماته الثقة بكل أحد .

ويقال : إن الجاهل مولع بحلاوة العاجل ، غير مبال بالعواقب ، ولا معتبر بالمواعظ ، ليس يعجبه إلا ما ضره ، إن أصاب فعلى غير قصد ، وإن أخطأ فهو الذي لا يحسن به غيره ، لا يستوحش من الإساءة ، ولا يفرح بالإحسان .". (١)

١١٥-"""""""" صفحة رقم ٣٣٢ """"""

وقال الأحنف بن قيس : اثنان لا يجتمعان : الكذب والمروءة .

وقال بزرجمهر : الكاذب والميت سواء ، لأن فضيلة النطق الصدق ، فإذا لم يوثق بكلامه بطلت حياته .

وقال معاوية يوما للأحنف : أتكذب ؟ فقال : والله ما كذبت مذ علمت أن الكذب شين .

وقيل : لا يجوز للرجل أن يكذب لصلاح نفسه ، فما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده . قال بعض الشعراء :

ما أحسن الصدق والمغبوط قائله . . . وأقبح الكذب عند الله والناس

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع ٣/٣٢٦

وقالوا : احذر مصاحبة الكذاب ، فإن اضطررت إليها فلا تصدقه ولا تعلمه أنك كذبته ، فينتقل عن مودته ، ولا ينتقل عن كذبه .

وقال هرمس : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإنك لست منه على شيء يتحصل ، وإنما أنت معه على مثل السراب يلمع ولا ينفع .

وقيل : الكذاب شر من النمام ، فإن الكذاب يختلق عليك ، والنمام ينقل عنك . قال شاعر :

إن النموم أغطى دونه خبري . . . وليس لي حيلة في مفترى الكذب

وقال آخر :

لي حيلة فيمن ينم . . . وليس في الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقو . . . ل فحيلتي فيه قليله

ووصف أعرابي كذابا فقال : كذبه مثل عطاسه ، لا يمكنه رده .

وقال بعض الأعراب : عجبت من الكذاب المشيد بكذبه ، وإنما هو يدل الناس على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ، فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقا لم يصدق ، وإن أراد خيرا لم يوفق ، فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال علي". (١)

١١٦-"قال البيهقي: وقبره مشهور بجبل سمعان من جهة حلب. وفي قطب السرور أن قيصر قال له: أي الأشربة أفضل؟ فقال: ما صفا في العين، ولذ في الذوق، وطاب في النفس ـ شراب الخمر. قال: فما تقول في مطبوخه؟ قال: "مرعى ولا كالسعدان"! قال: فما تقول في نبيذ الزبيب؟ قال: ميت أحيي وفيه بعض المنفعة؛ قال: فما تقول في نبيذ العسل؟ قال: نعم شراب الشيخ للأبردة والمعدة الفاسدة؛ قال: فنبيذ التمر؟ قال: أوساخ تدعو إليها ضرورات تذم في الأبدان؛ قال: فما الذي يذهب الهموم عند الشرب؟ قال: جوهر فيه لا تناله عقول العباد؛ قال: فما أصلح لوقت الشرب؟ قال: الأصيل؛ قال: فمن أي شيء يكون الخمار؟ قال: من ضعف قوة الجوارح عن بث ما يصعد إلى الدماغ من البخار حتى يغشيه الهواء قليلا قليلا؛ قال: فالصرف خير أم الممزوج؟ قال: الصرف سلطان جائر، والممزوج سلطان عادل؛ قال: أتشربه أنت؟ قال: نعم، ولا أبلغ ما يغير عقلي؛ قال: ولم؟ قال: أخبئه لسؤال مثلك!

[أنمار بن نزار]

وأما أنمار بن نزار فإنه أنسل باليمن، فحسب ولده منهم. وقد قيل: إن نسبه في اليمانية، وقد تقدم ذكر ذلك.

من وجدت له من العرب كلاما فصيحا ولم نعلم عصره ولا تمييزه

سئل أعرابي عن زوجته وكان حديث عهد بعرس: كيف رأيت أهلك؟ فقال: أفنان أثلة، وجني نخلة، ومس رملة، ورطب نخلة، وكأني كل يوم آئب من غيبة.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع ٣٣٢/٣

وقال آخر في ذم إنسان: أنت والله ممن إذا سأل ألحف وإذا سئل سوف، وإذا حدث خلف، وإذا وعد أخلف؛ تنظر نظرة حسود، وتعرض إعراض حقود.

ووصف أعرابي مرح فرس فقال: كأنه شيطان في أشطان.

وقال أعرابي: خرجت في ليلة حندس قد ألقت أكارعها على الأرض، فعميت صور الأبدان، فما كنا نتعارف إلا بالآذان، فسرنا حتى أخذ الليل ينفض صبغه.

وقال آخر: فصح الألسنة برد السائل، جذم الأكف عن النائل.". (١)

١١٧-"وقال آخر: أبين العجز قلة الحيلة، وملازمة الحليلة.

وقال آخر: ألم أكن نهيتك أن تريق ماء وجهك لمن لا ماء في وجهه؟ قال أعرابي: أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك، ولا يحقرك بها من فوقك.

وصف آخر رجلا، فقال: إن أتيته احتجب، وإن غبت عنه عتب، وإن عاتبته أبدى الغضب.

وقال أعرابي: لو عاونني الحال ما استبطأتك إلا بالصبر، ولا استزدتك إلا بالشكر.

وقال أعرابي: إن يسير مال أتاني عفوا لم أبذل فيه وجها، ولم أبسط إليه كفا، ولم أغضض له طرفا، أحب إلي من كثير مال أتاني بالكد واستفراغ الجهد.

وقال أعرابي: لا تصغر أمر من حاربت أو عاديت؛ فانك إن ظفرت لم تحمد، وإن عجزت لم تعذر.

هنأ بعض الأعراب فتى أراد البناء على أهله، فقال: بالبركة، وشدة الحركة، والظفر في المعركة.

وقال أعرابي: هو أفرح من المطل الواجد، والظعان الوارد، والعقيم الوالد.

وقال أعرابي: عليك بالأدب؛ فإنه يرفع المملوك حتى يجلسه في مجالس الملوك.

وقيل لبعض الأعراب: ما بال فلان يتنقصك؟ قال: لأنه شقيقي في النسب، وجاري في البلد، وشريكي في الصناعة.

وقال أعرابي: عباد الله، الحذر الحذر، فوالله لقد أسر من كان غفر.

وشكا أعرابي ركود الهواء، فقال ركد حتى كأنه أذن تسمع.

وقال آخر: كل مقدور عليه مختور أو معلول.

وقيل لأعرابي له أمة اسمها زهرة: أيسرك أنك الخليفة، وأن زهرة ماتت؟ قال: لا والله! قيل: ولم؟ قال: تذهب الأمة، وتضيع الأمة.

ومدح أعرابي قوما، فقال: يقتحمون الحرب كأنما يلقونها بنفوس أعدائهم.

وقال أعرابي: حكم جليس الملوك أن يكون حافظا للسر، صابرا على السهر.

وقال أعرابي: لا يقوم عن الغضب بذل الاعتذار.

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ص/٢٤٩

ووصف أعرابي رجلا، فقال: ذا ممن ينفع سلمه، ويتواصف حلمه، ولا يستمرأ ظلمه.

وقال آخر: فلان حتف الأقران غداة النزال، وربيع الضيفان عشية النزول.

وقال أعرابي عن شخص: لا أمس ليومه، ولا قديم لقومه.". (١)

١١٨-"وقال آخر في دعاء: لا رد لسانك عن البيان، ولا أسكتك الزجر والهوان.

وقال أعرابي: حاجتي إليك حاجة الضال إلى المرشد، والمضل إلى المنشد.

وقال آخر: بالفحول تدرك الذحول.

وقال أعرابي: من جاد بماله فقد جاد بنفسه، إلا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها.

وذكر رجل عند أعرابي بشدة العبادة، فقال: هذا والله رجل سوء، أيظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب!

وقال أعرابي في الفخر بتمره: تمرنا جرد فطس عراض كأنها ألسن الطير، تمضغ التمرة في شدقك، فتجد حلاوتها في عقبك.

وقال أعرابي: سألت فلانا حاجة أقل من قيمته، فردني ردا أقبح من خلقته.

ووصف أعرابي النساء، فقال: عليك منهن بالجاليات العيون، الآخذات بالقلوب، وتوخ بارع الجمال، وعظم الأكفال، وسعة الصدور، ولين السرة، ودقة الأنامل، وسبوطة [القصب] وجزالة الأسوق، وجثولة الفروع، ونجالة العيون مع الحور، وسهولة الخدود، وامتداد القوام، ورخامة المنطق، وحسن الثغور، وصغر الأفواه، وصفاء الألوان.

ووصف أعرابي امرأة، فقال: هي خالية من ألا وليت.

وقيل لأعرابي: "كيف كتمانك للسر؟ قال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.

وقيل لأعرابي: كيف تغلب الناس؟ قال: أبهت بالكذب، واستشهد بالموتى.

وقال أعرابي لأخيه: إن لم يكن مالك لك كنت له، وإن لم تفنه أفناك، فكله قبل أن يأكلك.

وقال أعرابي في رجل: صغره في عيني كبر الدنيا في عينه.

وقيل لأعرابي: كيف تقدر على جمع الضرائر؟ فقال: كنا لنا شباب يظأرهن علينا، ومال يصيرهن لنا؛ ثم قد بقي لنا خلق حسن، فنحن نتعايش به.

وقال أعرابي: مع الشعاب التحاب، والإفراط في الزيارة ممل، والتفريط فيها مخل.

وقيل لأعرابي عمر مائة وعشرين سنة: ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فبقيت؟ وقال آخر في عيي: رأيت عورات الناس بين أرجلهم، وعورة هذا بين فكيه.

وقيل لأعرابي: ما تلبس؟ قال: الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس.". (٢)

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ص/٢٥١

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ص/٢٥٣

"ولقد راودته عن نفسه فاستعصم. فقال إبراهيم بن عزوان: لا والله ما سمعت بأعدل من هذه الفاسقة، أما والله لو تمرست بي ما استعصمت.

بات أعرابي ضيفا لبعض الحضر فرأى امرأته، فهم أن يأتي إليها في الليل فمنعه الكلب؛ ثم أراد ذلك مرة أخرى، فمنعه ضوء القمر؛ ثم أرادت ذلك في السحر، فإذا عجوز قائمة تصلي. فلما رأى ذلك قال:

لم يخلق الله شيئا كنت أبغضه ... غير العجوز وغير الكلب والقمر

هذا يبوح، وهذا يستضاء به، ... وهذه سبحة قوامة السحر

وصف أعرابي رجلا ماجنا فقال: والله لو أبصرته عيدان القيان لتحركت أوتارها، ولو رأته مومسة لطار خمارها.

وحكى خريدة بن أسماء، قال: حججنا، ونحن في رفقة، إذ نزلنا منزلا ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحية على عنقها لا تضرها بشيء، فلم يجترئ أحد منا أن ينحيها عنها، فلم تزل كذلك حتى أبصرت الحرم فانسابت ومضت عنها، فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا، ورأى الغريض المغني المرأة وقد سمع الحديث وما تحاكاه الناس عنها فقال لها: يا شقية ما فعلت حيتك؟ قالت: في النار. قال: ستعلمين في النار. قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما أراد وارتحلنا منصرفين حتى إذا كنا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحية حيث انسابت وتطوقت عليها، فلما تأملت المرأة عرفتها، ثم صفرت الحية." (١)

"لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل ... ينادى الآخر الأل ألا حلوا ألا حلوا

الزحلوقة: آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل، وأهل العالية يقولون زحلوفة بالفاء، وتميم يقولون: زحلوقة بالقاف.

والأل: السرعة

أنشدنا يعقوب:

مهر أبي الحبحاب لا تشلي ... بارك فيك الله من ذى آل

وطامح: مشرف.

وقال قطرب بن المستنير: الذعلوق: نبت يشبه الكراث يلتوى، وهو طيب للأكل.

والصبيان: مجتمع لحييه من مقدمهما، وقال أبو عبيدة: الصبيان العظمان المنحنيان من حرفي وسط اللحيين من ظاهر هما عليهما لحم.

والتليل: العنق.

والخصيل: كل لحمة مستطيلة وجمعها خصائل، وقال أبو عبيدة: الخصيلة: كل ما أنماز من لحم الفخذ بعضه من بعض.

والوهوهة: صوت يقطعه.

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/١٧٦

تفسير الغريب في حديث الأعرابي الذي وصف بعض النساء

وحدثنا أبو بكر بن دريد، رحمه الله تعالى، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: **وصف أعرابي** نساء، فقال: يلتثمن على السبائك، ويتشحن على النيازك، ويأتزرن على العوانك، ويرتفقن على الأرائك، ويتهادين على الدرانك، ابتسامهن وميض

، عن وليع كالاغريض، وهن إلى الصبا صور، وعن الخنا نور قال أبو زيد: اللثام على الفم.

واللفام على طرف الأنف، يقال: تلثمت المرأة تلغمت المرأة.

والسبائك ههنا: الأسنان، شبهها لبياضها بالسبائك.

والنيازك، وأحدها نيزك، وهو الرمح القصير.

والعوانك، وأحدها عانك، وهو رمل منعقد يشق فيه البعير لا يقدر على السير، فيقال حينئذ: قد اعتنك.

والأرائك: السرر، وأحدها أريكة، وقال قوم: الفرش.

ويتهادين: يمشين مشيا ضعيفا، قال الأعشى:

تهادى كما قد رأيت البهيرا." (١)

"والزخة: الدفعة، يقال: زخ في صدره يزخ زخا: أي دفع، ومنه قيل للمرأة مزخة.

ويقال: فلان خائف والقوم خائفون وخوف وخيف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أن يدخلوها إلا خائفين﴾ [البقرة: ١١٤] وفي حرف أبي وابن مسعود: أن يدخلوها إلا خيفا والخافة: خريطة من أدم ضيقة الرأس واسعة الاسفل، تكون مع مشتار العسل إذا صعد ليشتار.

وحدثنا أبو عبد الله نفطويه، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيي، عن عماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: حدثني عمي صباح بن خاقان، قال: قال خالد بن صفوان، لبعض الولاة: قدمت فأعطيت كلا بقسطه من وجهك وكرامتك، حتى كأنك لست من أحد، أو حتى كأنك من كل أحد

وأنشدني أبي بكر بن الأنبارى، قال: أنشدنى أبى، عن أحمد بن عبيد:

ما لرسولي أتاني منك باليأس ... وقال أظهرت بعدي جفوة القاسي

أني أحبك حبا لا لفاحشة ... والحب ليس به في الله من باس

وقرأت على أبي بكر بن دريد:

ولما أبى إلا جماحا فؤاده ... ولك يسل عن ليلي بمال ولا أهل

تسلى بأخرى غيرها فإذا التي ... تسلى بها تغري بليلى ولا تسلى

وأنشدنا أبو عبد الله:

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٤٢/١

يا منية النفس إن أعطيت منيتها ... وسؤلتي إن دنونا أو نأيناك

هل بعثنا ببديل منذ لم نركم ... فما بشيء من الأشياء بعناك

إن كنت لم تذكرينا عند فرقتنا ... فيشهد أنا ما نسيناك

وحدثنا أبو بكر بن دريد، رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: تذاكر قوم صلة الرحم وأعرابي جالس، فقال: منسأة في العمر، مرضاة للرب، محبة في الأهل

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: **وصف أعرابي** ناقة فقال: إذا اكحالت عينها.

وأللت أذنها، وسجح خدها، وهدل مشفرها، واستدارت جمجمتها، فهي الكريمة سجح: سهل وحسن.

وهدل: استرخى.." (١)

"مطلب كتاب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي يطلب إليه رجلا يستعين به في أموره

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا الحسن بن خضر، عن أبيه، قال: كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي: أما بعد فإني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ذي عفة ونزاهة طعمة، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ليس بظنين في رأيه، ولا بمطعون في حسبه، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهما من الأمور أجزأ فيه، له سن مع أدب ولسان، تقعده الرزانة ويسكنه الحلم، قد فر عن ذكاء وفطنة، وعض على قارحة من الكمال، تكفيه اللحظة، وترشده السكتة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها، وقام في أمورهم فحمد فيها، له أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه، دلائل الفضل عليه لائحة، وأمارات العلم له شاهدة، مضطلعا بما استنهض، مستقلا بما حمل، وقد آثرتك بطلبه، وحبوتك بارتياده، ثقة بفضل اختيارك، ومعرفة بحسن تأتيك، فكتب إليه: إني عازم أن أرغب إلى الله جل وعز حولا كاملا في ارتياد مثل هذه الصفة، وأفرق الرسل الثقات في الآفاق لالتماسه، وأرجو أن يمن الله بالإجابة، فأفوز لديك بقضاء حاجتك والسلام

وأخبرنا أبو عبد الله قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثت عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: وصف رجل رجلا فقال: كان والله سمحا سحا، يمر سهلا، بينه وبين القلب نسب، وبين الحياة سبب، إنما هو عيادة مريض وتحفة قادم، وواسطة قلادة

قال أبو عبد الله، وحدثنا أبو العباس، قال: **وصف أعرابي** رجلا فقال: كان والله مطلول المحادثة، ينبذ إليك الكلام على أدراجه، كأن في كل ركن من أركانه قلبا يقد.

يعني مستحدث الحديث

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢١٣/١

مطلب ما تقول العرب في معنى ما بالدار أحد

وقال يعقوب بن السكيت: يقال: ما بالدار أحد، وما بها دوي ودعوي وطهوي ودبي ولاعي قرو.." (١)

"وصف أعرابي الدنيا وقد سئل عنها

وحدثنا أبو بكر بن دريد، رحمه الله، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: وجد بخط العتبي بعد موته في كتبه، أن رجلا سأل بعض الزهاد فقال: أخبرني عن الدنيا، فقال: جمة المصائب، رنقة المشارب، لا تمتع صاحبا بصاحب

وحدثنا أبو بكر، رحمه الله، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي زيد قال: سأل الوليد بن عبد الملك أباه عن السياسة، فقال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع، فإن شكرها أقرب الأيادي إليها

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: قيل لبعض الحكماء: ما الداء العياء؟ فقال: حسد ما لا تنأله بقول ولا تدركه بفعل

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: سمعت أعرابيا يقول: من لم يضن بالحق عن أهله فهو الجواد، وسمعت آخر يقول: الصبر عند الجود أخو الصبر عند اليأس، وسمعت آخر يقول: سخاء النفس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء البذل

وحدثنا أبو بكر، رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: شاور أعرابي ابن عم له فأشار عليه برأي، فقال: قد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمره وحزنه بسهله، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره، وقد وعيت النصح منه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا شك في مودته وصافي غيبه، وما زلت بحمد الله إلى الخير منهجا واضحا وطريقا مهيعا: المهيع: الواضح ما كان زياد يقوله للرجل إذا أراد أن يوليه عملا

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس، قال: كان زياد إذا ولى رجلا عملا قال له: خذ عهدك وسر إلى عملك، واعلم أنك مصروف رأس سنتك، وأنك تصير إلى أربع." (٢)

"وصف أعرابي للسويق

قال: وحدثنا أبو بكر، رحمه الله، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: قال الأصمعي: عاب رجل السويق بحضرة أعرابي، فقال: لا تعبه، فإنه عدة المسافر، وطعام العجلان، وغذاء المبكر، وبلغة المريض، ويسرو فؤاد الحزين، ويرد من نفس المحدود، وجيد في التسمين، ومنعوت في الطب، وقفاره يجلو البلغم، وملتوته يصفي الدم، وإن شئت كان شرابا، وإن شئت كان طعاما، وإن شئت فثريدا، وإن شئت فخبيصا يسرو: يكشف ما عليه، يقال: سرا عنه ثوبه إذا نزعه، والمحدود: الذي قد حد أي قد ضرب الحد، والقفار: الذي لم يلت بشيء من أدم لا زيت ولا سمن ولا لبن، يقال: طعام قفار وعفار وعفير وسختيت وحث.

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١/٢٤٩

(٢) أمالي القالي أبو علي القالي ٢/٨٠

حدثني أبو عمرو، قال: حدثنا أبو العباس، عن ابن الاعرابي، قال: العرب تقول: ماء قراح، وخبز قفار لا أدم معه، وسويق حث وهو الذي لم يلت بسمن ولا زيت، وحنظل مبسل وهو أن يؤكل وحده قال الراجز:

بئس الطعام الحنظل المبسل ... ييجع منه كبدي وأكسل

ويروى: ياجع

قال وحدثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: قال أعرابى: اعتذار من منع أجمل من وعد ممطول

تخاصم مالك بن أسماء بن خارجة وأخيه عيينة وما قاله فيه من الشعر لما حبسه الحجاج

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى، قال: كان مالك بن أسماء بن خارجة واجدا على أخيه عيينة بن أسماء، وطال ذلك حتى تفاقم الأمر بينهما، فأخذ الحجاج عيينة فحبسه لجبايات كانت له، وكتب إلى مالك يعلمه بذلك وهو يظن أنه يسره، فلما قرأ الكتاب أنشأ يقول:

ذهب الرقاد فما يحس رقاد ... مما شجاك وملت العواد

خبر أتاني عن عيينة مفظع ... كادت تقطع عنده الأكباد

ويروى: عن عيينة موجع

بلغ النفوس بلاؤه فكأننا ... موتى وفينا الروح والأجساد." (١)

"وعوقب بها الإنسان. وكان يقال: رأس المآثم الكذب، وعمود الكذب البهتان. وقال ابراهيم النخعي١: الفكر مخ العمل. وقيل لأعرابي: إنك لحسن الكدنة٢، قال: ذلك عنوان نعمة الله عندي. **ووصف أعرابي** قوما فقال: كانوا إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام، وإذا تصافحوا بالسيوف قعد الحمام٣.

وقال أكثم٤: الحلم دعامة٥ العقل. وسئل آخر عن البلاغة فقال: دنو المآخذ، ونزع٦ الحجة، وقليل من كثير.

وقال خالد بن صفوان٧ لرجل: رحم الله أباك؛ فإنه كان يقرى العين جمالا والأذن بيانا٨. وسئل أعرابي عن صديق له فقال: صفرت عياب٩ الود بيني وبينه بعد امتلائها، واكفهرت وجوه كانت بمائها. وذكر أعرابي رجلا فقال: إن الناس يأكلون أماناتهم لقما وفلان يحسوها حسوا١٠. وقيل لأعرابية: أين بلغت قدرك؟ فقالت: حين قام خطيبها١١. وقال بعضهم: من ركب ظهر الباطل نزل دار الندامة. وقيل

---

١ من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث، وكان فقيه العراق وإماما مجتهدا صاحب مذهب، وهو من أهل الكوفة، مات عام ٩٦هـ، وقد سبق ذكر له في الشرح.

٢ الكدنة: السنام والشحم والمراد الهيئة.

٣ راجع الرواية في الصناعتين ص٢٧٤. ويروى: فغر فمه: فتحه. وقعد أصوب.

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢/١٩٥

٤ أكثم بن صيفي حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين، أدرك الإسلام وقصد المدينة عام ٩هـ مع جماعة من قومه ليسلموا فمات في الطريق "الأغاني ٧٠/ ١٥".

٥ دعامة كل شيء: عماده.

٦ في رواية: وقرع، كما في البيان والصناعتين.

٧ خطيب بليغ ومتكلم فصيح عاصر الدولة الأموية وجالس السفاح، وتوفي في أول عهده عام ١٣٣هـ، وكان بخيلا مطلاقا، وقال فيه الجاحظ: هو من الخطباء المشهورين في العوام المقدمين في الخواص وكان يقارض شبيب بن شبيب ... إلخ "البيان ٢١٩، ٢٢٠/ ١، ٢٢٨/ ٢".

٨ رواية الجاحظ: يملأ العين جمالا "٢٦٤/ ٣ البيان".

٩ صفرت: خلت. عياب: جمع عيبة وهي الحقيقة.

١٠ اللقم: الابتلاع. وحسا المرق من باب عدا: شربه شيئا بعد شيء.

١١ تريد صوت مائها وهو يغلي.." (١)

"بإجانة لو أنه خر بازل ... من البخت فيها ظل للجنب يسبح١

وصف أعرابي فرسا فقال: إن الوابل ليصيب عجزه فيما يبلغ معرفته حتى أبلغ ما أريد٢.

وقال المؤمل٣ "من الخفيف":

من رأى مثل حبتى ... تشبه البدر إذا بدا

تدخل اليوم ثم تد ... تخل أردافها غدا٤

وقال عباس٥ الخياط "من الرمل":

لأبي عيسى رغيف ... فيه خمسون علامة

فعلى جانبه الوا ... حد لقيت الكرامه

ثم لأذاقك إلى ضيف ... إلى يوم القيامة

وعلى الآخر سطر ... نسأل الله السلامه

وقال أيضا يجهو إماما بطيء القراءة "من المنسرح":

إن قرأ "العاديات" في رجب ... لم يقر آياتها إلى رجب

بل هو لا يستطيع في سنة ... يختم ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ ٦

وقال أعرابي في وصف امرأة:

ما يمس ثوبها منها إلا مشاش منكبيها، وحلمتي ثدييها، ورانفتى أليتيها٧.

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/٨٠

١ الإجانة معروفة "شبه الماجور"، خر: أي سقط، البازل من الإبل: الكبير في السن، والبختي من الإبل: الأنثى بختية؛ وهي الإبل الخرسانية، الجنب: معروف. سبح في الماء: عام فيه، ينوه الشاعر بكرم قومه ويصف قدورهم وضخامتها، وضخامة القدر من مستلزمات الكرم.

٢ الوابل: المطر الشديد، معرفة الفرس: هي الموضع الذي ينبت عليه العرف وهو الذي في أعلى عنقه ورأسه. يصف الشاعر فرسه بالكرم وسرعة العدو.

٣ المؤمل بن أميل المحاربي الشاعر الكوفي، أدرك الدولتين وانقطع إلى المهدي، وهو صالح المذهب في شعره، وفي شعره لين وطبع صالح "٥٢٣ ج٣ خزانة طبع بولاق" ومات نحو سنة ١٩٠هـ.

٤ الحبة: أبي الحبيبة، الأرداف جمع ردف وهو الكفل.

٥ لم أقف على ترجمة له ورد اسمه في الموشح ص٣٢٤.

٦ سورة المسد، آية: ١.

٧ المنكب: مجمع عظيم العضد والكتف، المشاش: رأس العظم، الحلمة: رأس الثدي، الألية: العجيزة، الرائفة: طرف غضروف الأنف.." (١)

"ومن بديع الاستعارة في المنثور قول بعض العرب: خرجت في ليلة حندس قد ألقت على الأرض أكارعها فمحت صورة الأبدان، فما كدنا نتعارف إلا بالآذان.

وقال بعض العرب: جعلنا الرماح أرشية الموت فاستقينا بها أرواحهم: ومدح أعرابي قوما فقال: أولئك غر تضيء في ظلم المشكلات، وتصغي إليهم المجد، يصومون على الفحشاء، ويفطرون على المعروف.

ووصف آخر روضة فقال: جرت بها الريح أذيالها وحطت بها السحاب أثقالها.

ووصف أعرابي قومه فقال: إذا اصطفوا تحت القتام، سفرت بينهم السهام، وإذا تصافحوا بالسيوف، فغرت أفواه الحتوف.

وقال آخر:

سأبكيك للدنيا وللدين؛ إنني ... رأيت يد المعروف بعدك شلت

وقال آخر:

وجيش تضل البلق في حجراته ... ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

وقال أبو تمام:." (٢)

"٩٧ - **وصف أعرابي** بعيرا فقال: إذا عصل نابه، وطال قرابه، فبعه بيعا زليقا، ولا تحاب به صديقا. قرابه: خاصرته؛ هكذا وجدته.

٩٨ - العرب تقول: ويل أهون من ويلين، كما تقول: بعض الشر أهون من بعض.

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/١٦٥

(٢) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٤٤

٩٩ – يقال: مشى له الخمر والضراء إذا استنزله وختله، ومشى الملا والبراح إذا مشى ظاهرا بارزا؛ كأنه في الأول دب خادعا، وفي الثاني سلك السواء.

١٠٠ – وأنشد لحبيب بن خدرة: الطويل

ألا حبذا عصر اللوى وزمانه ... إذ الدهر سلم والجميع حلول." (١)

"لمثلكم تحمل السيوف ولا ... تغمز أحسابنا من الرقق

إني لأنمى إذا انتميت إلى ... عز عزيز ومعشر صدق

بيض سباط كأن أعينهم ... تكحل يوم الهياج بالعلق

كان بعض الرؤساء يعجب من هذا الكلام ويتعجب به.

١١٤ – **وصف أعرابي** أجمة فقال: مناقع نز، ومرعى إوز، قضبها تهتز، ونبتها لا يجز.

١١٥ – الكامل

وإذا جددت فكل شيء نافع ... وإذا حددت فكل شيء ضائر

الجد – بالجيم، ها هنا بالفتح – هو إنقياد الأمر، والحد – بالحاء – هو أمتناعه ومنعه، ومنه سمي البواب حدادا لأنه يمنع، كذا قال ثعلب؛ ومنه قيل حدود الله عز وجل أي محارمه، كأنها مانعة من التعدي؛ ومنه حدود الدار كأنها حائزو لما أحاطت به، ومانعة من أنفسها ما ليس منها؛ والحداد: البحر، كأنه مانع من الطريق؛ والحدود: المصور، والمصر: الحاجز ويكتب هكذا: أشترى فلان هذه الدار بمصورها. وقال بعض المتكلمين: حد." (٢)

"أنشد الحارثة بن بدر الغداني: الطويل

طربت بفاثور وما كدت تطرب ... سفاها وقد جربت فيمن يجرب

وجربت ماذا العيش إلا تعلة ... وما الدهر إلا منجنون يقلب

وما اليوم إلا مثل أمس الذي مضى ... ومثل غد الجائي وكل سيذهب

وقال محمد بن هاشم: التعليق في حواشي الكتب كالشنوف في آذان الأبكار.

قال فيلسوف: أحسن الكلام ما كان له نظام، وعرفه الخاص والعام.

وصف أعرابي نساء فقال: أقبلن بحجول تخفق، وأوشحة تقلق، فمن أسير ومطلق.

شاعر: الطويل

إذا افترشت أعناقها الأرض طيرت ... دقاق الحصى أنفاسها وزفيرها

شددنا بها الأنساع وهي قصيرة ... فطال على طول السفار قصيرها." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٤٢/١

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٤٧/١

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٣٨/١

"وقال الجنيد: لو علمت أن تحت أديم السماء علما أجل من علمنا لقصدته وسعيت إليه.

ما أحوجنا إلى عالم منطيق يكشف لنا كلام هذه الطائفة، وسأسوق إليك من غرائب ألفاظ الصوفية، وبدائع كلام النساك، ومحاسن كلام أرباب المقالات، وطرائق ما لاح لذوي الآراء والديانات، على غيلا إطالة مملة، ولا إيجاز مخل، ما يكون غرة هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

وصف أعرابي رجلا فقال: ذاك رجل سبق معروفه إلي قبل طلبتي إليه، فالعرض وافر، والوجه بمائه، وما أستقل بحمل نعمة منه إلا أثقلني بأخرى، وكان والله مع هذا منهاجا للأمور المشكلة، إذا ما تناحى ذوو الألباب باللائمة.

وصف آخر قوما فقال: منهم من يقطع كلامه قبل أن يصل إلى لسانه، ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه، ومنهم من يغشى كلامه الآذان فيحملها إلى الأذهان شرا طويلا.

وقال يونس النحوي: إني لفي ظل دار ابن عامر، في يوم من أيام ناجر: قد اتقدت فيه الهواجر، إذ أقبلت امرأة لم أر مثلها في شبابها." (١)

"قال ابن هبيرة: الشجاعة لمن كانت معه الدولة.

وقال ناسك: ما تبالي حسنت جورا ودخلت فيه، أو قبحت عدلا وخرجت منه.

وصف أعرابي فرسا فقال: كأنه شيطان في أشطان.

قال الأحنف: الأدب في الإنسان نور العقل، كما أن النار في الظلمة نور البصر. وهذا بكلام الفلاسفة أشبه، ولكن كذا أصبته في كتاب ابن أبي طاهر في الحلي والحلل صاحب المنظوم والمنثور، وإنما أحكي ما أجد.

وأنشد ابن أبي طاهر لبشار: الكامل

فسد الزمان وساد فيه المقرف ... وجرى مع الطرف الحمار الموكف

فدع التبحث عن أخيك فإنه ... كسبيكة الذهب الذي لا يكلف

قال الحسن: إن من أعظم نعم الله على خلقه أن خلق لهم النار تحوشهم إلى الجنة.

وقال العتبي: لا تنازع الرأي من لا ينازعك الحظ.." (٢)

"وقال السكري عن الرياشي عن العتبي: رأيت أعرابيا يقول لأخيه: هل لك أن ننتجع أحساء رملات نجد علنا نجد بها ريا، فقال له الآخر: ذاك مطلب لا ينال إلا بشق وبعد، ولعل المحلىء عنه يذود الحوم منه.

السكري عن أبي حاتم عن الأصمعي، قال: **وصف أعرابي** ناقة فقال: تقطع الأرض عرضا، وترض الحجارة رضا، وتنهض في الزمام نهضا، سريعة الوثوب، بطيئة النكوب، مدلاج سروب.

السكري عن الأصمعي قال: قالت أعرابية لزوجها: أنحن أنعم عيشا أم بنو مروان، فقال: هم أطيب طعاما منا، ونحن أردأ كسوة منهم، وهم أنعم منا نهارا، ونحن أظهر ليلا.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٥٢/١

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٩٧/١

وبإسناده أنشد أبو عمرو بن العلاء: الطويل

يطيل قصير الليل بالسوس عاذل ... وأنى يقص الجود قادمتي وفري

ومستنور والليل يطفيء ناره ... وماء كراه بين أعيننا يجري." (١)

"والكذب شعار خلق، ومورد رنق، وأدب سيء، وعادة فاحشة، وقل من استرسل فيه إلا ألفه، وقل من ألفه إلا أتلفه؛ والصدق ملبس بهي، ومنهل عذب، وشعاع منبث، وقل من اعتاده ومزن عليه إلا صحبته السكينة، وأيده التوفيق، وخدمته القلوب بالمحبة، ولحظته العيون بالمهابة.

وصف أعرابي رجلا فقال: أخذ بزمام الكلام فقاده أسهل مقاد، وساقه أحسن مساق، حتى استرجع به القلوب النافرة، واستوقف به الأبصار الطامحة.

قال إسحاق الموصلي: قالت لي ديباجة الأعرابية: أنت بنغم ألفاظك - دون نغم ألحانك - تطرب إذا تكلمت، فكيف تراك تصنع إذا ترنمت؟! العرب تقول: نومة الضحى في الصيف مبردة، وفي الشتاء مسخنة.

وكان بعض أغبياء النساك آدر، فكان يكشف أنثييه للأنام ليضحكوا منه ويقول: اللهم ليس عندي ما أفرحهم به، فلا تنس لي هذا.

قال ابن المدبر، أنشدني ابن السكيت: البسيط." (٢)

"شرب أعرابي شربة من لبن فقال: من رزقه الله الشكر من النعمة باللبن فقد ألهمه الشكر على جميع النعم لأنه يجمعها.

قيل لأحيحة بن الجلاح: أي المال أحب إليك؟ قال: ودية ملمة، أونعجة مرمة.

أنشد أبو نصر غلام الأصمعي: الطويل

لنا صرم ينحرن في كل شتوة ... إذا ما سماء الناس قل قطارها

ونحمي بها العرض الكريم ونتقي ... ويروي ظماء المعتفين شعارها

قال أعرابي من أهل اليمامة: عندنا ثمرة تسمى البردي لهي أحسن من العقيان في صدور الفتيان، فإن جعلتها نبيذا فهي سم الأساود، والقائم فيها ساجد.

وصف أعرابي رجلا فقال: كان الفهم منه ذا أذنين، والجواب ذا لسانين، لم أر أحدا أرتق لخلل ثأى منه؛ كان بعيد مسافة الرأي ومراد الطرف، إنما يرمي بهمه حيث أشار له الكرم، يتحسى مرار الإخوان ويسقيهم العذب.

أعرابية ترثي: المتقارب

ألا هلك الجود والنائل ... ومن كان يعتمد السائل." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣٣/٢

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٦٤/٢

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٧٧/٣

"القلوب لما ترجو من عفوه عن المذنب، وقبوله من المعتب.

٥٤ – **وصف أعرابي** رجلا فقال: لا تراه الدهر إلا كأنه لا غنى به عنك وإن كنت إليه أحوج، إن أذنبت غفر وكأنه المذنب، وإن احتجت إليه أحسن وكأنه المسيء.

٥٥ – وقال أعرابي: ألم أكن نهيتك أن تريق ماء وجهك بمسألتك من لا ماء في وجهه؟! ٥٦ – وقال: والله لو وقع فلان في ضحضاح معروفة لغرق.

٥٧ – وقال أعرابي لأخيه ورآه حريصا على الدنيا: يا أخي أنت طالب ومطلوب، ويطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، وكأن ما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه؛ يا أخي كأنك لم تر حريصا محروما. ولا زاهدا مرزوقا.

٥٨ – سئل أعرابي: من أبلغ الناس؟ قال: أحسنهم لفظا، وأمثلهم بديهة، قيل: فمن أصبر الناس؟ قال: أردهم لجهله بحلمه، إن قاتل أبلى. وإن أعطى أغنى.." (١)

"٢٧٨ – مدح أعرابي رجلا فقال: هو والله فصيح النسب فسيح الأدب، من أي أقطاره أتيته انثني إليك بكرم المقال وحسن الفعال.

فصيح النسب حلو جدا، وهو استعارة، إلا انه ها هنا لاصق بالمعنى وذلك أنه أشار إلى صحة النسب سلامة العرق وكرم المنبت؛ وأما قوله فسيح الأدب، فقد والله جمع بين غزارة الموصوف في أدب النفس والعلم، وهذا نمط لا يتسع الكلام فيه على جميع ما يمر في الكتاب، ولو أمكن ذلك لبلغ الكتاب عشرة آلاف ورقة أو أكثر.

٢٧٩ – **وصف أعرابي** قوما فقال: صدورهم قبور الأسرار، وسيوفهم آفات الأعمار.

٢٨٠ – وصف ابن المقفع رجلا فقال: رفعه التقتير عن التقدير، وحطه التبذير عن التدبير.

٢٨١ – وصف رجل آخر فقال: هو أحلى من رخص السعر، وأمن السبل، ودرك الماني، وبلوغ الآمال.

٢٨٢ – **ووصف أعرابي** رجلا فقال: نعم حشو الدرع، ومقبض السيق، وصدر الرمح؛ كان إذا لوين أحلى من العسل، وإذا خولف أمر من الحنظل.." (٢)

"٢٨٣ – وذم أعرابي رجلا فقال: عبد البدن، حر الثياب، عظيم الرواق، صغير الأخلاق، الدهر يرفعه، ونفسه تضعه.

٢٨٤ – **وصف أعرابي** آخر فقال: إن أتيته احتجب، وإن غبت عنه عتب، وإن عاتبته غضب.

٢٨٥ – وقال الرياشي: ذم أعرابي رجلا فقال: ليس له أول يحمل عليه، ولا آخر يرجع إليه، ولا عقل يزكو به عاقل إليه.

٢٨٦ – شاعر الكامل

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت ... إن الكلاب طويلة الأعمار

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥/٢٧

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥/٩١

١٨٧ – أنشد ثعلب الطويل

حسبتك إنسانا على غير خبرة ... فكشفت عن كلب أكب على عظم

لحى الله رأيا قاد نحوك همتي ... فأعقبني طول المقام على الذم

٢٨٨ – كاتب: قد عرضت لي قبلك حاجة فإن نجحت فالفاني منها حظي والباقي حظك، وإن تعذرت فالخير مظنون بك، والعذر ممهد لك.." (١)

"واستغرقتني مقتك، فاجأتني بتغيير لونك، وانزواء ركنك، وفاحش لفظك، وشانئ لحظك.

شاعر: الوافر

ستنكت نادما في الأرض مني ... وتعلم أن رأيك كان عجزا

كاتب: عقدوا ألوية الفتنة، وأطلقوا أعنة البدعة.

قال بعض السلف: الحمد لله الذي جعل الدنيا دار قلعة ومجاز، ومحل شتات وأوفاز، ومضمار أهبة وجهاز، والآخرة دار القرار، وقرة عين الأبرار.

وصف أعرابي رجلا فقال: فيه جور مع الأكفاء، وعجز عن الأعداء، وإسراع إلى الضعفاء، وكلب على الفقراء، وإقدام على البرية، واهتضام للرعية.

قال أعرابي لقومه: كسروا أجنحة الضغائن في قلوبكم، واغرسوا أشجار الإحن في صدوركم، وأوقدوا نيران الأحقاد بينكم.

قال أعرابي: أنت تنظر بعين قد منعها الهوى من العدل، وتقول بلسان قد حالت المحاباة بينه وبين تحري الحق.

مدح رجل رجلا عند الفضل بن الربيع، فقال له الفضل: يا عدو الله، ألم تذكره عندي بكل قبيح؟ فقال: ذاك في السر، جعلت فداك.

وقع في بعض الثغور نفير، فخرج رجل من أهلها ومعه قوس بلا." (٢)

"قيل للمفضل: لم لا تقول الشعر وأنت من العلماء به؟ قال: علمي به يمنعني منه.

لأبي الأسد: الطويل

وإني على عدمي لصاحب خمة ... لها مذهب بين المجرة والنسر

قال العتابي: من أعظم مكايد الشيطان ازدراؤك من علماء دهرك من عنده المخرج مما أشكل عليك، وتهمتك من يلزمك الاقتباس منه.

وصف أعرابي خيلا فقال: سامية العيون، لاحقة البطون، مصغية الآذان، أفتاء الأسنان، ضخام الركبات، مشرفات الحجبات، رحاب المناخر، صلاب الحوافر، وقعها تحليل، ورفعها تعليل، إن طلبت نالت، وإن طلبت فاتت.

شاعر: الطويل

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩٢/٥

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٥٠/٥

كأنك لم تشهد إذا كنت غائبا ... ولم تك يوما غائبا حين تشهد

وصف أعرابي قوما فقال: كأن خدودهم ورق المصاحف، وكأن أعناقهم أباريق الفضة، وكأن حواجبهم الأهلة.." (١)

"قال يزيد بن كثير العنبري: طرحنا الحشمة فيما بيننا وبين حفظتنا طرح من لا يؤمن أنهم معه يعلمون ما يقول ويفعل.

وصف أعرابي رجلا فقال: كان قصير الشبر، صغير القدر، ضيق النفس والصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر.

قال ابن عباس: ما رأيت رجلا أوليته خيرا إلا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلا فرط مني إليه سوء إلا أظلم ما بيني وبينه.

قال المدائني: أتي الوليد بن عبد الملك برجل من عبس، فسأل عن حاله وذهاب عينه فقال: ما كان في الأرض يا أمير المؤمنين عبسي أكثر مالا مني وولدا، فأتى السيل ليلا فلم يبق لي مالا ولا أهلا ولا ولدا إلا بنيا صغيرا وبعيرا، فحملت الصبي، وند البعير فوضعت الصبي وتبعته فنفحني برجله ففقأ عيني، فجرعت إلى ابني فإذا الذئب يلغ في دمه، فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروة بن الزبير ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه.

قيل لأبي ذر: تحب أن تحشر في مسلاخ أبي بكر؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: لأني من أمري على ثقة، ومن أمري غيري على شك. هذا جواب مستجفى.." (٢)

"سئل أعرابي عن ابن أخيه فقال: سكير لا يفيق، يتهم الصديق ويعصي الشفيق.

قيل لأعرابي: في خلافة من ولدت؟ قال: في خلافة يوسف بن عمر، أو كسرى بن هرمز، وأعوذ بالله أن أقول على الله إلا حقا.

قال أعرابي: الدراهم مواسم، تسم جميلا أو دميما، فمن حبسها كان لها، ومن أنفقها كانت له.

وصف أعرابي مملوكا له فقال: الرجز

يزعزع الدلو ... وما يزعزعه

يكفيه من جم ... ع البنان إصبعه

تكاد آذان ... الدلاء تتبعه

كاتب: كرم الوزير ورغبته في المعروف يطلقان الألسن بالمسألة، ويقربان الطالب من البغية، وعوائد إحسانه وترادف امتنانه يضمنان النجح ويؤكدان الثقة.

كان الشعبي يجلس إلى خياط، فقال له يوما: إذا حدثت فلا." (٣)

"إذا أخذت بحبل من حبائله ... دانت لك الأرض أدناها وأقصاها

ما هبت الريح إلا هب نائله ... ولا ارتقى غاية إلا تخطاها

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٦٢/٥

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٦/٥

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٦/٦

قيل لزياد النميري: ما منتهى الخوف؟ قال: إجلال الله تعالى عن مقام السؤال؛ قيل: فما منتهى الرجاء؟ قال: تأميل الله تعالى على كل حال.

وصف أعرابي قوما فقال: يقتحمون الحرب حتى كأنما يلقونها بأنفس أعدائهم.

دخل الأوزاعي على المهدي فوعظه وذكره، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى أعطاك فضل الدنيا وكفاك طلبها، فاطلب فضيلة الآخرة فقد فرغك لها؛ فاستحسن قوله.

قال يزيد بن المهلب: دخلت الحمام مع سليمان بن عبد الملك ومعنا عمر بن عبد العزيز، فقال لي عمر: إني محدثك حديثين: أحدهما سر والآخر علانية؛ أما العلانية فإن هذا سيوليك العراق، فاتق الله، وأما السر فإني كنت فيمن دلى الوليد بن عبد الملك في حفرته، فلما صار في أيدينا اضطراب في أكفانه فقال ابنه: عاش أبي ورب الكعبة، فقلت: كلا، ولكن عوجل أبوك ورب الكعبة.." (١)

"فيستمع القرآن؛ فتصدقت باثني عشر ألف درهم.

قيل لداود بن رشيد: لم كره الناس أن يدخلوا بنسائهم في شوال؟ قال: مات فيه بالطاعون الجارف تسع عشرة ألف عروس.

وصف أعرابي مطرا فقال: السماء واكفة والأرض راشفة.

لما عزم نوبخت على الإسلام كتب رقعتين، إحداهما " الدين والإسلام ومحمد وآله " وكتب في أخرى " المجوسية ومحبة الشمس " ودعا برجل من المسلمين فقال: ادفنهما حيث شئت، فدفنهما وخرج، ودخل نوبخت فأخذ الارتفاع، فوجد السعود كلها في ناحية المشرق فقال: الحق في المشرق، وأخرج الرقعة فإذا رقعة " الإسلام ومحمد وآله " وكان ذلك سبب تشيعه.

قال ابن جدار المصري: قال لي أبو العميثل شاعر بني طاهر النعمان اسم من أسماء الدم، ولم يعن شقائق النعمان بن المنذر؛ قال أبو." (٢)

"مقلب للسانه بالملق، يتأبس بالتخلق وجه الخلق، موجود عند النعمة، مفقود عند الشدة، قد أنس بالمسألة، وضري بالرد، فلا تعق عقلك باختياره، ولاتوحش النعمة بإذلالها به، والسلام.

قيل لمجنون كان بالبصرة: عد لنا مجانين البصرة، قال: كلفتموني شططا، أنا على عد عقلائهم أقدر.

قيل لأعرابي: لم يقال أباعك الله في الأعراب؟ قال: لأنا نجيع كبده، ونعري جلده، ونطيل كده.

وصف أعرابي رجلا فقال: كان إذا تكلم أفاد، وإذا سئل جاد، وإذا ابتدأ أعاد.

شاعر: الرجز

يا إبلي روحي إلى الأضياف ... إن لم يكن فيك صبوح كاف

فأبشري بالقدر والأثافي ... وغارف ومغرف غراف." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٥٤/٧

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٦٧/٧

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٠٢/٧

"قيل لصوفي: ما مثال الدنيا؟ قال: هي أقل من أن يكون لها مثل.

يقال: حفشت الأدوية إذا سالت كلها، وحفشت المرأة على زوجها إذا أقامت عليه ولزمته، والحفش أيضا: البيت القريب السمك من الأرض.

وقال: الأسلوب: السطر من الشجر. هذا كله قاله المفجع.

وأنشد: الوافر

أتته وهي جانحة يداها ... جنوح الهبرقي على الفعال

والفعال بكسر الفاء: نصاب الفأس، وأما الفعال بالفتح فالكرم، هكذا قال الناس.

قيل لناسك: ما الحيلة؟ ترك الحيلة.

وصف أعرابي قوما فقال: كأن خدودهم ورق المصاحف، وكأن أعناقهم أباريق الفضة، وكأن حواجبهم الأهلة.

قال أبو حازم الأعرج: الدنيا غرت أقواما فعملوا فيها بغير." (١)

"سأل أعرابي الحكم بن عبد المطلب فأوسعه خيرا، فبكى الأعرابي فقال: ما يبكيك؟ قال: إني والله أنفس بك على الأرض أن تأكلك.

قال أبو بكر الصديق: أشقى الناس في الدنيا الملوك، فتغامز القوم فقال: أما علمتم أن الملك إذا ملك قصر أجله، ووكلت به الروعة والحزن، وكثر في عينه قليل ما في يد غيره، وقل في نفسه كثير ما عنده.

قال إسحاق: **وصف أعرابي** رجلا فقال: كان والله مطلول المحادثة، ينبذ الكلام إليك على أدراجه كأن في كل ركن من أركانه قلبا.

مطلول: من الطل.

قال الفراء في النوادر: أنشدني أبو صدقة الزهري لفلان: الكامل

إني عجبت لكاعب مردونة ... أطرافها بالحلي والحناء

بيضاء تصطاد القلوب وتستبي ... بالحسن قلب المسلم القراء

قالت أزيد أنت ما لك هكذا ... كالعبد مطليا بأي طلاء

كالقار لونك أو طليت برامك ... أو مس جلدك هانئ بهناء

لا تعجبي مني فدى لك واسمعي ... أخبرك ما ينأى من الأنباء

أخبرك أن وضاءتي في ميعتي ... وغرارتي في عدة ونماء." (٢)

"**وصف أعرابي** رجلا فقال: كان مفزعا للأمة، رفيع الجمة.

لما هلك الحسن بن علي دفنه الحسين بن علي ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهم، فلما حصل في حفرته دمعت عينا محمد

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥٨/٨

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٦٣/٨

واستعبر ثم قال: رحمك الله يا أبا محمد، فلقد عزت حياتك وهدت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك، ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك، وكيف لا يكون كذلك وأنت سليل الهدى، وحليف التقوى، خامس أصحاب الكساء، غذتك أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، طبت حيا وطبت ميتا، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيار لك.

قال يحيى بن زيد رضي الله عنهما: نحن من أمتنا بين أربعة أصناف: ظالم لنا حقنا، وبالغ بنا فوق قدرنا، ومعط ما يجب لنا، وحامل علينا ذنب غيرنا.

وصف أعرابي رجلا فقال: ذاك والله ممن ينفع سلمه، ويتواصف حلمه، ولا يستمرأ ظلمه.

قالت أعرابية لزوجها ورأته مهموما: إن كان همك للدنيا فقد فرغ الله منها، وإن كان همك للآخرة فزادك الله تعالى هما بها.

يقال: الدنيا حمقاء لا تميل إلا إلى أشباهها.." (١)

"له رجل: وأي منفعة في أن يعلق رجل من إحدى يديه، فقال: سبحان الله، لا يعرق إبطه.

كان أبو خزيمة المديني يقول: اللهم ارزقني، فإن كنت لا ترزقني لكرامتي عليك فقد رزقت من هو خير مني سليمان بن داود، وإن كنت لا ترزقني لهواني عليك فقد رزقت من هو شر مني وهو فرعون ذو الأوتاد.

وشكا أبو خزيمة يوما نكبات الدهر فقال له رجل: هون فإن الله يدخر لك ثوابها، فقال له أبو خزيمة: الآخرة خير أم الدنيا؟ قال: بل الآخرة، قال: فإنه ليس يعطيني من أبغضهما إليه، يعطيني من أكرمهما عليه؟! يقال في قوله تعالى: " مسومين " معلمين، من سيماء وسيمياء، ومن قال مسومين أراد مرسلين، مأخوذ من الإبل السائمة المرسلة في مراعيها، فأما الحجارة فمسومة لا غير أي معلمة.

دعا أعرابي على رجل فقال: اللهم أبح ذماره، وعجل بواره، وباعد داره.

وصف أعرابي رجلا فقال: قد تقمص الشحناء، وادرع البغضاء، وتسربل العوراء.

وصف أعرابي آخر فقال: هو أفعوان البلاد، وعقربان الصلاد.

وصف أعرابي جيشا فقال: تكتب فرسانه، وتحرب أقرانه، واستعد شبانه.." (٢)

"**وصف أعرابي** رجلا فقال: هو كالمخدر الأكال، والذئب العسال.

قال أعرابي: بالله تعالى واثق، وبنفسي سابق، وإلى المبادهة تائق.

قال بعض السلف: العلم لا ينفد ولا يبيد، ولا يندم حامله، ولا يعطب من تمسك به، ولا يفتضح من استند إليه، ولا تسقط منفعته، ولا يخسر جامعه.

تقول العرب في صفة الأعداء: زرق العيون، سود الأكباد، صهب السبال.

قيل لأبي المدور السعدي: لم لا تجتمع مع الناس؟ قال: إنه لا يزال منكم عبد أحمق، محجوم القفا، معلم الكم، يكنى أبا

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩٧/٨

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٥/٨

إسماعيل وأبا إبراهيم وأبا إسحاق، يدلظني بمنكبه، أي يدفعني.

يقال: عنا يعنو إذا صار أسيرا، وأعنيته: استأسرته.

يقال: هلممت القوم أي دعوتهم.

قال بعض اللغويين: الوفرة ما لم يجز الأذن، والجمة: ما جاوزت الأذن، واللمة: ما ألمت بالمنكب، والذوائب والغدائر: ما لحق الكتفين.

وقال العلماء: أيام الشهر ثلاثة غرر، وثلاثة نفل، وثلاثة." (١)

"قال: وقال الجاحظ في بعض كتبه وذكر العراق فقال: هي موضع التميمة، وواسطة القلادة، بها تلاحقت الطبائع، وصرحت عن اللب الأصيل والخلق الجميل.

وصف أعرابي بلدا فقال: ارتحلت عنه ربات الخدور، وأقامت به رواحل القدور.

قال الحجاج: الكوفة امرأة حسناء عاطل، والبصرة عجوز قد أوتيت من كل شيء.

قال عبد الملك للحارث بن خالد بن العاص: أي البلاد أحب إليك؟ قال: ما حسنت فيه حالي، وعرض فيه جاهي.

قال بعض الظرفاء: الكمأة بيض الأرض.

وصف أعرابي غيثا فقال: بكرنا وسمي خلفه ولي، فالأرض بساط أحكم نسجه وأبدع وشيه.

قال بعض من تعصب للنرجس على الورد: النرجس أشبه بالعيون من الورد، فقال المتعصب عليه: يشبه عيون المرضى وأصحاب اليرقان ومن قد غلبت عليه المرة.." (٢)

"وكان المأمون يشبه الأترج بالمقفع الزمن.

قال بعضهم: لعن الله المرزنجوش والزادرخت، كأن هذا آذان الفار، وكأن هذا كف بق.

وكان بعضهم يبغض السرو ويقول: كأنه نساء عليهن حداد. ومرة كان يقول: السرو ذنب ابن عرس.

وقال: قلت للصوفي يوما: لم تؤثر النرجس على غيره ولا تنتفع به في حال سوى شمه طريا؟ فقال: النرجس روح كله، فإذا مات لم يخلف عندنا جسما.

قال أبو الحارث جمين، ورأى سروا: كأنه دخان يخرج من كوة.

وصف أعرابي الماء فقال: إن قلت هو متصل فبذاك يشهد انتظامه، وإن قلت متباينا فعلى ذاك يدل انقسامه، أوائله جاذبة لأواخره، وأعجازه طوع صدره، هو طبيب الأرض من سقامها، تقذف بما تضمنت بطونها على ظهورها.

وصف بعض الظرفاء الماء فقال: ما ظنكم بشيء إذا أجن وصار ملحا أخرج العنبر وأثمر الجوهر.." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٦/٨

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٤٧/٩

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٤٨/٩

"الصحة، والفاعل هو الطبيب المعالج، والغرض الذي بسببه يفعل الطبيب إنما هو بقاء جسم المعالج المدة التي تتهيأ له أن يبقاها، والشيء الذي يتخذه الطبيب آلة في المعالجة وإفادة الصحة هو كالفصد وسقي الأدوية. فإذا نقل هذا المثال إلى صناعة السياسة قلنا: إن المادة فيها أمور الرعية التي يتولى الملك القيام بها، والصورة فيها إنما هي المصلحة التي ينجو نحوها وهي نظير الصحة، لأن المصلحة هي صحة ما، والصحة مصلحة ما، وكذلك المفسدة سقم ما، والسقم مفسدة، والفاعل هو عناية الملك بما يباشره من أمور الرعية، وغرضه فيما يفعله هو بقاء المصلحة ودوامها، والشيء الذي يقوم له مقام الآلة في صناعته إنما هو الترغيب والترهيب: وفعل السائس الذي نظير المعالجة من الطبيب ينقسم بكليته إلى قسمين: أحدهما التعهد والآخر والاستصلاح؛ أما التعهد فحفظ المستقيم وأمور الرعية على استقامة وانتظام من الهدوء والسكون حتى لا يزول عن الصورة الفاضلة؛ وأما الاستصلاح فرد ما عارضه منها الفساد والاختلال إلى الصلاح والالتئام. ونظير هذا التعهد والاستصلاح في صناعة السياسة من صناعة الطب – التي هي سياسة الأجساد – حفظ الصحة وإعادة الصحة، وكما أن الطب كله مدرج في هذين البابين، كذلك السياسة كلها مدرجة في نظيريهما، يعني التعهد والاستصلاح. **وصف أعرابي** نفسه بالحفظ فقال: كنت كالرملة لا يقطر عليها شيء إلا شربته.." (١)

"وهذا هو تأويل قول الأصمعي: «البليغ من طبق المفصل «١» ، وأغناك عن المفسر» .

وخبرني جعفر بن سعيد، رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه، قال: ذكرت لعمرو بن مسعدة «٢» ، توقيعات جعفر بن يحيى، فقال: قد قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعاني.

قال: **ووصف أعرابي** أعرابيا بالإيجاز والإصابة فقل: «كان والله يضع الهناء مواضع النقب «٣» » . يظنون أنه نقل قول دريد بن الصمة، في الخنساء بنت عمرو بن الشريد، إلى ذلك الموضع، وكان دريد قال فيها:

ما إن رأيت ولا سمعت به ... في الناس طالي أينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب

ويقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز: «فلان يفل المحز، ويصيب المفصل» . وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز.

وأنشدني أبو قطن الغنوي، وهو الذي يقال له شهيد الكرم، وكان أبين من رأيته من أهل البدو والحضر:

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد ... علي لمخلوق من الناس درهما

ولكنني مولى قضاعة كلها ... فلست أبالي أن أدين وتغرما

أولئك قوم بارك الله فيهم ... على كل حال ما أعف وأكرما

جفاة المحز لا يصيبون مفصلا ... ولا يأكلون اللحم إلا تخذما." (٢)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٤٧/٩

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ١٠٧/١

"وقال النبي صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته. ثم قال: «والله ما يسرني به مقول من معد، والله إن لو وضعته على حجر لفلقه، أو على شعر لحلقه» .

قال: وسمعت أعرابيا يصف بلسانه رجل، فقال: «كان يشول بلسانه شولان البروق، ويتخلل به تخلل الحية» . وأظن هذا الأعرابي أبا الوجيه العكلي.

يشول: يرفع. البروق: الناقة إذا طلبت الفحل فإنها حينئذ ترفع ذنبها.

وإنما سمي شوال شوالا لأن النوق شالت بأذنابها فيه. فإن قال قائل: قد يتفق أن يكون شوال في وقت لا تشول الناقة بذنبها فيه، فلم بقي هذا الاسم عليه، وقد ينتقل ما له لزم عنه، قيل له: إنما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفق أن شالت النوق بأذنابها فيه، فبقي عليه كالسمة، وكذلك رمضان إنما سمي لرمض الماء فيه وهو في شدة الحر، فبقي عليه في البرد. وكذلك ربيع، إنما سمي لرعيهم الربيع فيه، وإن كان قد يتفق هذا الاسم في وقت البرد والحر.

قال: ووصف أعرابي رجلا فقال: أتيناه فأخرج لسانه كأنه مخراق لاعب «١» .

قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، فيم الجمال؟ قال: في اللسان.

قال: وكان مجاشع بن دارم خطيبا سليطا، وكان نهشل بكيئا منزورا «٢» ، فلما خرجا من عند بعض الملوك عذله مجاشع في تركه الكلام، فقال له نهشل: إني والله لا أحسن تكذابك ولا تأثامك، تشول بلسانك شولان البروق، وتخلل تخلل الباقرة.

وقالوا: أعلى جميع الخلق مرتبة الملائكة، ثم الإنس، ثم الجن.." (١)

"ووصف أعرابي رجلا فقال: «صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر» .

الشبر: قدر القامة، تقول: كم شبر قميصك، أي كم عدد أشباره.

والنجر: الطباع.

ووصف بعض الخطباء رجلا فقال: «ما رأيت أضرب لمثل، ولا أركب لجمل، ولا أصعد في قلل منه» .

وسأل بعض الأعراب رسولا قدم من أهل السند: كيف رأيتم البلاد؟

قال: «ماؤها وشل، ولصها بطل، وتمرها دقل «١» . إن كثر الجند بها جاعوا، وإن قلوا بها ضاعوا» .

وقيل لصعصعة بن معاوية: من أين أقبلت؟ فقال: من الفج العميق.

قيل: فأين تريد؟ قال: البيت العتيق. قالوا: هل كان من مطر؟ قال: نعم، حتى عفى الأثر، وأنضر الشجر، ودهدى الحجر «٢» .

واستجار عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، بمحمد بن مروان بنصيبين، وتزوج بها امرأة، فقال محمد: كيف ترى نصيبين؟ قال: «كثيرة العقارب قليلة الأقارب» . يريد بقوله «قليلة» كقول القائل: فلان قليل الحياء، ليس يريد أن هناك حياء وإن قل. يضعون قليلا في موضع ليس.

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٥٣/١

وولي العلاء الكلابي عملا خسيسا، بعد أن كان على عمل جسيم، فقال: «العنوق بعد النوق» «٣» .

قال: ونظر رجل من العباد إلى باب بعض الملوك فقال: «باب جديد، وموت عتيد ونزع شديد، وسفر بعيد» .." (١)

"اقدعوا: انهوا. طلعة: أي تطلع إلى كل شيء. حادثوا، أي اجلوا واشحذوا. والدثور: يقال: دثر أثر فلان، إذا ذهب، كما يقال درس وعفا.

قال: فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء، فتعجب من كلامه.

وقال الشاعر:

سمعن بهيجا أوجفت فذكرته ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر

الوجيف: سير شديد، يقال: وجف الفرس والبعير وأوجفته. ومثله الايضاع، وهو الإسراع. أراد: بهيجا أقبلت مسرعة.

ومن الأسجاع قول أيوب بن القرية، وقد كان دعي للكلام واحتبس القول عليه، فقال: «قد طال السهر، وسقط القمر، واشتد المطر، فما ينتظر» .

فأجابه فتى من عبد القيس فقال: «قد طال الأرق، وسقط الشفق وكثر اللثق، فلينطق من نطق» .

اللثق: الندى والوحل.

وقال أعرابي لرجل: «نحن والله آكل منكم للمأدوم، وأكسب منكم للمعدوم، وأعطى منكم للمحروم» .

ووصف أعرابي رجلا فقال: «إن رفدك لنجيح، وإن خيرك لسريح، وإن منعك لمريح» .

سريح: عجل. ومريح: أي مريح من كد الطلب.

وقال عبد الملك لأعرابي: ما أطيب الطعام؟ فقال: «بكرة سنمة، في قدور رذمة، بشفار حذمة، في غداة شبمة» . فقال عبد الملك: وأبيك لقد أطيبت.." (٢)

"باب في صفة الرائد الغيث، وفي نعته للأرض [بالكلام الغريب]

قال أبو المجيب: وصف رائد أرضا جدبة فقال: «اغبرت جادتها. ودرع مرتعها، وقضم شجرها، ورقت كرشها، وخور عظمها، والتقى سرحاها، وتميز أهلها، ودخل قلوبهم الوهل، وأموالهم الهزل» .

الجادة والحرجة والمجبة معناه كله: وسط الطريق ومعظمه ومنهجه.

والتقى سرحاها، يقول إذا أكل كل سارح ما يليه التقيا عند الماء، وإذا لم يكن للجمال مرعى إلا الشجر وحده رقت أكراشه. وقوله تميز أهلها، تفرقوا في طلب الكلأ. ومرتع مدرع، إذا كان بعيدا من الماء ومرتع قاصر، إذا كان قريبا من الماء. ويقولون ماء مطلب وماء مطنب إذا ألجأهم إلى طلبه من بعده.

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٢٣٨/١

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٢٤٦/١

ووصف أعرابي أرضا أحمدها فقال: «خلع شيحها، وأبقل رمثها، وخضب عرفجها، واتسق نبتها، واخضرت قريانها «١» ، وأخوصت." (١)

"قال الكسائي: لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف، والشيء بعد الشيء أقرنه بغيره، فقال: تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة إلى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها منك.

ووصف أعرابي رجلا فقال: ذاك والله ممن ينفع سلمه، ويتواصف حلمه، ولا يستمرأ ظلمه.

وقال آخر لخصمه: لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف «١» إلى الحق.

قال: ورأى رقبة بن مصقلة العبدي جارية عند العطار، فقال له: ما تصنع هذه عندك؟

قال: أكيل لها حناء. قال: أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأجرك الله عليه.

محمد بن سعيد! عن إبراهيم بن حويطب، قال: قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس: إن هذا الأمر الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء، وقد بلغ الأمر بنا وبكم ما ترى، وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا، ولسنا نقول ليت الحرب عادت، ولكنا نقول ليتها لم تكن كانت. فانظر فيما بقي بغير ما مضى، فإنك رأس هذا الأمر بعد علي، وإنما هو أمير مطاع، ومأمور مطيع، ومشاور مأمون، وأنت هو.

وقال عيسى بن طلحة، لعروة بن الزبير حين ابتلي في رجله فقطعها: يا أبا عبد الله، ذهب أهونك علينا، وبقي أكثرك لنا.

وقالت عائشة: لا سمر إلا لثلاثة: لمسافر، أو مصل، أو عروس.

قال أبو الحسن: خطب الحجاج يوم جمعة فأطال الخطبة، فقال رجل:

«إن الوقت لا ينتظرك، وإن الرب لا يعذرك» ، فحبسه، فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا: إنه مجنون. قال: إن أقر بالجنون خليت سبيله. فقيل له: أقر بالجنون. قال: لا والله، لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني.." (٢)

"فكتب إليه طاهر: عبد الله يا أمير المؤمنين، ابني إن مدحته ذممته، وإن ذممته ظلمته، ولنعم الخلف هو لأمير المؤمنين من عبده.

فكتب إليه المأمون: ما رضيت أن قرظته في حياتك، حتى وصيتنا به بعد وفاتك.

[المفاضلة بين جرير والفرزدق والأخطل]

٧٧- **وصف أعرابي** رجلا فقال: يشرق بعزم لا يدجو معه خطب، ويومض بصواب لا يلبس عنده صعب، حتى يغادر المستعجم معجما، والمشكل مشكولا.

«٧٨» - قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال، وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذ أمير: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأغاروا بين عشائرهم في غير خير ولا بر ولا نفع، أيهم أشعر؟ قال شبة: أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد المدح وصفة الخمر. فقال هشام: ما فسرت لنا شيئا

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٢/١٠٤

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٢/٢٠٤

نحصله، فقال: ما عندي غير ما قلت. فقال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا ابن الأهتم، قال: أما أعظمهم فخرا، وأبعدهم ذكرا، وأحسنهم عذرا، وأشردهم مثلا، وأقلهم غزلا، وأحلاهم عللا، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر، الذي إذا هدر قال، وإذا خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق. وأما أحسنهم نعتا، وأمدحهم بيتا، وأقلهم فوتا، الذي إذا هجا وضع، وإذا مدح رفع، فالأخطل. وأما أغزرهم بحرا، وأرقهم شعرا، وأهتكهم لعدوه سترا، الأغر الأبلق، الذي إن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، فجرير. وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماد، واري الزناد.

فقال مسلمة بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين والآخرين.." (١)

"وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء ... مجنا على أني أذم وأقصب

وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها ... وإني لأوذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي أذع، أذع، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي.

[نثر وشعر في المدح]

«٨٢» - وصف رجل رجلا فقال: كان والله سمحا سحا سهلا، بينه وبين القلب نسب، وبينه وبين الحياة سبب، إنما هو عيادة مريض، وتحفة قادم، وواسطة قلادة.

«٨٣» - وصف أعرابي رجلا فقال: كان والله مطلول المحادثة، ينبذ إليك الكلام على أدراجه [١] ، كأن في كل ركن من أركانه قلبا يقد.

٨٤- سحيم بن وثيل الرياحي: [من الكامل المرفل]

من دونهم إن جئتهم سحرا ... عزف القيان ومجلس غمر

لذ بأطراف الحديث إذا ... ذكر الندى وتنوزع الفخر

هضم إذا حب القتار وهم ... نصر إذا ما استبطىء النصر

«٨٥» - جميل في عبد العزيز بن مروان: [من الوافر]

أبا مروان أنت فتى قريش ... وكهلهم إذا عد الكهول

توليه العشيرة ما عناها ... فلا ضيق الذراع ولا بخيل

إليك تشير أيديهم إذا ما ... رضوا أو نابهم أمر جليل

---

[١] ب: ادماجه.." (٢)

"وبدلها السرى بالجهل حلما ... وقد أديمها قد الأديم

بدت كالبدر وافى ليل سعد ... وآبت مثل عرجون قديم

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٧/٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٠/٤

«٧٠٢» - وقال البحتري: [من الخفيف]

يترقرقن كالسراب وقد خض ... ن غمارا من السحاب الجاري

كالقسي المعطلات بل الأس ... هم مبرية بل الأوتار

«٧٠٣» - وقال أيضا: [من الخفيف]

كالربى في الربى ويحسبن أحيا ... نا نسوعا مجدولة في نسوع

«٧٠٤» - وقال ابن المعتز: [من الكامل]

ترنو بناظرة كأن حجاجها ... وقب [١] أناف بشاهق لم يحلل

وكأن مسقطها إذا ما عرست ... آثار مسقط ساجد متبتل

وكأن آثار النسوع بدفها ... مسرى الأساود في هيام أهيل

٧٠٥- قال الأصمعي: **وصف أعرابي** ناقة فقال: تقطع الأرض عرضا، وترض الحجارة رضا، وتنهض في الزمام نهضا، سريعة الوثوب، بطيئة النكوب، مدلاج سروب.

٧٠٦- وقال أعرابي آخر: إذا اكحالت عينها، وأللت أذنها، وسجح خدها، وهدل مشفرها، واستدارت جمجمتها، فهي الكريمة.

---

[١] بهامش ر: الوقب: النقرة في الجبل.." (١)

"شفتاها، وتبادرك الوثبة.

«٨٢٩» - قال أبو العباس لخالد بن صفوان: يا خالد إن الناس قد أكثروا في النساء، فأي النساء أحب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين، أحبها ليست بالضرع الصغيرة، ولا بالفانية الكبيرة، وحسبي من جمالها أن تكون فخمة من بعيد، مليحة من قريب، أعلاها عسيب، وأسفلها كثيب، غذيت في النعيم وأصابتها حاجة، فأدبها النعيم وأذلها الفقر، لم تقرأ فتجبن، ولم تفتك فتمجن، الهلوك على زوجها، الحصان من جارها. إذا خلونا كنا أهل دنيا، وإن تفرقنا كنا أهل آخرة.

«٨٣٠» - ومن الجيد في وصف أخلاقهن قول يزيد بن الحكم، ويروى لابن قيس الرقيات: [من البسيط]

إن النساء إذا ينهين عن خلق ... فكل ما قيل لا يفعلن مفعول

وما وعدنك من شر وفين به ... وما وعدن من الخيرات تضليل

إن النساء كأشجار نبتن معا ... فيهن مر وبعض المر مأكول

٨٣١- **وصف أعرابي** امرأة فقال: هي أرق من الهواء، وأطيب من الماء، وأحسن من النعماء، وأبعد من السماء.

«٨٣٢» - ومن كلام أحمد بن يوسف في صفة جارية كاتبة: كأن خطها أشكال صورتها، وكأن مدادها سواد شعرها،

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٥/٢٦٣

وقرطاسها أديم وجهها، وكأن قلمها بعض أناملها، وكأن لسانها سحر مقلتها، وكأن مبراتها سيف لحظها، وكأن مقطها قلب عاشقها.." (١)

"١٦٨٧-[معرفة العرب للآثار والأنواء والنجوم]

ومن هذه الجهة عرفوا الآثار في الأرض والرمل، وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء، لأن كل من كان بالصحاصح الأماليس [١]- حيث لا أمارة ولا هادي، مع حاجته إلى بعد الشقة- مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه [٢] .

ولحاجته إلى الغيث، وفراره من الجدب، وضنه بالحياة، اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث.

ولأنه في كل حال يرى السماء، وما يجري فيها من كوكب، ويرى التعاقب بينها، والنجوم الثوابت فيها، وما يسير منها مجتمعا وما يسير منها فاردا [٣] ، وما يكون منها راجعا ومستقيما.

وسئلت أعرابية فقيل لها: أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله! أما أعرف أشباحا وقوفا علي كل ليلة! وقال اليقطري: وصف أعرابي لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء، ونجوم الاهتداء، ونجوم ساعات الليل والسعود والنحوس، فقال قائل لشيخ عبادي كان حاضرا: أما ترى هذا الأعرابي يعرف من النجوم ما لا نعرف! قال: ويل أمك، من لا يعرف أجذاع [٤] بيته؟

قال: وقلت لشيخ من الأعراب قد خرف، وكان من دهاتهم: إني لا أراك عارفا بالنجوم! قال: أما إنها لو كانت أكثر لكنت بشأنها أبصر، ولو كانت أقل لكنت لها أذكر.

وأكثر سبب ذلك كله- بعد فرط الحاجة، وطول المدارسة- دقة الأذهان، وجودة الحفظ. ولذلك قال مجنون من الأعراب- لما قال له أبو الأصبغ بن ربعي: أما تعرف النجوم؟ قال: وما لي أعرف من لا يعرفني؟! فلو كان لهذا الأعرابي المجنون مثل عقول أصحابه، لعرف مثل ما عرفوا.

---

[١] الصحاصح: جمع صحصح، وهي الأرض المستوية الواسعة. الأماليس: جمع إمليس، وهي الأرض الملساء لا شجر بها ولا ماء.

[٢] آداه: قواه، أو أوصله.

[٣] فاردا: منفردا.

[٤] الجذع: ساق النخلة، والمراد بها هنا ما جعل منها سقفا للبيت.." (٢)

"١٨٥٨-[الوبر والخرنق]

وأما قوله:

٣٢-

«وخرنق يسفده وبر»

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣١٠/٥

(٢) الحيوان الجاحظ ٣٣٣/٦

فإن الأعراب يزعمون أن الوبر يشتهي سفاد العكرشة- وهي أنثى الأرانب- ولكنه يعجز عنها، فإذا قدر على ولدها وثب عليه. والأنثى تسمى العكرشة، والذكر هو الخزر، والخرنق ولدهما. قال الشاعر: [من الكامل]

قبح الإله عصابة نادمتهم ... في جحجحان إلى أسافل نقنق

أخذوا العتاق وعرضوا أحسابهم ... لمحرب ذكر الحديد معرق

ولقد قرعت صفاتكم فوجدتكم ... متشبثين بزاحف متعلق

ولقد غمزت قناتكم فوجدتها ... خرعاء مكسرها كعود محرق

ولقد قبضت بقلب سلمة قبضة ... قبض العقاب على فؤاد الخرنق

ثم اقتحمت للحمه فأكلته ... في وكر مرتفع الجناب معلق

قالوا: إنه قالها أبو حبيب بعد أن قال جشم ما قال، وقد قدم إليه طعامه.

١٨٥٩-[ما يشبه الخزز]

ووصف أعرابي خلق أعرابي فقال: كأن في عضلته خززا، وكأن في عضده جرذا.

وأنشدوا لماتح ووصف ماتحا، ورآه يستقي على بئره، فقال [١] : [من الرجز]

أعددت للورد إذ الورد حفز ... دلوا جرورا وجلالا خزخز

وماتحا لا ينثني إذا احتجز ... كأن تحت جلده إذا احتفز

في كل عضو جرذين أو خزز

وسنقول في الأرنب بما يحضرنا إن شاء الله تعالى.

---

[١] تقدم تخريج الرجز في ٥/١٤١.." (١)

"وقال عمر بن الخطاب: «كفى بالمرء عيبا أن تكون فيه خلة من ثلاث: أن يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه، أو يعيب شيئا ثم يأتي مثله، أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه» .

ووصف أعرابي رجلا فقال: «آخذ الناس بما به أمر، وأتركهم لما عنه زجر» .

من هجا امرأته

قدم أعرابي فحلف بطلاق امرأتيه على شيء فحنث ثم هرب فقال: [من الكامل]

لو يعلم الغرماء منزلتيهما ... ما خوفوني بالطلاق العاجل

قد ملتا ومللت من وجهيهما ... عجفاء مرضعة وأخرى حامل

وقال الأقرع بن معاذ القشيري: [من الطويل]

لعمرك إن المس من أم خالد ... إلي وإن ضاجعتها لبغيض

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٤٩٩

إذا بز عنها ثوبها فكأنما ... على الثوب نمل عاذم وبعوض

وقال أعرابي يتأله، لامرأته، وما الأعراب وهذا المذهب، ولكن كذا وقع، والله أعلم بكثير من الرواية: [من البسيط]

لولا مخافة ربي أن يعاقبني ... وأنها عدة تقضى وأوتار

لقد جعلت مكان الطوق ذا شطب ... وتبت بعد فإن الله غفار

وقال بعض المولدين «١» : [من المنسرح]

تجهزي للطلاق وانصرفي ... ذاك جزاء الجوامح الشمس

لليلتي حين بت طالقة ... ألذ عندي من ليلة العرس

وأنشدني ابن الأعرابي لأعرابي «٢» : [من الرجز]." (١)

"٤٨٤-[أول] العشق النظر، وأول الحريق الشرر.

٤٨٥-زار علي بن عبيدة الريحاني جارية كان يهواها وعنده إخوانه، فحان وقت الظهر فبادروا للصلاة وهما يتحادثان فأطالا حتى كادت الصلاة أن تموت، فقيل: يا أبا الحسن، الصلاة. فقال: رويدك، حتى تزول الشمس. أي حتى تقوم الجارية.

٤٨٦-وصف أعرابي امرأة فقال: ما زال القمر يرينيها، فلما غاب رأيتها. قيل: فما كان بينكما؟ قال: أبعد ما أحل الله مما حرم الله، إشارة في غير باس ودنو في غير مساس. ولا وجع أشد من الذنوب.

٤٨٧-وقال أبو العيناء: أضحكني بائع رمان،." (٢)

"**٥٧٨-وصف أعرابي** امرءا فقال: "يشرق بعزم لا يدجو معه خطب، ويومض بصواب لا يلتبس عنده صعب حتى يغادر المستعجم معجما والمشكل مشكولا".

٥٧٩-أدخل الركاض وهو ابن أربع سنين إلى الرشيد ليتعجب من فطنته فقال له: "ما تحب أن أهب لك؟ فقال: جميل رأيك، فإني أفوز به في الدنيا والآخرة. فأمر له بدنانير ودراهم فصبت بين يديه. فقال: اختر الأحب إليك. فقال: الأحب إلي الأمير، وهذا من هذين وضرب بيده الدنانير، فضحك الرشيد وضمه إلى ولده وأجرى عليه.

٥٨٠-"الحازم لا تدهش له عزيمة ولا تكهم له صريمة". ٥٨١-بزر جمهر: "إن الحازم إذا أشكل عليه أمر بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع." (٣)

"صفة جياد الخيل

للنبي صلى الله عليه وسلم

:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب من الخيل الشقر.

وقال: «لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ما سبقها إلا أشقر» .

---

(١) الحيوان الجاحظ ٩٦/٧

(٢) الشكوى والعتاب الثعالبي، أبو منصور ص/١٧٧

(٣) الشكوى والعتاب الثعالبي، أبو منصور ص/٢٠٣

وسأله رجل: أي المال خير؟ قال: سكة مأبورة، ومهرة مأمورة «١» .

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الشكال «٢» في الخيل.

لبعضهم

: وقالوا: إنما سميت خيلا لاختيالها.

ووصف أعرابي فرسا فقال: إذا تركته نعس، وإذا حركته طار.

وأرسل مسلم بن عمرو لابن عم له بالشام يشتري له خيلا، فقال له: لا علم لي بالخيل. فقال: ألست صاحب قنص؟ قال: بلى. قال: فانظر، كل شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في الفرس. فأتي بخيل لم يكن في العرب مثلها.

وقال بعض الضبين في وصف فرس:

متقاذف عبل الشوى شنج النسا ... سباق أندية الجياد عميثل «٣»

وإذا تعلل بالسياط جيادها ... أعطاك نائله ولم يتعلل

بين المهدي وابن دراج في أفضل الخيل

: سأل المهدي مطر بن دراج عن أي الخيل أفضل؟ قال: الذي إذا استقبلته قلت نافر، وإذا استدبرته قلت زاخر «٤» ، وإذا استعرضته قلت زافر «٥» . قال: فأي هذه." (١)

"زدت فيه شيئا ولا غيرت له معنى.

وقالوا: خير الكلام ما لم يحتج بعده إلى كلام.

وقال يحيى: الكلام ذو فنون، وخيره ما وفق له القائل، وانتفع به السامع.

وللحسن بن جعفر:

عجبت لإدلال العيي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالحق أعلما

وفي الصمت ستر العيي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما «١»

وصف أعرابي بليغا فقال: كأن الألسن ريضت «٢» فما تنعقد إلا على وده، ولا تنطق إلا ببيانه.

وصف أبو الوجيه بلاغة رجل فقال: كان والله يشول «٣» بلسانه شولان البروق، ويتخلل به تخلل الحية.

وللعرب من موجز اللفظ ولطيف المعنى فصول عجيبة، وبدائع غريبة. وسنأتي على صدر منها إن شاء الله.

فصول من البلاغة

قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها، فقال: من كان في يده شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه، ومن كان في فيه فليلفظه، ومن كان في صدره فلينفثه.

فعجب الناس من حسن ما فصل.

وقيل لابن السمال الأسدي أيام معاوية: كيف تركت الناس؟ قال: تركتهم بين مظلوم لا ينتصف، وظالم لا ينتهي.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٣٥/١

وقيل لشبيب بن شيبة عند باب الرشيد رحمه الله تعالى: كيف رأيت الناس؟ قال:

رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا.." (١)

"وذكر شبيب بن شيبة خالد بن صفوان فقال: ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية.

وهذا كلام لا يعرف قدره إلا أهل صناعته.

ووصف رجل آخر فقال: أتيناه فأخرج لسانه كأنه مخراق لاعب «١» .

ودخل معن بن زائدة على المنصور يقارب خطوه، فقال المنصور: لقد كبرت سنك؛ قال: في طاعتك؛ قال: وإنك لجلد؛ قال: على أعدائك؛ قال: أرى فيك بقية؛ قال: هي لك.

وكان عبد الله بن العباس بليغا، فقال فيه معاوية:

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف ... لعي ولم يثن اللسان على هجر «٢»

يصرف بالقول اللسان إذا انتحى ... وينظر في أعطافه نظر الصقر

وتكلم صعصعة بن صوحان عند معاوية فعرق، فقال له معاوية: بهرك القول؟

قال: الجياد نضاحة «٣» بالعرق.

وكتب ابن سيابة إلى عمرو بن بانة: إن الدهر قد كلح «٤» فجرح، وطمح فجمح، وأفسد ما صلح، فإن لم تعن عليه فضح.

ومدح رجل من طيء كلام رجل فقال: هذا الكلام يكتفى بأولاه، ويشتفى بأخراه.

ووصف أعرابي رجلا فقال: إن رفدك لنجيح، وإن خيرك لصريح، وإن منعك لمريح.

ودخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام، فقدم خصما له إلى قاض لعبد الملك، وكان خصمه شيخا كبيرا. فقال له القاضي: أتقدم شيخا كبيرا؟ فقال له إياس:." (٢)

"لا استتم الأجر عند ربه

قال وسمعت أعرابيا يقول: ما بقاء عمر تقطعه الساعات، وسلامة بدن معرض للآفات! ولقد عجبت من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله وأظمأ له نهاره.

وذكر أهل السلطان عند أعرابي فقال: أما والله لئن عزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل، ولقد رضوا بقليل فان عوضا عن كثير باق، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم.

ووصف أعرابي الدنيا فقال: هي رنقة «١» المشارب، جمة المصائب لا تمتعك الدهر بصاحب.

وقال أعرابي: من كان مطيته الليل والنهار سارا به وإن لم يسر، وبلغا به وإن لم يبلغ.

قال: وسمعت أعرابيا يقول: الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٢٧/٢

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٣٠/٢

وقيل لأعرابي وقد مرض: إنك تموت! قال: وإذا مت فإلى أين يذهب بي؟

قالوا: إلى الله! قال: فما كراهتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه؟

وقال أعرابي: من خاف الموت بادره الموت، ومن لم ينح النفس عن الشهوات أسرعت به إلى الهلكات، والجنة والنار أمامك.

وقال أعرابي لصاحب له: والله لئن هملجت «٢» إلى الباطل إنك لعطوف عن الحق، وإن أبطأت ليسرعن إليك، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم رابحون؛ فلا تعرنك الدنيا، فإن الآخرة من ورائك.

وقال أعرابي: خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة، وشر من الموت." (١)

"والمضل ناشد؛ ولو خضت إليها النار ما ألمتها.

قال: وسمعت أعرابيا يقول: الهوى هوان ولكن غلط باسمه، وإنما يعرف من يقول، من أبكته المنازل والطول.

وقال أعرابي: كنت في شباب أعض على الملام، عض الجواد على اللجام، حتى أخذ الشيب بعنان شبابي.

وذكر أعرابي امرأة فقال: إن لساني لذكرها لذلول، وإن حبها لقلبي لقتول، وإن قصير الليل بها ليطول.

وصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال، فقال: كلامهن أقتل من النبل، وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل؛ فروعهن أحسن من فروع النخل.

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء، ومعها صبي يبكي، فكلما بكى قبلته؛ فأنشأ يقول:

يا ليتني كنت صبيا مرضعا ... تحملني الذلفاء حولا أكتعا «١»

إذا بكيت قبلتني أربعا ... فلا أزال الدهر أبكى أجمعا

وأنشد أبو الحسن علي بن عبد العزيز بمكة لأعرابي:

جارية في سفوان دارها ... تمشي الهوينا مائلا خمارها «٢»

قد أعصرت أو قد دنا إعصارها ... يطير من غلمتها إزارها «٣»

العتبي قال: **وصف أعرابي** امرأة حسناء، فقال: تبسم عن خمش اللثات «٤» ، كأفاحي النبات، فالسعيد من ذاقه، والشقي من راقه.

وقال العتبي: خرجت ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها؛ فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر، فإذا بجارية كأنها علم، فجعلت أغازلها، فقالت: يا هذا، أمالك ناه من كرم، إن لم يكن لك زاجر من عقل! قلت: والله ما يراني إلا." (٢)

"فهي في اللطف أولا وأخيرا ... شرع تفضل العرار شميما

فكأن القديم كان حديثا ... وكأن الحديث كان قديما

قال علي عليه السلام: رب عزيز أذله خرقه، وذليل أعزه خلقه.

وقال عليه السلام: من لم تصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٧/٤

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤٩/٤

وكان يقال: ألق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره.

ووصف أعرابي رجلا بحسن البشر فقال: لا تراه الدهر إلا كأنه لا غنى به عنك فإذا أذنبت غفر وكأنه المذنب، وإن أحسن اعتذر وكأنه المسيء.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه وحسن الأخلاق.

أقول: وحسبك مدحا لحسن الخلق قوله تعالى لنبيه: (إنك لعلى خلق عظيم) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في الإبن ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده. قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وصدق البأس، وإعطاء السائل، والمكافات بالصنايع، وصلة الرحم، والتذمم للجار والصاحب، والحلم في القدرة، والمواساة في الشدة، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء.

وقال عصام بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فأعجبني سمته ورواؤه فأثار مني الحسد ما كان يجنه صدري من البغض لأبيه، فقلت له: أنت ابن علي بن أبي طالب؟ فقال: نعم، فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رؤف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم، إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) ثم قال لي: خفض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا رفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك. قال عصام: فتوسم في الندم على ما فرط مني، فقال: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ، أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم، فقال: شنشنة أعرفها من أخزم، حياك الله وبياك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجد عندنا أفضل ظنك إنشاء الله. قال عصام: فضاقت علي الأرض بما رحبت ووددت لو ساخت بي ثم تسللت منه لواذا وما على وجه الأرض أحد أحب إلي منه ومن أبيه.

أقول: أما قوله: شنشنة أعرفها من أخزم فهو مثل قائله أبو أخزم الطائي جد حاتم الطائي أو جد جده على ما قيل، ويقال: إن ابنه أخزم مات وترك بنين فوثبوا على جدهم فأدموه، فقال:

إن بني رملوني بالدم ... من يلق آساد الرجل يكلم

ومن يكن ذا أود يقوم ... شنشنة أعرفها من أخزم

والشنشنة السجية والطبيعة. وفي بعض النسخ: ومن يكن درء به يقوم، والدرء الميل والإعوجاج في القنات.

وعلى ذكر عقوق الأولاد: حدث المدائني قال: كان جرير بن عطية الخطفي الشاعر المشهور من أعق الناس بأبيه، وكان ابنه بلالا أعق الناس به، فراجع جرير بلالا في الكلام فقال له بلال: الكاذب مني ومنك من ناك أمه، فأقبلت عليه أمه وقالت: يا عدو الله تقول هذا لأبيك؟! فقال لها جرير: دعيه فوالله لكأني أسمعها وأنا أقولها لأبي.

ونظير ذلك ما حكي عن يونس بن عبد الله الخياط أنه مر برجل وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقا به، فقال له: ويحك أتفعل هذا بأبيك، وخلصه من يده، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكن منه، فقال له الأب: يا أخي لا تلمه واعلم أنه ابني حقا،

والله لقد خنقت أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه، فانصرف الرجل وهو يضحك.

وما أحسن قول أم ثواب في ابن لها وقد عقها:

ربيته وهو مثل الفرخ أطعمه ... أم الطعام ترى في جلده الزغبا

حتى إذا آض كالفحال شذ به ... أباره ونفى عن متنه الكربا

أمسى يخرق أثوابي يؤدبني ... أبعد شيبي يبغي عندي الأدبا

قالت له عرسه يوما لتسمعني ... مهلا فإن لنا في أمنا إربا

ولو رأتني في نار مسعرة ... ثم استطاعت لألقت فوقها حطبا." (١)

"وإن كانت حاكمة على القوة البهيمية، منقادة للقوة الملكية، راسخة فيها الأخلاق المرضية، فهي النفس المطمئنة المترقية إلى جانب عالم القدس، المتنزهة عن جانب الرجس، الواظبة على الطاعات التي طال شوقها إلى حضرة رفيع الدرجات، حتى خاطبها بقوله: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ .

وإن لم يكن فيها شيء من الأخلاق الفاضلة، ولا الرذائل المهلكة لها، بل تميل إلى الخير تارة، وإلى الشر أخرى، وإذا صدر منها شيء لامت نفسها، فهي النفس اللوامة التي حصلت من النور على مقدار ما تتنبه به من سنة الغفلة، فبدأت بإصلاح حالها من جهة الربوبية والحقيقة، وكلما أساء طبعها الأصلي تداركها نور التنبيه فأنابت واستغفرت ربها، وأقبلت عليه، ولهذا أقسم الله بها فقال ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ .

الخالدي:

(هتف الديك بالدجى فاسقيها ... خمرة تترك المقل سفيها)

(لست أدري من رقة وصفاء ... هي في كأسها أم الكأس فيها)

أتى المنصور برجل أذنب، فأمر بقتله، فقال: إن الله يأمرك بالعدل والإحسان، فإن أخذت في غيري بالعدل فخذ في بالإحسان، فأمر بإطلاقه.

قيل لبعض الحكماء: ما الشيء الذي لا يجوز أن يقال وإن كان حقا؟ فقال: ذكرا الرجل مآثره.

شكا يزيد بن أسيد إلى المنصور ما أصابه من العباس أخي المنصور فقال له المنصور: اجمع إحساني إليك مع إساءة أخي فإنهما يتعادلان، فقال يزيد: إذا كان إحسانكم إلينا جزاء لإساءتكم، كانت الطاعة منا لكم تفضلا.

وصف أعرابي امرأة فقال: هي أرق من الهواء، وأحسن من النعماء، تكاد العيون تأكلها، والقلوب تشربها، فكأنما خاصمت الولدان فهربت من رضوان.

قال إسكندر لابنه: يابن الحجامة، فقال: أما هي فقد أحسنت الاختيار، وأما أنت فلا.

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٢

قال الأطباء: كل حيوان إذا خصى زال صنانه، كالتيس ونحوه، إلا الإنسان فإنه يزداد نتنا وصنانا.

قال الفرزدق: ربما أتت علي ساعة كان قلع ضرسي أهون علي من أن أقول بيتا.." (١)

"فقلت له يا ابن رسول الله أعد علي هذا الحديث فأعاده علي ثلاثا فقلت له لا والله لا سألت أحدا بعد هذا حاجة فما لبثت أن جاءني الله بفضل ورزق من عنده.

١٢٨٢- (٤) ومحمد بن عجلان أبو بكر الأخباري

حدث عن يعقوب بن السكيت وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي روى عنه أبو علي الكوكبي.

(١٤٥٨) أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد الوكيل أخبرنا إسماعيل بن سعيد بن سويد حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي حدثني محمد بن عجلان أبو بكر قال أخبرنا يعقوب بن السكيت أخبرنا أبو عمرو الشيباني قال **وصف أعرابي** رجلا فقال ما أحسن خروجه من المشكلات يقول ذي ويقول ذات قد جمع إلى صدور الأمور إعجازها وكل قوس معها سهمها قال ووصف رجلا بقلة الحياء فقال لو دق بوجهه الحجارة لرضها.." (٢)

"لقد ضل حلمي في خليدة إنني ... سأعتب قومي بعدها وأتوب

فأقسم بالرحمن أن قد ظلمتها ... وجرت عليها والهجاء كذوب [١]

ومعنى قولها رهوى، لأن المخبل يقول لأخيها: [٢] [الطويل]

وأنكحت هزالا خليدة بعدها ... زعمت برأس العين أنك قاتله [٣]

فأنكحته رهوى كأن عجانها ... مشق إهاب أوسع السلخ ناجله [٤]

يلاعبها فوق الفراش وجاركم ... بذي شبرمان لم تزيل مفاصله [٥]

[في فضائل الإمام علي]

عن أنس قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي صلوات الله عليه، فقال: (أنا وهذا حجة الله على خلقه) [٦] .

عن أم عطية قالت: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا في سرية، فسمعته يقول:

(اللهم لا تمتني حتى تريني عليا) [٧]

[أعرابي يصف رجلا]

الأصمعي قال: **وصف أعرابي** رجلا فقال: هو والله مضغة، من ذاقها لفظها، وجمرة من مسها كرهها، على أنه مع هذا عذب في أفواه الأصدقاء لين للاولياء.

---

[١] في الشعر والشعراء:

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٣٠٧/٢

(٢) المتفق والمفترق الخطيب البغدادي ١٨٧٢/٣

(وأشهد والمستغفر الله أنني ... كذبت عليها والهجاء كذوب) .
[٢] الأبيات في الأغاني ٢١٤/١٣.
[٣] في الأغاني:
(أأنكحت هزالا خليدة بعد ما ... زعمت يظهر الغيب أنك قاتله)
[٤] العجان: الإست. الناجل: الذي يشق الجلد.
[٥] في الأصل: (لم تزل مفاصله) وهو تحريف تزيل شبرمان: موضع ذكره ياقوت، ولم يوضحه، واستشهد به بعجز هذا البيت. (ياقوت:
شبرمان) .
[٦] الحديث في ميزان الاعتدال ٨٥٩٠.
[٧] الحديث في سنن الترمذي ٣٧٣٧، ومشكاة المصابيح ٦٠٩٠، والتاريخ الكبير للبخاري ٢٠/٩، والبداية والنهاية لابن كثير ٣٥٧/٧.." (١)

"الحرام، بعد أن [١٥٦ و] مصناه كما يماص [١] الإناء، فاستنقى، فركبتم هذه منه ظالمين، فغضبنا لكم من سوط عثمان، ولا نغضب لعثمان من سيفكم؟» . قلت: وما أنت وسيفنا وسوط عثمان، وأنت حبيس رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، أمرك أن تقري في بيتك، فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض، قالت: «وهل أحد يقاتلني أو يقول غير هذا؟ قلنا: نعم، قالت: ومن يفعل ذلك، أزنيم [٢] بني عامر؟ ثم قالت: هل أنت مبلغ عني يا عمران؟ قال: لا، لست مبلغا عنك خيرا ولا شرا، قلت: لكني مبلغ عنك فهاتي ما شئت، قالت: اللهم اقتل مذمما قصاصا بعثمان- تعني محمد بن أبي بكر- وارم الأشتر بسهم من سهامك لا يشوي، وأدرك عمارا بخفرته في عثمان» [٣] .
[من بليغ الكلام]
وصف أعرابي رجلا فقال: ذلك والله ممن ينفع سلمه، ويتواصف حلمه، ولا يستمرأ ظلمه.

- الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي: وال من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم، فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان لأمه، أسلم يوم فتح مكة، ولاه عثمان الكوفة، فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر فعزله وحده وحبسه، سكن الجزيرة الفراتية، توفي سنة ٦١ هـ. (الإصابة ت ٩١٤٩، الأغاني ١٢٢/٥- ١٥٣، مروج الذهب ٢٥٧/٤- ٢٦٦)
[١] ماص الإناء يموصه: غسله، أرادت أنهم استتابوه عما نقموا منه، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه.
[٢] الزنيم: الدعي في النسب، تعني به عمار بن ياسر بن عامر بن مالك، من بني ثعلبة بن حارثة بن عامر، وأمه سمية بنت خباط، كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة، ثم زوجها ياسر فولدت عمارا.
(الإصابة ت ٥٦٩٩، المعارف ص ١١١- ١١٢، وقعة صفين ص ٢٢٤)

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/١٨٤

[٣] بخفرته: الخفرة المرة من الخفر، وهو الغدر ونقض العهد. وفي الطبري حوادث سنة ٣٥ هـ: كان عثمان قد أرسل رجالا إلى الأمصار ليقفوا على بواطن الأمور، وكان ممن أرسلهم عمار بن ياسر إلى مصر، فرجع الرجال جميعا إلا عمارا، إذ استماله أهل مصر الناقمون إلى جانبهم.." (١)

"صفة النساء الحسان

قيل: «أحسن النساء الرقيقة البشرة، النقية اللون، يضرب لونها بالغداة إلى الحمرة، وبالعشي إلى الصفرة» . وقالت العرب: «المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن، صبيحة عرسها، وأيام نفاسها، وفي البطن الثاني من حملها» . وقيل لأعرابي: «أتحسن صفة النساء» ؟ قال: «نعم، إذا عذب ثناياها وسهل خداها، ونهد ثدياها، ونعم ساعداها، والتف فخذاها، وعرض وركاها، وجدل ساقاها، فتلك هم النفس ومناها» .

ووصف أعرابي امرأة فقال: «كان وجهها السقم لمن رآها، والبرء لمن ناجاها» . وذكر أعرابي امرأة فقال: «أرسل الحسن إلى خديها صفائح نور، ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد، ولقد تأملت فوجدت للبدر نورا من بعض نورها» . وذكر أعرابي امرأة قال: «هي شمس تباهي بها شمس سمائها، وليس لي شفيع إليها غيرها في اقتضائها، ولكني كتوم لفيض النفس عند امتلائها» . وذكر أعرابي امرأة فقال: «ما أحسن من حبها نعاسا، ولا أنظر إليها إلا اختلاسا، وكل امريء منها يرى ما أحب» . وذكر أعرابي امرأة فقال: «لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الأذفر، في كل عضو منها شمس طالعة»
.

ومما جاء في الحسن من الشعر: قال عبد الله بن المعتز: أنشدني أبو سهل إسماعيل بن علي، لأبي الصواعق:

ومريض طرف ليس يصرف طرفه ... نحو المدى إلا رماه بحتفه

ظبي له نظر ضعيف كلما ... قصد القوي أتى عليه بضعفه." (٢)

"فأحضره، فأدخله إلى بعض مجالسه وقال: ابن لي بإزائه طاقا يكون شبيها بالبيت. فلم يزل يؤتى بالجص والآجر حتى بناه وجوده، ونظر إليه واستحسنه فقال للمسيب: اعطه أجره. فأعطاه خمسة دراهم فاستكثرها وقال: لا أرضى بذلك، فلم يزل حتى نقصه درهما، ففرح بذلك وابتهج كأنه أصاب مالا.

وحكي عن المنصور أنه لدغ فدعا مولى يقال له أسلم رقاء فأمره أن يرقيه فرقاه فبريء، فأمر له برغيف، فأخذ الرغيف فثقبه وصيره في عنقه وجعل يقول: رقيت مولاي فبريء فأمر لي برغيف! فبلغ المنصور ذلك فقال: لم آمرك أن تشنع علي! قال: لم أشنع إنما أخبرت بما أمرت. فأمر أن يصفع ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث صفعات.

وعن الأصمعي قال: دخل أبو بكر الهجري ذات يوم على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين أتنقض علي فمي وأنتم أهل بيت بركة؟ فلو أذنت يل لقبلت رأسك لعل الله يشد فمي. فقال المنصور: اختر ذلك أو الجائزة. فقال: يا أمير المؤمنين أهون علي من ذهاب درهم الجائزة أن لا يبقى في فمي حاكة.

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٤٢٠

(٢) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/١٩٣

ومنه مكاتبات: كتب أرسطاطاليس إلى رجل في رجل يصله بشيء فلم يفعل فكتب إليه: إن كنت أردت فلم تقدر فمعذور، وإن كنت قدرت فلم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر.

قيل: وكتب إبراهيم بن سيابة إلى رجل صديق له كثير المال يستسلفه، فكتب إليه: العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب. فكتب إليه: إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا، وإن كنت صادقا فجعلك الله معذورا.

قال: وكتب بعضهم يصف رجلا: أما بعد فإنك كتبت تسأل عن فلان فكأنك هممت أو حدثت نفسك بالقدوم عليه فلا تفعل، امتع الله بك، فإن حسن الظن به لا يقع في الوهم إلا بخذلان الله، وإن الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله، وإن الرجاء لما يده لا ينبغي إلا بعد اليأس من رحمة الله، إنه يرى الإقتار الذي نهى الله عنه هو التبذير الذي يعاقب الله عليه، والاقتصاد الذي أمر الله عز وجل به هو الإسراف الذي يعذب الله عز وجل عليه، وإن بني إسرائيل لم يستبدلوا العدس بالمن والبصل بالسلوى إلا لفضل أحلامهم وقديم علم تدارسوه من آبائهم، وإن الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهمة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين، وإن مؤاساة الرجل أخاه من الذنوب الموبقة وإفضاله عليه من إحدى الكبائر، وإن الله عز وجل لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا، كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى جل اسمه عن اتباع آثارهم، وإن الرجفة لم تأخذ أهل مدين إلا لسخاء كان فيهم، وإن الريح العقيم أهلكت عادا وثمودا لتوسع كان فيهم، وهو يخشى العقاب على الإنفاق ويرجو الثواب على الإقتار ويعد نفسه العقوق ويأمرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهور وأن يصيبه ما أصاب القرون الأولى، فأقم، رحمك الله، بمكانك واصبر على عسرك لعل الله أن يبدلنا خيرا منه زكاة وأقرب رحما.

ومنه فن آخر، **وصف أعرابي** رجلا فقال له: بشر مطمع ومطل موئس، فأنت منه أبدا بني اليأس والطمع، لا منع مريح ولا بذل سريح.

وقال أعرابي: أنا من فلان في أماني تهبط العصم وخلف يذكر العدم، ولست بالحريص الذي إذا وعده الكذوب أعلق نفسه لديه وأتعب راحلته إليه.

وذكر أعرابي رجلا فقال: له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس.

ويقال: سرعة اليأس أحد النجحين.

وقال بعضهم: مواعيد فلان مواعيد عرقوب، ولمع الآل، وبرق الخلب، وأماني الكمون، ونار الحباحب، وصلف تحته راعدة.

ولبعض الكتاب فصل في هذا المعنى: أما بعد فإن كثرة المواعيد من غير نجح عار على المطلوب، وقلتها عند الحاجة مكرمة من صاحبها، وقد رددتنا في حاجتنا هذه مع كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأن قد رضينا بالتعلل بها دون النجاح، كقول الأول:

لا تجعلنا ككمون بمزرعة ... إن فاته الماء أروته المواعيد." (١)

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٢٢

"بطلب العلم، فواجب على كل ذي مروءة أن يعينهم. فقلت: يا مولاي، جعلته أحب الأقسام الثلاثة إلي.

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشي عن الأصمعي قال: قيل لعرابة بن أوس: بم سدت قومك؟ فقال: والله إني لأعفو عن سفيههم، وأحلم عن جاهلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن زاد فهو أفضل، ومن قصر فأنا خير منه. فقال فيه الشماخ:

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: **وصف أعرابي** قومه فقال: كانوا والله إذا اصطفوا تحت." (١)

"القتام، خطرت بينهم السهام، بوقود الحمام، وإذا تصافحوا بالسيوف، فغرت المنايا أفواهها. فرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم، وخطب شين قد فللوا مراكبه، ويوم عماس قد كشفوا ظلمه بالصبر حتى ينجلي. إنما كانوا البحر لا ينكش غماره، ولا ينهنه تياره.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: **وصف أعرابي** قومه فقال: كانوا والله غيوث جدب، وليوث حرب، إن أعطوا أغنوا، وإن قاتلوا أبلوا، ثم قدم لهم الدهر ما أخر لغيرهم.

أخبرنا أحمد بن محمد الهزاني قال: كتب أبو العيناء إلى أبي الوليد بن أبي دواد: " مسنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا المودة والشكر، فإن تعط أكن كما قال الشاعر:

إنا الشهاب الذي يحمي ذماركم ... لا يخمد الدهر إلا ضوؤه يقد." (٢)

"أخلاي من أهل القبور: عليكم السـ ... لام، أما من دعوة تسمعونها؟

ولا من كلام ترجعون جوابه ... إلينا، ولا من حاجة تلطبونها

سكنتم ظهور الأرض في الدهر برهة ... فلم تلبثوا حتى سكنتم بطونها

وقد كان في الدنيا قرون كثيرة ... ولكن ريب الدهر أفنى قرونها

وقال أصرم بن حميد – وقيل: هي لمفضل العمى:

عادات قومي من بني أسد ... ري القنا، وخضاب كل حسام

لهفي على قتلى النباج فإنهم ... كانوا الذرى ورواسي الأعلام

كانوا على الأعداء جمرا محرقا ... ولقومهم حرما من الأحرام

لا تهلكي أسفا، فإني واثق ... برماحنا وعواقب الأيام

وصف أعرابي قومه فقال: كانوا والله ليوث حرب، وغيوث جدب، إن قاتلوا أبلوا، وإن أعطوا أغنوا، ثم عجل لهم الدهر ما

---

(١) المصون في الأدب العسكري، أبو أحمد ص/١٨٥

(٢) المصون في الأدب العسكري، أبو أحمد ص/١٨٦

أخر لغيرهم.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – لعمرو بن معد يكرب الزبيدي: صف لي قومك، فقال: نعم القوم عند السيف المسلول، والخير المسؤول، والطعام المأكول.

وقال آخر:

أبعد بني بكر أؤمل مقبلا ... من الدهر أو آسى على فقد مدبر؟!

وليس وراء الفوت شيء يرده ... عليك إذا ولى سوى الصبر، فاصبر

وقال ابن المعتز:

أشكو إلى الله أحداثا من الزمن ... بريني مثل بري القدح بالسفن

لم يبق في العيش لي إلا مرارته ... إذا تذوقته، والحلو منه فني

يا نفس صبرا، وإلا فاهلكي جزعا ... إن الزمان على ما تكرهين بني

وقال الأستاذ أبو إسماعيل الطغرائي:

أثبت بالحظ لو ناديت مستعما ... والحظ عني بالجهال في شغل

تقدمتني رجال كان شوطهم ... وراء ظهري لو أمشى على مهل

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا ... من قبله فتمنى فسحة الأجل

فإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وقال بيهس ... ويلقب نعامة

وقد قتل إخوته:

أرقادا أردت أم تهويما ... أم عرتك الهموم، فانف الهموما

لا، بل الحادث الجليل من الخط ... ب أتاني، فبت أرعى النجوما

عين فابكي الحماة للمجد، وابكي ... من يجير الجاني ويحمي الحريما

وقال ابن المعتز:

أسد الوغى وبدور أن ... دية، وفرسان المنابر

خاضوا غدير الموت من ... جردا من الأقذاء حاسر

فمضوا وأبقوا آجنا ... مرا تقسمه الحناجر

وقال أيضا:

لا يهنأ الدهر الخئ ... ون، ولا أساغ، فكم أكل

فتك الزمان بمثله ... بطل أتيح له بطل

من للمحامد، لا أقو ... ل عسى يكون، ولا لعل!

أنشد ابن دريد عن أبي حاتم:

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت ... بطون الثرى، واستودع البلد القفر

بدور، إذا الدنيا دجت أشرقت بهم ... وإن أجدبت يوما فأيديهم القطر

فيا شامتا بالموت، لا تشمتن بهم ... حياتهم فخر، وموتهم ذكر

حياتهم كانت لأعدائهم عمى ... وموتهم للفاخرين بهم فخر

وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلالي:

الدهر لاءم بين ألفتنا ... زمنا، وفرق بيننا الدهر

وكذاك يفعل في تصرفه والدهر ليس يناله وتر

كنت الضنين بمن فجعت به ... وسلوت حين تفاقم الأمر

ولخير حظك في الرزية أن ... يلقاك عند نزولها الصبر

وقال السيد بن برك الأسدي:

أبعد أبي حصن حصين، ومالك وعبدة، أبكى الهالكين وأجزع

أولئك إخوان الصفاء رزئتهم ... وما الكف إلا إصبع ثم إصبع

كان الشمردل بن شريك المنقري خرج هو وإخوته: حكم، ووائل، وقدامة في جيش مع وكيع بن أبي سود، فبعث كل واحد منهم في جيش، فأتاه الشمردل، فقال: أيها الأمير، إن رأيت أن تبعثنا معا في وجه واحد؛ فإنا إذا اجتمعنا تعاونا، وتواسينا، وتناصرنا، فأبى عليه، وبعث كل واحد منهم في جيش، فقتل إخوته، وأتاه نعيهم، فرثاهم، قال:

أعاذل كم من روعة قد شهدتها ... وغصة حزن من فراق أخ جزل

إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت ... على الضحى حتى يوسيني أهلي

أقول ... إذا آسيت نفسي بإخوة

مضوا لا ضعاف في الحياة ولا عزل." (١)

"إنما ينطبق عليهم في الجاهلية، أما في الإسلام فقد عرفوا الصناعات ونهضوا في الميادين العلمية والفلسفية نهضة كانوا فيها أساتذة العالم في عصوره الوسيطة ويقول أوليري: إن العربي مادي، ضيق الخيال والعواطف١، وكأنه يتجاهل أدبهم وما يزخر به من أخيلة ومشاعر، وهو تعميم جنسي لا دليل عليه، وكأنما قادته إليه نظرية الأجناس البشرية وما يدعو إليه أصحابها من تفوق الجنس الآري على ما سواه من أجناس.

وندع هذه المقارنات المضللة وما سقط منها من أحكام خاطئة إلى بيان ما كان لدى العرب في الجاهلية من معارف، لعل أهمها علمهم بالأنساب والأيام وما ينطوي في ذلك من المناقب والمثالب، مما سجله العباسيون في مجلدات ضخمة. وكأنهم رأوا في ذلك كله تاريخهم، فكانوا يروونه ويحفظونه أبناءهم، واشتهر عندهم كثيرون في هذا الباب من أبواب الرواية.

ويلي هذا النوع من المعارف معرفتهم بالنجوم ومطالعها وأنوائها أو أمطارها، يقول الجاحظ: "وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء

---

(١) المنازل والديار أسامة بن منقذ ص/١٠٢

لأن من كان بالصحاصح الأماليس٢ –حيث لا أمارة ولا هادي مع حاجته إلى بعد الشقة– مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه٣، ولحاجته إلى الغيث وفراره من الجدب وضنه بالحياة اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث، ولأنه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كوكب ويرى التعاقب بينها والنجوم الثوابت فيها وما يسير منها مجتمعا وما يسير منها فاردا٤، وما يكون منها راجعا ومستقيما. وسئلت أعرابية فقيل لها: أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله أما أعرف أشباحا وقوفا علي كل ليلة. **ووصف أعرابي** لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء ونجوم الاهتداء ونجوم ساعات الليل والسعود والنحوس. فقال قائل لشيخ عبادي كان حاضرا: أما ترى هذا الأعرابي يعرف من النجوم ما لا نعرف؟ قال: من لا يعرف أجذاع٥ بيته٦؟! ".

---

١ فجر الإسلام لأحمد أمين "الطبعة الأولى" ص ٣٩ نقلا عن كتاب أو ليري: Arabia Before Muhammad.

٢ الصحاصح: الأرض المستوية، الأماليس: التي ليس بها ماء ولا شجر.

٣ يؤديه: يعينه.

٤ فاردا: منفردا.

٥ الأجذاع: سيقان النخل تجعل سقفا للخيمة.

٦ الحيوان ٦/ ٣٠.." (١)

"وقالت امرأة من الأعراب: "أصبحنا ما يرقد لنا فرس، وما ينام لنا حرس".

"البيان والتبيين ٢: ٨٢"

وقال أعرابي "مضى لنا سلف أهل تواصل، اعتقدوا١ مننا، واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضا لازما، وإظهار البر واجبا، ثم جاء الزمان ببنين، واتخذوا منهم بضاعة، وبرهم مرابحة٢، وأياديهم تجارة، واصطناع المعروف مقارضة، كنقد، خذ مني وهات".

وقيل لأعرابي في مرضه: ما تشتكي؟ قال: "تمام العدة، وانقضاء المدة".

ونظر أعربي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضر فقال: "يا هذا أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟ ".

"العقد الفريد ٢: ٨٥".

ووصف أعرابي الدنيا فقال: "هي رنقة٣ المشارب، جمة المصائب، لا تمتعك الدهر بصاحب".

وقال أعرابي: "حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسمنة٤ توضع، وأخفافا ترفع، والخير يطلب عند غير أهله، والفقير قد حل غير محله".

"العقد الفريد ٢: ٨٦".

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي شوقي ضيف ص/٨٣

١ من اعتقد مالا؛ اقتناء.

٢ رابحة على السلعة: أعطاه ربحا.

٣ كدرة.

٤ جمع سنام، والمراد ما كان عاليا.." (١)

"ووصف أعرابي رجلا فقال: "ذاك والله ممن ينفع سلمه، ويتواصف حلمه، ولا يستمرأ١ ظلمه، إن قال فعل، وإن ولي عدل".

"البيان والتبيين ٢: ١٥٨، والعقد الفريد ٢: ٨٩، وزهر الآداب ٢: ٣".

وذكر أعرابي قوما فقال: "أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة، وجانبوا التسويف الذي به قطع الناس مسافة آجالهم، فذلت ألسنتهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالإنجاز، فأحسنوا المقال، وشفعوه بالفعال".

"الأمالي ٢: ٢٣، والبيان والتبيين ٣: ٢٣١، والعقد الفريد ٢: ٨٨".

عن عبد الرحمن عن عمه قال: وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها، فقالت: "يا أمه، من نشر ثوب الثناء، فقد أدى واجب الجزاء، وفي كتمان الشكر جحود لما وجب من الحق، ودخول في كفر النعم"، فقالت لها أمها: "أي بنية: أطبت الثناء، وقمت بالجزاء، ولم تدعي للذم موضعا، إني وجدت من عقل، لم يعجل بذم ولا ثناء إلا بعد اختبار"، فقالت: "يا أمه، ما مدحت حتى اختبرت، ولا وصفت حتى عرفت".

"الأمالي ١: ٢٢٥".

ووصف بعض الأعراب أميرا فقال: "إذا أوعد أخر، وإذا وعد عجل، وعيده عفو، ووعده إنجاز".

"البيان والتبيين ٣: ٢١٧".

ونعت أعرابي رجلا فقال: "كأن الألسن والقلوب ريضت له، فما تنعقد إلا على وده، ولا تنطق إلا بحمده".

"البيان والتبيين ٣: ٢٣١، والعقد الفريد ٢: ٨٩، وزهر الآداب ٢: ٣".

---

١ لا يستطاب، من استمرأ الطعام: وجده مريئا أي هنيئا حميد المغبة.." (٢)

"يوم عارم١ قد أحسنوا أدبه، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم، وخطب شئز٢ قد ذللوا مناكبه، ويوم عماس٣ قد كشفوا ظلمته بالصبر حتى ينجلي، إنما كانوا البحر الذي لا ينكش٤ غماره، ولا ينهنه نياره".

"الأمالي ١: ١٣٩، والعقد الفريد ٢: ٨٨، وزهر الآداب ٢: ٤".

ووصف أعرابي رجلا فقال: "هو أطهر من الماء، وأرق طباعا من الهواء، وأمضى من السيل، وأهدى من النجم". "زهر الآداب ٢: ٣".

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٨٠

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٨٤

ووصف أعرابي قومه فقال: "ليوث حرب، وليوث جدب، إن قاتلوا أبلوا، وإن بذلوا أفنوا".

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: "إذا ثبتت الأصول في القلوب، نطقت الألسنة بالفروع، والله يعلم أن قلبي لك شاكر، ولساني ذاكر، ومحال أن يظهر الود المستقيم، من الفؤاد السقيم".

"زهر الآداب ٣: ١٦٥".

وسئل أعرابي عن قومه فقال: "يقتلون الفقر، عند شدة القر٥، وأرواح٦ الشتاء، وهبوب الجربياء٧، بأسنمة الجزور، ومترعات٨ القدور، تحسن وجوههم عند طلب المعروف، وتعبس عند لمعان السيوف".

وصف أعرابي قوما فقال: "لهم جود كرام اتسعت أحوالها، وبأس ليوث تتبعها أشبالها، وهمم ملوك انفسحت آمالها، وفخر صميم آباد شرفت أحوالها".

"زهر الآداب ٣: ١٦٧".

---

١ العرامة بالفتح والعرام بالضم: الشراسة والأذى، عرم كنصر وضرب وكرم وعلم.

٢ شئز: شديد مقلق.

٣ العماس من الليالي: المظلم الشديد، وأمر لا يقام له ولا يهتدي لوجهه.

٤ لا ينكش: لا ينزح، والغمار جمع غمر كشمس: وهو الماء الكثير، ونهنهه: كفه وزجره. وفي رواية العقد: "إنما قومي البحر ما ألقمته التقم". ورواية زهر الآداب: "إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام، وإذا تصافحوا بالسيوف فغر فمه الحمام".

٥ القر بتثليث القاف: البرد.

٦ جمع ريح كرياح.

٧ ريح الشمال أو بردها.

٨ جمع مترعة: وهي المملوءة.." (١)

"ووصف أعرابي رجلا فقال: "صغير القدر، قصير الشبر١، ضيق الصدر، لئيم النجر٢، عظيم الكبر، كثير الفخر".

"البيان والتبيين ١: ١٥٧، والعقد الفريد ٢: ٩١".

وذكر أعرابي أمير فقال: " يقضي بالعشوة، ويطيل النشوة، ويقبل الرشوة٣".

"البيان والتبيين ٢: ٥٠، والعقد الفريد ٢: ٩١".

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أعرابيا يقول: "اللهم اغفر لأم أوفى" قال: "ومن أم أوفى؟ "، قال. "امرأتي، وإنها لحمقاء مرغامة٤، أكول قامة٥ لا تبقى لها حامة٦، غير أنها حسناء فلا تفرك٧، وأم غلمان فلا تترك".

"البيان والتبيين ٢: ٤٧".

عن عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول: "والله إن شربك لاشتفاف٨، وإن

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٩١

ضجعتك لانجعاف٩، وإن شملتك لالتفاف، وإنك لتشبع ليلة تضاف، وتنام ليلة تخاف"، فقال لها: "والله إنك لكرواء الساقين١٠، قعواء الفخذين١١، مقاء الرفغين١٢، مفاضة الكشحين١٣ ضيفك جائع، وشرك شائع". "الأمالي ١: ١٠٤".

---

١ الشبر: القد.

٢ النجر: الأصل.

٣ العشوة والنشوة والرشوة بتثليث الشين في الثلاثة، العشوة: ركوب الأمر على غير بيان، والنشوة: السكر، والرشوة: الجعل والبرطيل "بكسر الباء".

٤ المرغامة: المغضبة لبعلها.

٥ قامة: اسم فاعل، من قم: أي أكل ما على الحوان، وقمه: كنسه.

٦ الحامة: الخاصة.

٧ فرك زوجته وفركته كسمع، وكنصر شاذ: أبغضته، ورجل مفرك بالتشديد تبغضه النساء وامرأة مفركة: يبغضها الرجال.

٨ اشتف ما في الإناء: شربه كله.

٩ الانجعاف: الانصراع.

١٠ الكرواء: الدقيقة الساقين.

١١ القعواء: الدقيقة، أو الدقيقة الفخذين، وقيل هي المتباعدة ما بين الفخذين "كالفجواء".

١٢ الرفغ: أصل الفخذ، والمقاء: الدقيقة الفخذين، أو الطويلة من المقق بالتحريك وهو الطول.

١٣ المفاضة: المسترخية، والكشحان: الخاصرتان.." (١)

"**ووصف أعرابي** امرأة حسناء فقال: "تبسم عن خمش١ اللثات، كأقاحي النبات، فالسعيد من ذاقه، والشقي من راقه".

وذكر أعرابي امرأة فقال: "هي السقم الذي لا برء منه، والبرء الذي لا سقم معه وهي أقرب من الحشا، وأبعد من السما".

ووصف أعرابي امرأة فقال: "بيضاء جعدة٢ لا يمس الثوب منها إلا مشاشة٣ كتفيها، وحلمة ثدييها، ورضفي ركبتيها، ورانفتي أليتيها، وأنشد:

أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا

وإذا الرياح مع العشي تناوحت ... نبهن حاسدة وهجن غيورا

وذكر أعرابي امرأة فقال: "تلك شمس باهت بها الأرض شمس سمائها، وليس لي شفيع في اقتضائها٤، وإن نفسي لكتوم لدائها، ولكنها تفيض عند امتلائها".

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٢٩٨/٣

وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير: "والله ما رأيت دمعة ترقرق من

---

١ خدش، والأقاحي جمع أقحوان بالضم: وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض، ووسطه صفر، وراقه: أعجبه.

٢ الجعد من الشعر: خلاف السبط، أو القصير منه، ورجل جعد الشعر والأنثى جعدة، والجعد أيضا المدمج الحلق لمجتمع بعضه إلى بعض، والجعد إذا ذهب به مذهب المدح فله معنيان مستحبان: أحدهما أن يكون معصوب الجوارح شديد الأسر والحلق غير مسترخ ولا مضطرب، والثاني أن يكون شعره جعدا غير سبط لأن سبوطة الشعر هي الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس، وجعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب.

٣ المشاشة: رأس العظم، والرضف: عظام في الركبة كالأصابع المضمومة قد أخذ بعضها بعضا، والرانفة: أسفل الألية عند القيام.

٤ اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى.." (١)

"ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال: "كلامهن أقتل من النبل، وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل، فروعهن أحسن من فروع النخل".

"العقد الفريد ٢: ٩٣ — ٩٥".

وقال أعرابي: "دخلت البصرة، فرأيت أعينا دعجا١، وحواجب زجا، يسحبن الثياب، ويسلبن الألباب".

"العقد الفريد ٢: ٩٣، وزهر الآداب ٣: ١٧".

وذكر أعرابي نساء فقال: "ظعائن٢ في سوالفهن طول، غير قبيحات العطول٣ إذا مشين أسبلن الذيول، وإن ركبن أثقلن الحمول٤".

"زهر الآداب ٣: ١٧".

وقال أعرابي: "لقد رأيت بالبصرة برودا كأنها صبغت بأنوار الربيع، فهي تروع٥، واللابس لها أروع".

"العقد الفريد ٢: ٩٦".

وقال أعرابي: "شيعنا الحي وفيهم أدوية السقام٦، فقرأن بالحدق السلام، وخرست الألسن عن الكلام". "الأمالي ٢: ٥٠".

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت: "لا متع الهوى بملكه، ولا ملي٧

---

١ دعجا جمع دعجاء وصف من الدعج بالتحريك: وهو سواد العين مع سعتها وزجا جمع زجاء من الزجج بالتحريك أيضا: وهو دقة الحاجبين في طول.

٢ ظعائن جمع ظعينة: والظعينة في الأصل وصف للمرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة، وهي فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظعن بها، والسوالف جمع سالفة: وهي ناحية مقدم العنق من لدن معلق

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٣٠٠

القرط إلى نقرة الترقوة.

٣ عطلت المرأة كفرح عطلا بالتحريك وعطولا: إذا لم يكن عليها حلي.

٤ الحمول: الهوادج: أو الإبل عليها الهوادج جمع حمل بالكسر ويفتح.

٥ تعجب.

٦ أي المحبوبات المداوية للسقام.

٧ ملاه الله حبيبه تملية: متعه به وأعاشه معه طويلا.." (١)

"بسلطانه، وقبض الله يده، وأوهن عضده، فإنه جائر لا ينصف في حكم، أعمى لا ينطق بعدل، ولا يقصر في ظلم، ولا يرعوي لذم، ولا ينقاد لحق، ولا يبقي على عقل وفهم. لو ملك الهوى وأطيع، لرد الأمور على أدبارها، والدنيا على أعقابها".

وسئل أعرابي عن الهوى فقال: "هو داء تداوى به النفوس الصحاح، وتسل منه الأرواح، وهو سقم مكتتم، وحميم١ مضطرم، فالقلوب له منضجة، والعيون ساكبة".

"زهر الآداب ٣: ١٨".

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال: "هي زينة الحضور، وباب من أبواب السرور، ولذكرها في المغيب، والبعد عن الرقيب، وأشهى إلينا من كل ولد ونسيب، وبها عرف فضل الحور العين، واشتيق بها إليهن يوم الدين".

"زهر الآداب ٣: ٢٤٤".

ووصف أعرابي نساء فقال:

"يلتثمن على السبائك٢، ويتشحن على النيازك٣، ويأتزرن على العوانك٤ ويرتفقن على الأرائك٥، ويتهادين على الدرانك٦، وابتسامهن وميض عن وليع كالإغريض٧، وهن إلى الصبا صور، وعن الخنا نور٨".

"الأمالي ١: ٤٤، وزهر الآداب ٣: ١٨".

---

١ الحميم: الماء الحار. وفي الأصل: "وحمى" وأراه محرفا عن حميم، ويناسبه قوله بعد: "وللعيون ساكبة".

٢ اللثام على الفم، واللفام على طرف الأنف، تلثمت المرأة وتلفمت، والسبائك هنا الأسنان شبهها لبياضها بالسبائك.

٣ النيازك جمع نيزك كجعفر: وهو الرمح القصير.

٤ العوانك جمع عانك: وهو رمل منعقد يشقى فيه البعير لا يقدر على السير.

٥ الأرائك جمع أريكة: وهي السرر أو الفراش، وارتفق: اتكأ على مرفق يده، أو على المخدة.

٦ يتهادين: يمشين مشيا ضعيفا، والدرانك: الطنافس جمع درنوك كعصفور، ودرنك كزبرج.

٧ الوميض: اللمعان الخفي، والوليع: الطلع، كأنه نظم اللؤلؤ في شدة بياضه. قال الشاعر يصف ثغر امرأة: وتبسم عن نير

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٣٠٢

كالوليع، والإغريض: الطلع حين ينشق عن كافوره، والبرد "بتحريك الراء".

٨ صور: موائل، ومنه قيل للمائل العنق أصور، ونور: نافرات من الريبة جمع نورا كسحاب.." (١)

"٧٧- أعرابي يصف أرضا:

ووصف أعرابي أرضا أحمدها فقال:

"خلع شيحها، وأبقل رمثها، وخضب عرفجها١، واتسق نبتها، واخضرت قريانها، وأخوصت بطنانها٢، وأحلست أكمامها، واعتم نبت جراثيمها٣، وأجرت بقلتها وذرقتها وخبازتها٤، واحورت خواصر إبلها، وشكرت حلوبتها، وسمنت قتوبتها٥، وعمد ثراها. وعقدت تناهيها، وأماهت ثمارها. ووثق الناس بصائرتها٦".

"البيان والتبيين ٢: ٧٧".

---

١ خلع الشيح: أورق "والخالع من العضاه: الذي لا يسقط ورقه أبدا، والعضاه ككتاب: كل شجر له شوك" والرمث. مرعى للإبل وشجر يشبه الغضا، والعوفج: شجر سهلي، وخضب الشجر كضرب وسمع وعني: اخضر.

٢ القريان: مجاري الماء من الربو إلى الرياض جمع قرى كغنى، وأخوص العرفج: تفطر بورق، وأخوصت النخلة: أخرجت الخوص، والبطنان جمع باطن وهو الغامض من الأرض أي المطمئن منها.

٣ أحلس النبت: غطى الأرض بكثرته، أحلست الأرض فهي محلسة: صار النبات عليها كالحلس كثرة الحلس كحمل كساء على ظهر البعير -والجراثيم جمع جرثومة بالضم، وجرثومة الشيء: أصله، واعتم: أي كأنه لبس عمامة.

٤ أجرت البقلة: صارت لها جراء -وجراء ككتاب جمع جرو بالتثليث وهو صغير كل شيء- والذرقة واحدة الذرق وهو نبات مثل الكرات الجبلي الدقاق في رأسه حلو يؤكل رطبا تجبه الرعاة يأتون به أهليهم: والخبازة والخبازى: النبت المعروف.

٥ أحورت: ابيضت وذلك من الشد على خواصرها لئلا تحبط "والحبط بالتحريك: انتفاخ بطنها من مرعى ترعاه" والحلوبة: المحلوبة، وشكرت الناقة: امتلأ ضرعها، والدابة: سمنت، والقتوبة: الإبل التي تقتبها "وأقتب الناقة: شد عليها القتب "بالتحريك" وهو إكاف صغير على قدر سنام البعير".

٦ عمد الثرى: بلله المطر حتى إذا قبضت عليه تعقد لندوته، والتناهي جمع تنهية: وهي مستقر السيل حيث ينتهي الماء من الوادي، وعقدت تناهيها: أن يمر السيل مقبلا حتى إذا انتهى منتهاه دار بالأبطح حتى يلتقي طرفا السيل، وأماهت ثمارها: أي كثر ماؤها والصائرة: المطر والكلأ.." (٢)

"٨٥- أعرابي يصف ناقة:

ووصف أعرابي ناقة فقال: "إذا كحالت عينها، وأللت١ أذنها، وسجح٢ خدها، وهدل٣ مشفرها، واستدارت جمجمتها، فهي الكريمة".

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣٠٣/٣

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣١٥/٣

"الأمالي ١: ٢١٧".

---

١ أل البعير: نصب أذنيه وحددهما.

٢ سجح: سهل وحسن.

٣ هدل: استرخى.." (١)

"وبديع كأنه الزهر الضا ... حك في رونق الربيع الجديد

مشرق في جوانب السمع مايخ ... لقه عوده على المستفيد

ماأعيرت منه بطون القراطي ... س وما حملت ظهور البريد

حجج تخرس الألد بأل ... فاظ فرادى كالجوهر المعدود

ومعان لو فصلتها القوافي ... هجنت شعر جرول ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا ... وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدرك ... ن به غاية المراد البعيد

كالعذارى غدون في الحلل البي ... ض إذا رحن في الخطوط السود

وقال ابن حمد يس الصقلي يصف دارا بناها المنصور

أعمر بقصر الملك ناديك الذي ... أضحى بمجدك بيته معمورا

قصر لو أنك قد كحلت بنوره ... أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

واشتق من معنى الجنان نسيمة ... فيكاد يحدث بالعظام نشورا

نسي الصبيح مع الفصيح بذكره ... وسما ففاق خورنقا وسديرا

أبصرته فرأيت أبدع منظر ... ثم اثنيت بناظري محسورا

فظننت أني حالم في جنة ... لما رأيت الملاك فيه كبيرا

لو أنه بالإيوان قوبل حسنة ... ماكان شيئا عنده مذكورا

أعيت مصانعة على الفرس الألى ... لرفعوا البناء وأحكموا التدبير

ومضت على الروم الدهور ومابنوا ... لملوكهم شبها له ونظير

أذكرتنا الفردوس حين رأيتنا ... غرفا رفعت بناءها وقصورا

ومحصب بالدر تحسب أريتنا ... غرفا رفعت بناءها وقصورا

ومحصب بالدر تحسب تربة ... مسكا تضوع نشره وعبيرا

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣١٩/٣

ووصف أعرابي تزوج امرأتين ماوقع له منهما فقال

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفا ... أنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تضحي وتمسي ... تداول بين أخبث ذئبتين

رضا هذي يهيج سخط هذي ... فما أعري من إحدى السخطتين

وألقى في المعيشة كل ضر ... كذاك الضر بين الضرتين

لهذي ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم في الليلتين

فإن أحببت أن تبقى كريما ... من الخيرات مملوء اليدين

فعش عزبا فإن لم تستطعه ... فضربا في عراض الجحفلين

وقال أبو تمام حبيب بون أوس الطائي في وصف الربيع

يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوزه الأرض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد زانه ... زهر الربا فكأنما هو مقصر

دنيا معاش للورى حتى إذا ... حل اتلربيع فإنما تهي منظر." (١)

"(٢) وقال آخر في رثاء من مات بعلة في صدره

ودبت له في موطن الحلم علة لها كالصلال الرقش شر ذبيب (١)

(٣) **ووصف أعرابي** امرأة، فقال: ترخي ذيلها على عرقوبي نعامة،

ضربت سرادقها المهابة فوقه فاذا بدا بادت به الأعداء

إن الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره في الضاد

بنى المجد بيتا فاستقر عماده علنا فأعيا الناس أن يتحولا

إن في ثوبك الذي المجد فيه لضياء يزري بكل ضياء

تمرين آخر

بين أنواع الكنايات الآتية، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، وما لا يصح:

(١) **وصف أعرابي** رجلا بسوء العشرة فقال: كان إذا رآني قرب من حاجب حاجبا.

(٢) وقال أبو نواس في المديح:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٣٤٩/٢

(٣) وتكنى العرب عمن يجاهر غيره بالعداوة بقولهم:

لبس له جلد النمر، وجلد الأرقم (٢) وقلب له ظهر المجن (٣)

(٤) فلان عريض الوساد (٤) أغم القفا (٥)

---

(١) الصلال جمع صل يالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغته والرقش جمع رقشاء، وهي التي فيها نقط سوداء في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء

(٢) الأرقم الحية فيها سواد وبياض.

(٣) المجن الترس، وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية، ثم حال عن العهد وتغيرت أحواله.

(٤) عريض الوساد أي طويل العنق إلى درجة الافراط، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل.

(٥) الغمم غزارة الشعر، حتى تضيق منه الجبهة، أو القفا – وكان بزعم العرب: أن ذلك دليل على الغباوة.." (١)

"إذا اعتاص القريض عليك فامدح ... أمير المؤمنين تجد مقالا

كريم ما تزال به ركاب ... وضعن قصائدا وحملن مالا

أنشدني إبراهيم بن محمد البكري لمحمد بن جراح البكري:

إنا لنبني على أسسته لنا ... آباؤنا الغر من مجد ومن كرم

إني وإن كان قومي في الورى علما ... فإنني علم في ذلك العلم

لا يرفع الضيف رأسا في منازلنا ... إلا إلى ضاحك ومبتسم

وقال إبراهيم بن هلال الصابي في اصطرلاب أهداها إلى الأمير أبي جعفر صاحب سجستان:

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا ... في مهرجان جديد أنت مبليه

لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... علو قدرك عن شيء يدانيه

لم يرض بالأرض مهداة إليك فقد ... أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

وقال أبو علي الزوزني في ابن العتبي:

عيد المكارم والعلى بك عادا ... يا سيدا سنن الكرام أعادا

بالعيد لا يعتد بل بك من غدا ... أيامه بك كلها أعيادا

وقال ابن مطران الشاشي:

إذا أبو قاسم جادت لنا يده ... لم يحمد الأغزران البحر والمطر

وإن أضاء لنا نور بغرته ... تضاءل النيران الشمس والقمر

وإن بدا رأيه أو حد عزمته ... تأخر الماضيان السيف والقدر

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/٢٩١

من لم يكن حذرا من حد صولته ... لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر

وقال بكر بن النطاح في أبي دلف القاسم بن عيسى:

يا طالبا للكيمياء ونفعه ... مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم

لو لم يكن في الأرض إلا درهم ... ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

وقال مروان بن أبي حفصة:

تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فما نحن ندري أي يوميه أفضل

أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه ... وما منهما إلا أغر محجل

أنشدني أبو سهل بن الأعرابي بغزنة:

قوم إذا حل الغريب بدارهم ... تركوه رب صواهل وغوان

وإذا دعوتهم ليوم كريهة ... سدوا شعاع الشمس بالفرسان

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ... لتطلب العلات بالعيدان

حضر النبي صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميان، فقال عليه السلام لعمرو بن الأهتم: "كيف الزبرقان فيكم "؟ فقال: مطاع في أدانيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: يا رسول الله إنه علم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني. فقال عمرو بن الأهتم: أما أنه لزمر المروءة، أحمق الوالد، لئيم الخال، قعدد النسب، ولقد صدقت في الأولى وما كذبت في الأخرى، ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أسوأ ما علمت، فقال صلى الله عليه وسلم: " إن من البيان لسحرا ".

وقال علي رضوان الله عليه: إن ابن عباس ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق.

وصف أعرابي قوما فقال: كانوا والله غيوث جدب، وليوث حرب، إن أعطوا أغنوا، وإن حاربوا أفنوا، فقدم لهم الدهر ما أخر لغيرهم، فواها لهم.

وفي الحديث: " إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ".

دخل يحيى بن معاذ الرازي ببلخ على حمزة بن حمزة سيد العلويين بها، فقال: ما تقول فينا أهل بيت المصطفى؟ فقال: ما أقول في طينة عجنت بماء الرسالة، وسقيت بماء الوحي، هل يفوح منها إلا مسك الهدى، وعنبر التقى وبان اليقين. فلما كان من الغد ركب إليه حمزة. فقال له يحيى: إن زرتنا فبفضلك، وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائرا ومزورا.

وقال علي بن محمد الفياض للمبرد: يا أبا العباس، ما أنت إلا بستان، فقال: وأنت يا سيدي شربه.

دخل بعض العلماء على بعض الأمراء فتكلم في أنواع العلوم فأكثر وأحسن، ثم قال: لقد صدعت، فقال صاحب المنزل: بل صدعت بالحق، فقال: قد ثقلت، فقال: نعم قد تقلت المنة، فقال: لعلك تقول: أبرمت فقم، فقال، لا بل أكرمت

فدم.

وفي الحديث: " إذا مدح الظالم اهتز العرش ".." (١)

"وقد كنت عندي تحب الستر فاستتر الستر تبصر من حولي فقلت لها: غطى هواك وما ألقى على بصري وقالت: كل ما ترى حولي من الجوار أحرار إن كان ٨٧ هذا الكلام خراج عن قلب سليم قط حكي عن أحمد بن أبي عثمان الكاتب أنه صديقا لأبي الفضل عبد الغفار الأنصاري فعشق أحمد جارية لأم جعفر اسمها نعمي وهام بها فأطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الأنصاري فأعتل علة طويلة فاتصل خبره بأم جعفر وظنت أن به علة فوجهت إليه طبيبا فأنشد:

أرسلت أم جعفر لي طبيبا ... لشكائي فضل علم الطبيب

ودوائي واصل دائي لديها ... في يدي شادن غرير ربيب

خبروها بأن نعمي دوائي ... كي تداوي مريضها عن قريب

فسمعت أم جعفر الآبيات وسألت عن قصته فلما وقفت عليها وهبته الجارية وهجر أحمد عبد الغفار وقال جعلتك موضعا لسري فأفسدت علي والمفاسد المترتبة على إفشاء السر إلى الغيرة كثيره ولهذا قاال أبو العلاء المعري:

فظن بسائر الإخوان شرا ... ولا تأمن علي فؤادا

وقال الصاحب محي الدين الجزري من رسالة فواعجبا كيف لا يتفطن من لا اسمية ولا ينشق لكثرة ما أحوم حول القول فيه ولا أوفيه أن شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت إلى مهاوي الإثم الظنون ولو ابديت بعضه أخاف أن يفطن الناس وأن افضت فيه أخشى أن لا يسعه قرطاس.

ومن أحسن ما سمعه في كتمان السر قول النابغة.

وكان الإمام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو:

لا تفش سرك لا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

فإني رأيت وشاه الرجال ... لا يتركون أديما صحيحا

وكتب بهما عبد الملك بن مروان إلى الحجاج وكان قد استكتمه أمرا في كتاب كتبه ليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت أحدا سرا فأفشاه فلمته لأني كنت أضيق منه صدرا به حين استودعته أخذه الشاعر فقال:

??????????????????????????????????? إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسهفصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر:

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها ... فسرك عند الناس أفشي وأضيع

وقال أبو جعفر الشطرنجي:

فلا تخبر بسرك بل أمته ... وصير من حشاك له حجابا

---

(١) حماسة الظرفاء الزَّوْزَني، العبدلكاني ص/٤٣

فما أودعت مثل النفس سرا ... ولا أغلقت مثل الصدر بابا

وحكى الماوردي أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال:

ومستودعي سرا تضمنت ستره ... فأودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبي وأحسن ما شاء.

وما السر في قلبي كتا وبحفرة ... لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكنني أخفيه حتى كأنني ... من الدهر يوما ما احطت به خبرا

وقال آخر:

يا ذا الذي اودعني سره ... لاترج أن تسمعه مني

لم أجره بعد في خاطري ... كانه ما مر في اذني

وقال بشار:

لأخرجن من الدنيا وحبكم ... بين الجوانح لم يعلم يه أحد

وقال طلحة بن أبي بكر:

لا تظهرن محبة لحبيب ... فترى بعينيك منه كل عجيب

أظهرت يوما للحبيب مودتي ... فأخذت من هجرانه بنصيب

قيل أسر رجل إلى رجل حديثا لما فرغ قال: أحفظته. قال: بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الأسرار زاد ضباعا ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه. ومن كلام القاضي الفاضل وأمت الأسرار في قلبك والحد موتاها في جنبك فقبيح بك أن يرى لك سر إلا ربك. **ووصف أعرابي** قوما فقال: سيوفهم آفات الأعمار وصدورهم قبور الأسرار وما أحسن قول ابن مماتي من أبيات:

وضاق علي السجن حتى كأنني ... حللت به للضيق في صدر محنق

فياليتني كالدمع في جفن عاشق ... فأخرج أو كالسر في صدر أحمق

وقال العباس بن الأحنف.

باخ دمعي فليس يكتم سرا ... ووجدت اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طي ... فاستدلوا عليه بالعنوان

الباب الثامن

مغالطة الحبيب

واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه." (١)

---

(١) ديوان الصبابة ابن أبي حجلة ص/٣٧

"فلست تبصر إلا واكفا خضلا ... أو يانعا خضرا أو طائرا غردا «١»

١٠- بستان خضر وماء خصر «٢» .

١١- الحسن «٣» : ثلاث تجلو البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن.

١٢- وصف أعرابي أجمة «٤» فقال: مناقع نز، ومراعي أوز، قصبها يهتز، ونبتها لا يجز.

١٣- في وصف النخلة:

أما تراها وإلى استوائها ... وحسنها في العين وامتلائها

لا ترهب الذئب على أطلائها ... وإن أحاط الليل من ورائها

١٤- نخلتا حلوان «٥» كانتا بعقبة حلوان من غرس الأكاسرة، ضرب بها المثل في طول الصحبة، قال مطيع بن إياس» فيهما:." (١)

"تفوت. فقيل: يا أبا الحسن الصلاة، فقال: رويدك حتى تزول الشمس، أي حتى تقوم الجارية.

٢٣- وصف أعرابي امرأة طرقها فقال: ما زال القمر يرينيها، فلما غابت أرتنيه. قيل: فما كان بينكما؟ قال: أبعد ما أحل الله مما حرم، إشارة في غير بأس، ودنو في غير مساس، ولا وجع أشد من الذنوب.

٢٤- أبو العيناء: أضحكني بائع رمان يقول:

وقعت من فوق جبال الهوى ... إلى بحار الحب طرطب

٢٥- عبد بني الحسحاس «١» :

فكم قد شققنا من رداء محبر ... ومن برقع عن طفلة غير عانس «٢»

إذا شق برد شق بالبرد برقع ... دواليك حتى كلنا غير لابس

وذلك! إن الرجل يشق برقع حبيبته، والمرأة تشق برد حبيبها، ويقولون: إذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما.

٢٦- ذكر أعرابي فقال: كاد الغزال يكونها لولا ما تم منها ونقص منه، وما كانت أيامي معها إلا كأباهيم «٣» القطا قصرا، ثم طالت بعدها." (٢)

"٤٧- وصف أعرابي رجلا فقال: يشرق بعزم لا يوجد معه خطب، ويومض بصواب لا يلتبس عنده صعب، حتى يغادر المستعجم معجما، والمشكل مشكولا.

٤٨- ادخل الركاض «١» وهو ابن أربع سنين إلى الرشيد ليتعجب من فطنته، فقال له: ما تحب أن أهب لك؟ قال: جميل رأيك، فأني أفوز به في الدنيا والآخرة، فأمر له بدنانير ودراهم، فصبت بين «٢» يديه، فقال: إختر الأحب إليك، فقال: الأحب إلى أمير المؤمنين، وهذا من هذين وضرب بيده إلى الدنانير. فضحك الرشيد وأمر بضمه إلى ولده، والإجراء عليه.

٤٩- الحازم لا تدهش له عزيمة، ولا تكهم له صريمة.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٠٦/١

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤٣٢/٣

٥٠- بزرجمهر: إن الحازم «٣» إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضاع لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها، وكذلك الحازم يجمع وجوه الرأي في الأمر المشكل «٤» ، ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص الرأي.

٥١- هجين عاقل خير من هجان جاهل «٥» .

٥٢- فيلسوف: لا رأي لمن تفرد برأيه.

٥٣- عبد الله بن وهب الراسبي: دعوا الرأي يغب «٦» ، فإن غبوبه." (١)

"عرفوا، فإذا عرفوا هربوا.

٣٩٦- علي رضي الله عنه: لا تجعلن ذرب لسانك «١» على من أنطقك. وبلاغة قولك على من سددك «٢» .

- وعنه رضي الله عنه: العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع «٣» .

- وعنه: حمل الكتاب على رأيه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمن من العظائم، ويهون كثير الجرائم، يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب الهوى فيصد عنه. فذلك ميت الأحياء.

٣٩٧- **وصف أعرابي** نفسه بالحفظ فقال: كنت كالرملة لا يقطر عليها شيء إلا شربته.

٣٩٨- شكا رجل إلى وكيع بن الجراح سوء الحفظ، فقال: استعينوا على الحفظ بترك المعاصي، فأنشأ يقول:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وذلك إن حفظ المرء فضل ... وفضل المرء لم يدركه عاصي

وكان وكيع يقول: ما خطوت للدنيا منذ أربعين سنة، ولا سمعت حديثا فنسيته.

قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأني لم أسمع شيئا إلا عملت به.

وحتف الكلمة الشرود مثل في الحفظ.." (٢)

"لقد علمت نسوان همدان أنني ... لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل في الهيجاء وجهي وأنني ... له في سوى الهيجاء غير بذول

٧- **وصف أعرابي** قوما فقال: طالت خصومتهم أطراف الرماح.

٨- رأى عبد الرحمن بن سليم الكلبي «١» بنيه راكبوا «٢» عن آخرهم فقال: آنس الله بتلاحقكم الإسلام. فو الله لئن لم تكونوا أسباط نبوة أنكم لأسباط ملحمة.

٩- ذكر أعرابي مغاورين فقال: احتثوا «٣» كل جمالية عوانة، فما زالوا يخصفون أخفاف المطي بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المر أرشية الموت فاستقوا به أرواحهم.

١٠- وقال آخر: تلاقوا في الحرب فما تصافوا حتى تلافوا «٤» .

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤٤٨/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٨٦/٤

١١- بعض الخوارج:

ومن يخش أظفار المنايا فإننا ... لبسنا لهن السابغات من الصبر «٥»

وإن كريه الموت عذب مذاقه ... إذا ما مزجناه بطيب من الذكر." (١)

"أنوفا. أراد ضيقة الفرج طيبة المقبل والأنف.

٣٨- **ووصف أعرابي** امرأة فقال: ما ثديها بناهد، ولا شعرها بوارد، ولا بطنها بوالد، ولا فوها ببارد.

٣٩- جنى شيخ من غسان على بعض ملوكهم، فهرب إلى بلاد تميم، فحالف زرارة بن عدس «١» ، فخطب إليه ابنته على بعض بنيه وقال:

قد علمت أن بني أشرف قومهم، وهم معبد ولقيط وحاجب وعلقمة فاختروا لهذه الحجر «٢» أكرم فحل. فكره الشيخ قوله ودافعه. فلما مات زرارة قال لأهله: إن حكيمهم قد هلك، وهؤلاء شباب ولست آمن أن يحملوني على ما أكره من انكاحهم. فاحتمل في جوف الليل. فلما بلغ المأمن أنشأ يقول:

رغبت بها عن حاجب وابن أمه ... لقيط وعن تلك الرجال الركائك

ولو كنت في غسان أبرزت وجهها ... وأنكحتها من بعض تلك الصعالك

٤٠- قال ابن لهيقة: قلت لزيد بن حبيب: إذا دخل رجل المسجد بأي رجليه يبدأ؟ قال: أما سمعت ما يقول للعروس ضعي رجلك اليمنى على المال والبنين؟.

٤١- لما وجه إلى عبد الملك رأس ابن الأشعث، بعث به مع خادم له إلى امرأة من كندة كانت ناكحا في قريش، فلما رأته قالت: مرحبا بزائر لا يتكلم، وملك بن ملوك طلب ما يستحقه، فأبى عليه القدر. فأراد." (٢)

"وترجم أبوابه «١» في الروضة الشريفة صلى الله على صاحبها وسلم، ووضع تراجمه بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره. وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين. وقال:

أخرجته من ستمائة ألف حديث، وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى. وعدد الأحاديث المسندة فيه سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا.

أول من بنى «دار الحديث» على الأرض الملك العادل نور الدين. بعض الأعلام رحمة الله تعالى عليه:

علم الحديث وسيلة مقبولة ... عند النبي الأبطحي محمد

فاشغل به أوقاتك البيض التي ... ملكتها تشرف بذاك وتسعد

ومن أئمة الحديث: ابن الأثير صاحب «جامع الأصول» . **وصف أعرابي** نفسه بالحفظ فقال: كنت كالرملة، لا يقطر عليها شيء «٢» إلا شربته. وشكا رجل إلى وكيع بن الجراح «٣» سوء الحفظ فقال: استعينوا على الحفظ بترك المعاصي. فأنشد الرجل يقول:

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٩٧

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٢٣٩

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

قال رجل من الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأسمع الحديث ولا أحفظه فقال:

استعن بيمينك- أي اكتبه-» . وقال عليه الصلاة والسلام: «قيدوا العلم." (١)

"قيل: بالصبر على لبس الحديد يتنعم بالثوب الجديد. في الصبر على النوائب إدراك الرغائب. رب قعدة تمنع قعدات وأكلة تمنع أكلات. قيل لعلي رضي الله عنه: بم غلبت الأقران «١» ؟ فقال: بتمكين هيبتي في قلوبهم. قيل للإسكندر: إن في عسكر (دارا) «٢» لمائة ألف مقاتل، فقال: إن القصاب الحاذق لا تهوله كثرة الأغنام. وصف رجل آخر فقال: كان ركونا للأهوال، غير ألوف للظلال.

البحتري:

مسترسلين إلى الحتوف كأنها ... وفر بأرض عدوهم يتنهب «٣»

الطائي:

مسترسلين إلى الحتوف كأنما ... بين الحتوف وبينهم أرحام «٤»

وصف أعرابي رجلا فقال: هو ابن الحرب، أرضع بلبنها، وربي في حجرها. فيلسوف: لا تصغر أمر من حاربت، فإنك إذا ظفرت لم تحمد، وإن عجزت لم تعذر. أشار على الإسكندر أصحابه أن يبيت الفرس «٥» فقال: ليس من الإنصاف أن يقاتل قومي عني وأنا أترك القتال عنهم.

بكر بن وائل: الحذر لا يغني من القدر. قيل: السلامة في الإقدام، والحمام في الإحجام. عظائم الترك قالوا: ينبغي للقائد في الحرب أن تكون فيه." (٢)

"على أن حاركه مشرف ... وظهر القطاة ولم يحدب

ع وقبله:

أمر ونحى من صلبه ... كتنحية القتب المجلب

كأن تماثيل أرساغه ... رقاب وعول على مشرب

نحى: حرف، يقول في عظامه قنى: أي تحنيب، وهو يستحب في المحال والذراع أنشد الأصمعي:

أقنى المحال مجفر مجرى الضفر

وأنشد أبو علي:

يخرجن من مستطير النقع دامية ... كأن آذانها أطراف أقلام

قال ابن عبد ربه: هذا البيت لعدي بن الرقاع.

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٥

(٢)<روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٨٨

ع هذا من حسن التشبيه، وأول من سبق إليه عدي بن زيد في قوله:

له عنق مثل جذع السحو ... ق والأذن مصعنة كالقلم

وقال العماني:

تخال أذنيه إذا تشوفا ... قادمة أو قلما محرفا

وقال العتبي **وصف أعرابي** حربا فقال: لقيناهم فلقيتنا خيل خرجت من مستطير نقع كأن هواديها أعلام، وآذانها أقلام، وفرسانها أسود آجام. قال الخليل: يقال للأذن اللطيفة الدقيقة مصعنة: وأنشد بيت عدي بن زيد.

وأنشد أبو علي:." (١)

"امتلائها بالشحم. **ووصف أعرابي** امرأة فقال: «بيضاء رعبوبة «١» ، بالشحم مكروبة «٢» ، بالمسك مشبوبة «٣» » .

وهذا بخلاف الرجال فإن المطلوب فيهم: الخفة وقلة اللحم لأجل قوة النهضة، وسرعة الحركة في الحرب وغيره، والسمن يمنع ذلك، مع ما يقال إن فيه تبليدا للذهن؛ قال بعضهم: ما رأيت حبرا سمينا إلا محمد بن الحسن «٤» يعني صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه. وربما استحسن قلة اللحم في المرأة أيضا، وتوصف حينئذ بالهيف.

ومن ذلك ثقل الردف؛ فهو مما يتمدح به من النساء بخلاف الرجل فإن ذلك فيه غير محمود.

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن رجلا أخذ خطرا «٥» من قوم على أن يغضب معاوية بن أبي سفيان مع غلبة حلمه، فعمد إلى معاوية وهو ساجد في الصلاة، فوضع يده على عجيزته وقال: ما أشبه هذه العجيزة بعجيزة هند! - يعني أم معاوية، فلما سلم من صلاته، التفت إلى ذلك الرجل وقال: يا هذا إن أبا سفيان كان محتاجا من هند إلى ذلك، وإن كان أحد جعل لك شيئا على ذلك فخذه.

ومما يستحسن في المرأة طول الشعر في الرأس، ودقة العظم، وصغر القدم، ونعومة الجسد، وقلة شعر البدن، في أمور أخرى يطول ذكرها.." (٢)

"**ووصف أعرابي** نساء ببلاغة وجمال فقال كلامهن أقتل من النبل وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل فروعهن احسن من فروع النخل ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء ومعها صبي يبكى فكلما بكى قبلته فأنشأ يقول يا ليتني كنت صبيا مرضعا تحملني الذلفاء حولا أكتعا إذا بكيت قبلتني أربعا فلا أزال الدهر أبكى أجمعا العتبي قال **وصف أعرابي** امرأة حسناء فقال تبسم عن خمش اللثاث كأقاحى النبات فالسعيد من ذاقه والشقي من راقه وقال العتبي خرجت ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر فإذا بجارية كأنها علم فجعلت أغازلها فقالت يا

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٨٧٦/١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢/٢

هذا أمالك ناه من كرم إن لم يكن لك زاجر من عقل قلت والله ما يرانى إلا الكواكب قالت فأين مكوكبها ذكر أعرابى امرأة فقال هى السقم الذى لا برء معه والبرء الذى لا سقم معه وهى أقرب من الحشا وأبعد من السما." (١)

"بها عليك. قال ميمون بن ميمون: من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه. قال أبو حية النميري- وكان كذابا-: عن لي ظبي فرميته فراغ عن سهمي فعارضه والله السهم، فراغ فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الخبارات «١» . وقال أيضا: رميت ظبية فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حبيبة لي فشددت وراء السهم حتى قبضت على قذذه «٢» . **وصف أعرابي** امرأة فقيل: ما بلغ من شدة حبك لها؟ قال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها ريح المسك.

أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك: [وافر]

ثلاث واثنتان فهن خمس ... وسادسة تميل إلى شمام «٣»

فبتن بجانبي مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختام

كأن مفالق الرمان فيها «٤» ... وجمر غضا قعدن عليه حامي «٥»

فقال له سليمان: ويحك يا فرزدق، أحللت بنفسك العقوبة، أقررت عندي بالزنا وأنا إمام ولا بد لي من أن أحدك؛ فقال الفرزدق: بأي شيء أوجبت علي ذلك؟ قال: بكتاب الله؛ قال: فإن كتاب الله هو الذي يدرأ عني الحد؛ قال: وأين؟ قال: في قوله: والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون

«٦» فأنا قلت: يا أمير المؤمنين،." (٢)

"كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

وما حسن الرجال لهم بزين ... إذا لم يسعد الحسن البيان

وقال خالد بن صفوان لرجل: رحم الله أباك، فإنه كان يقري العين جمالا، والأذن بيانا. وقال النمر «١» بن تولب: [وافر]

أعذني رب من حصر وعي «٢» ... ومن نفس أعالجها علاجا

ومن حاجات نفسي فاعصمني ... فإن لمضمرات النفس حاجا «٣»

وصف أعرابي رجلا يتكلم فيحسن فقال: [كامل]

يضع الهناء مواضع النقب «٤»

ومثله قولهم: فلان يجيد الحز، ويصيب المفصل؛ وربما قالوا: يقل «٥» الحز.

وقال معاوية في عبد الله بن عباس: [طويل]

---

(١) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/١٣١

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٣/٢

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف ... لعي ولم يثن اللسان على هجر

يصرف بالقول اللسان إذا انتحى ... وينظر في أعطافه نظر الصقر." (١)

"وقال آخر: [المتقارب]

أخ طالما سرني ذكره ... فأصبحت أشجى لدى ذكره «١»

وقد كنت أغدو إلى قصره ... فأصبحت أغدو إلى قبره

وكنت أراني غنيا به ... عن الناس لو مد في عمره

إذا جئته طالبا حاجة ... فأمري يجوز على أمره «٢»

وصف أعرابي رجلا قال: كان والله يتحسى مرارة الإخوان ويسقيهم عذبه. وقال أعرابي «٣» : [من الوافر]

أخ لك ما تراه الدهر إلا ... على العلات بساما جوادا «٤»

سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا «٥»

فأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا

مرارا لا أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثنى الوسادا «٦»

المودة بالتشاكل «٧»

بلغني عن ابن عيينة أنه قال: قال ابن عباس: القرابة تقطع والمعروف يكفر، ولم ير كتقارب القلوب.." (٢)

"وعن مطر الوراق: أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله تعالى الضعف، فأوحى الله إليه: أن اطبخ اللبن باللحم، فإن القوة فيهما.

وصف أعرابي خصب البادية فقال: كنت أشرب رثيئة «١» تجرها الشفتان جرا، وقارصا إذا تجشأت جدع أنفي، ورأيت الكمأة «٢» تدوسها الإبل بمناسمها، وخلاصة «٣» يشمها الكلب فيعطس.

وتقول الأطباء: إن اللبن إذا سخن بالنار وسيط «٤» بعدود من عيدان شجر التين راب من ساعته. وقالوا: وإن أراد صاحبه ألا يروب وإن كان فيه روبة جعل فيه شيئا من الحبق، وهو الفوذنج «٥» النهري، فإنه يبقى كهيئته.

أخبار من أخبار العرب في مآكلهم ومشاربهم

المعلى الربعي قال: مكثت ثلاثا لا أذوق طعاما ولا أشرب فيهن شرابا فدعوت الله تعالى، وإذا دعا العبد الله بقلب صادق كانت معه من الله عين بصيرة، فدفعت إلى ذئبين في جفر «٦» ، فرميتهما فقتلتهما، ثم أتيت جفرا فيه ماء فاستقيت، ثم أتيتهما وإذا هما على مهيد يتيهما «٧» ، وإذا لهما نخفة- يعني شبه الزفير- فاشتويت واحتذيت «٨» وادهنت.." (٣)

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ١٨٥/٢

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ١٠/٣

(٣) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٣١/٣

"وقال الطائي: [كامل]

بيضاء تبدو في الظلام فيكتسي ... نورا وتبدو في النهار فيظلم

وصف أعرابي امرأة فقال: كاد الغزال يكونها، لولا ما تم منها ونقص منه.

قال ابن الأعرابي: الحلاوة في العينين، والجمال في الأنف، والملاحة في الفم.

قال أعرابي يصف امرأة: [طويل]

خزاعية الأطراف مرية الحشا ... فزارية العينين طائية الفم

كان المقنع الكندي «١» من أجمل الناس وكان يتقنع لأنه كان متى سفر لقع (أي أصيب بعين) ، وهو القائل: [بسيط]

وفي الظعائن والأحداج أملح من ... حل العراق وحل الشام واليمنا «٢»

جنية من نساء الإنس أحسن من ... شمس النهار وبدر الليل لو قرنا

الحكم بن صخر الثقفي قال: خرجت حاجا مختفيا، فلما كنت ببعض الطريق أتتني جاريتان من بني عقيل لم أر أحسن منهما وجوها، ولا أظرف ألسنة ولا أكثر علما وأدبا، فقصرت بهما يومي فكسوتهما. ثم حججت من قابل ومعي أهلي، وقد أصابتني علة فنصل لها خضابي «٣» ، فلما صرت إلى ذلك الموضع فإذا أنا بإحداهما، فدخلت علي، فسألت مسألة منكر فقلت:

فلانة! قالت: فدى لك أبي وأمي! تعرفني وأنكرك؟! قلت: أنا الحكم بن." (١)

"أنصاره وأعوانه ولقد صدق من قال

لكل ولاية لا بد عزل ... وصرف الدهر عقد ثم حل

وأحسن سيرة تبقى لوال ... على الأيام إحسان وعدل

وقال عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل وكان كسرى يقيم رجلين من موابذته عن يمينه وشماله إذا أراد النظر في أمور الناس فكان إذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له والرعية يسمعون أيها الملك أنت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة انصف الخلق وانظر لنفسك ويقال إنه كتب ثلاث رقاع في إحداها أمسك عضبك فإنك لست باله وإنك ستموت ويأكل بعضك بعضا وفي الثانية إرحم عباد الله يرحمك الله وفي الثالثة احمل عباد الله على الحق فإنه لا يسعهم إلا ذلك وكان إذا جلس للناس عامة لينظر في أمورهم قام بعض الحجاب على رأسه وبيده الرقاع فإذا رآه غضب على أحدنا وله الرقعة الأولى فإن رآه تمادى على غضبه ناوله الثانية فإن لم ينته ناوله الثالثة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه في الموسم فإذا اجتمعوا قال يا أيها الناس إني لم أستعمل عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أعراضكم ولا من أموالكم شيأ إنما استعملتهم ليحجزوا بينكم ويردوا عليكم فيئكم فأيكم كانت له عندي مظلمة فليقم **وصف أعرابي** أميرا عادلا فقال هو عالم برعيته عادل في أقضيته عار من الكبر قابل للعذر سهل الحجاب متحير إلى الصواب رفيق بالضعيف مكرم للشريف غير مجاف للقريب ولا مخيف للغريب وكان شمس المعالي قابوس بن وشمكير عادلا

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٨/٤

في ملكه كان لا يؤتى بمفسد إلا أقام الحق عليه ولو أنه أقرب الناس إليه وقع جعفر بن يحيي إلى بعض عماله أنصف من وليت أمره وإلا أنصفه منك من ولي أمرك ووقع أخوه الفضل بئس الزاد إلى المعاد التعدي على العباد وسأل عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع العمال فقال رأيت الظالم مقهورا والمظلوم منصورا والغني موفورا والفقير مبرورا فقال الحمد لله." (١)

"ينيلوه شيأ فولي عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم ... جودا وليس الجود من أفعالكم

لا بارك الله لكم في مالكم ... ولا أزاح السوء عن عيالكم

فالموت خير من صلاح حالكم

ومن كلامهم في الأوصاف **وصف أعرابي** امرأة فقال هي السقم الذي لا برء منه والبرء الذي لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء ووصف آخر امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا ما نقص منه وتم منها وقال آخر سبقنا الحي وفيهم أدوية السقام فقرأن بالحدق السلام وخرست الألسن عن الكلام وقال آخر خرجت حين انحدرت النجوم وسالت أرجلها فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر وأرسل أعرابي ولده في حاجة فرجع خائبا فسأل عن سبب خيبته فقال أتيت سوق الظما فبكت السماء وضحك البرق وقهقه الرعد فخفت الهاطلة فرجعت **وصف أعرابي** مصيبة فقال إنها مصيبة تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا وقيل لبعض الأعراب هل عندكم في البادية طبيب قال كلا إن حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار وقيل لأعرابي كيف حالك فقال أمزق ديني بالذنوب وأرقعه بالاستغفار وقيل لأعرابي مالك من فلان قال وجه صبيح وصدر فسيح وقلب نصيح ونسب صريح وخلق صحيح وسعي نجيح ووعد مريح

ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الأفاضل ... الهادي حلال سحرها بحرام سحر بابل

ولنورد امام ذلك كلاما في فضل الكتابة كافيا وللكتاب من أدواء الخمول شافيا قلت الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان قراره وأطواده بأقلامهم تبسط الأرزاق وتقبض الآجال وبأحلامهم تصان المعاقل إذا عجز عن صونها الرجال وقالوا الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء حيث شاء وقالوا لو أن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة وقالوا الكتابة قطب الأدب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل وبالكتاب." (٢)

"وقال الجاحظ لا يعاب الأخرس ولا يلام من استولى على بيانه العجز ويذم الحصر ويؤنب العي **وصف أعرابي** قوما بالعي فقال منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل إلى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ومنهم من يلج كلامه الاذان فيحملها عبأ ثقيلا إلى الأذهان قال شاعر ينزه لسانه عن العي

وما بي من عي ولا أنطق الخنى ... إذا جمع الأقوام في الخطب محفل

آخر

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٤٩

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٩٣

وقلنا بلا عي وسنا بطاقة ... إذا النار يوم الحرب طال اشتعالها

ومن علامات العي الواضحة ... وسمات اللكن الفاضحة

الاستعانة وهو أن يرى المخاطب إذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه للمخاطب استمع إلي واسمع مني وألست تفهم وافهم عني ومنهم من يقول في خلل كلامه أما قولي كذا فأعني به كذا ولا يريد التفسير ولكن يعمد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول فبيانه أبدا يقصر عن إيضاح أشكاله وإن أتى بأنواع الكلام وأشكاله وذم بعض البلغاء عييا فقال قلبه ميت الفطنة ولسانه بادي اللكنة ولفظه ظاهر الهجنة شديد التعاون بين التهافت إذ عصته ولدغته المساجلة والمساورة تثاءب للعطاس وتثاقل للنعاس وتشاغل بمسح اللحية ومس الجبهة وقرع السن وفتل الأصابع فعجزه طاهر وعيه حاضر شاعر في مثل ذلك

ملي ببهر والتفات وسعله ... ومسحة عثنون وفتل الأصابع

ومن علامته التنحنح من غير داء والتثاؤب من غير ريبة والاكباب في الأرض من غير علة." (١)

"وفيه يقول الحسن بن مطير رحمه الله تعالى

رأى الله للفضل بن يحيى فضيلة ... ففضله والله بالناس أعلم

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ... ويوم نعيم فيه للناس أنعم

فيمطر يوم الجود من كفه الندى ... ويمطر يوم البؤس من كفه الدم

ولو أن يوم الجود خلى يمينه ... على الناس لم يصبح على الأرض معدم

ولو أن يوم البؤس خلى شماله ... على الناس لم يصبح على الأرض مجرم

وممن فاه ببديع مدحه اللسان ... من ذوي الانعام والاحسان

وصف أعرابي رجلا فقال ذاك رجل اشترى عرضه من الأذى فهو وإن أعطى الدنيا بأسرها رأى بعد ذلك إن عليه حقوقا منها ومدح أعرابي قوما بالجود فقال هم الذين جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم فالحمد فيهم زائد والجود لهم شاهد يعطون أموالهم بطيب أنفس إذا طلبت إليهم ويباشرون المكروه باشراق الوجوه إذا بغى عليهم ومدح آخر رجلا فقال ما رأيت الرزق أبغض أحد أبغضه وقالوا فلان دواء الفقر إن سئل أعطى وإن لم يسئل ابتدأ وقالوا فلان يبذل ما جل ويجبر ما اعتل ويكثر ما قل ومن كلام الثعالبي فلان يحيي القلوب بلقائه قبل أن يميت العدم بعطائه فلان يوجب الصلات وجوب الصلاة فلان لو أن البحر مدده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه وقالوا فلان له نفس فيحاء لا تضيق بالبذل وأذن صماء لا تصغي للعذل وأما المنظوم في هذا فكثير فمن ذلك قول المهلب بن أبي صفرة

قوم إذا نزل الغريب بأرضهم ... ردوه رب صواهل وقيان." (٢)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٢١٥

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٣١٩

"آخر

على كل حال فاجعل الحزم عدة ... لما أنت باغيه وعونا على الدهر

فإن نلت أمرا نلته عن عزيمة ... وإن قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب حاجبا

ولم يستشر في أمره غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

آخر

إذا فرصة أمكنت في العدى ... فلا تبد فعلك إلا بها

فإن لم تلج بابها مسرعا ... أتاك عدوك من بابها

ومن ممادح من عرف في قومه بالشجاعة ومد إلى قطف الرؤس سيفه وباعه قالوا فلان أبلغ صولة من أسد العرين وأشد منعة من الحصن الحصين **وصف أعرابي** رجلا بالشجاعة فقال هو ابن الحرب أرضع بدرها وربى في حجرها وسئل أعرابي عن قومه فقال كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام صغرت بينهم السهام بشؤبوب الحمام وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت أفواهها الحتوف فرب يوم شموس أحسنت أدبه عزمتهم وحرب عبوس أضحكتها أسنتهم ومدح أعرابي قومه فقال قومي والله ليوث حرب وغيوث جدب ليس لأسيافهم أغماد غير الهام ولا رسل للمنايا غير السهام وقالوا فلان يبادر." (١)

"وصف النزال والقتلى

وصف أعرابي وقعة فقال اصطفوا كجناح الطائر وشدوا شد الأسد الخادر فما ثنوا أعنتهم ولا صرفوا أسنتهم حتى انصرف اعداؤهم أبو نصر الميكالي دارت رحى الحرب بين أعمار تباح ودماء تستباح وأجسام تطاح وأرواح تسفي بها الرياح فالسيوف للهامات دامغة والرماح في الأكباد والغه بض البلغاء طلبنا فلانا في الوغى فوجدناه وجسده بالصفاح منمق محبر وبالرماح معجم ومحرر ابن عبد ربه من أبيات

فكم على النهر أوصال مفرقة ... تقسمتها المنايا فهي أشطار

قد فلقت بصفيح الهند هامتهم ... فهن بين حوامي الخيل أعشار

وكم بساحتهم من شلو مطرح ... كأنه فوق ظهر الأرض أجار

كأنما رأسه أفلاق حنظلة ... وساعداه على الزندين جمار

أبو بكر الخوارزمي

كتبنا في وجوههم سطورا ... غرائب حبرهن دم همول

فترجمها الأعادي للأعادي ... ويقرؤها على الحي القتيل

فمالك غير جمجمة كتاب ... ومالك غير صاحبها رسول

ابن الرومي

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٤١٣

كتبت لنا أيدي النزال صحائفا ... هجما من الأعراب والافصاح

أطراسها جثث الكماة وحبرها ... مما أسلناه دم الأرواح

فالشكل فوق سطورها بصوارم ... والنقط تحت حروفها برماح." (١)

"والعلامات الجامعة للنجابة في الفرس ما ذكره أيوب بن القربة وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال: القصر الثلاث الصافي الثلاث، الطويل الثلاث الرحب الثلاث، فقال: صفهن، فقال: أما الثلاث الصافية، فالأديم، والعينان والحافر، وأما الثلاث القصار، فالعسب، والساق، والظهر، وأما الثلاث الطوال فالأنف، والعنق، والذراع، وأما الثلاث الرحبة فالجوف والمنخر والجبهة، وقد جمع بعض الشعراء هذه الأوصاف فيقوله:

وقد اغتدي قبل ضوء الصباح ... وورد القطا في الغطاط الحثاث

بصافي الثلاث عريض الثلاث ... قصير الثلاث طويل الثلاث

وأهدى عمرو بن العاص ثلاثين فرسا من خيل مصر، فعرضت عليه وعنده عتبة بن سنان بن يزيد الحارثي، فقال له: معاوية كيف ترى هذا يا أبا سفيان فإن عمرا أطنب في وصفها، فقال: أراها يا أمير المؤمنين كما وصفت إنها لسامية العيون لاحقة البطون مصغية الآذان قراء الأسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر، وقعها تحليل، ورفعها تعليل، فهي إن طلبت سبقت، وإن طلبت لحقت قال معاوية: اصرفها إلى دارك فإن بنا عنها غنى وبفتيانك إليها حاجة، وهذه الخلال قلما توجد في جواد، ولو بذل فيه سواد العين، وسويداء القلب.

وقد قال أبو الطيب المتنبي مؤيدا لما قلت:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت في غبن من لا يجرب

وإذا لم يشاهد غير حسن شياتها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيب

ووصف أعرابي فرسا أجرى في حلبة فقال: لما أرسلت الخيل جاءوا بشيطان في اشطان، فارسوله، فلمع البرق واستهل الودق فكان أقرب الخيل إليه نقع عينه من بعد عليه.

ووصف محمد بن الحسين بن الحروف فرسا فقال: هو حسن القميص جيد الفصوص وثيق القصب نقي العصب يبصر بأذنيه ويتبع ويتبوع، بيديه، ويدخل برجليه، وكتب عبد الله بن طاهر مع فرس أهداه إلى المأمون، وقد بعث إلى أمير المؤمنين فرسا يلحق الأرانب في الصعداء، ويجاوز الظباء في الاستواء ويسبق في الحدود جري الماء إن عطف جار وإن أرسل طار وإن حبس صفن، وإن استوقف قطن، وإن رعى أبن فهو كما قال تأبط شرا.

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي ... بمنخرق من شدة المتدارك

ووصف آخر فرسا، فقال: وإذا هبط قعى كأنه محلول من قول أبي بكر بن دريد يصف فرسا:

إذا جرى لم يعلق الطرف به ... ولم يجعل لونه ولم يحط

مثل دعاء مستجاب إن علا ... أو كقضاء نازل إذا هبط ووصف آخر فرسا، فقال: أسيل الخد حسن القدر لقد سبق

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٤٣٤

الطرف ويستغرق الوصف وقال محمد بن عبد الملك لصديق له ابلغ لي برذونا، وثيق اليدين سالم الأذنين ذكي العينين، يأنف من تحريك الرجلين، وساير شبيب بن شيبة علي بن هشام فاستبطأه فقال له: أنت على جواد إن تركته سار وإن ضربته طار وأنا على معرف إن تركته وقف وإن شربته قطف وقال بعض الشعراء يصف فرسا سبق حلبة فقال:

جاء كلمع البرق جاش ناظره ... يرسب أولاه ويطفو آخره

فما يمس الأرض منه حافره

وقال أبو عبادة البحتري:

كالهيل المبني إلا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل

جد لأن ينقض عذرة في غرة ... يقف تسيل حجولها في جندل

صافي الأديم كنا عنيت له ... لصفاء نقبته مدارس صيقل

هزج الصهيل في نفحاته ... فبرات معبد في الثقيل الأول

وقال أبو الفرج الببغاء:

إن لاح قلت أدمية أم هيكل؟ ... أو عن قلت أسابح أم جدال؟

تتخاذل الألحاظ في إدراكه ... ويحار فيه الناظر المتأمل

فكأنه في اللطف منهم ثاقب ... وكأنه في الحسن حظ مقبل

وقال محمد بن هاني الأندلسي:

عرفت بساعة سبقها لأنها ... علقت بها الرهان عيون

واجل علم البرق فيها إنها ... مرت بجانحيته وهي ظنون

ولآخر:

منع القوائم أن تمس بها الثرى ... فكأنه في جريه متعلق

وكأن أربعة تراهن طرفه ... فيكاد يسبقه إلى ما يرمق

وقال عبد الجبار بن محمد بن حمد يس الصقلي:

شطر أولومجرر في الأرض ذيل عسيبه ... حمل الزبرجد منه جسم عقيق

يجري فلمع البرق في آثاره ... من كثرة الكبوات غير مفيق

ويكاد يخرج سرعة من ظله ... لو كان يرغب في قران صديق وقال أبو الفتح كشاجم:." (١)

"ذم من له أدب بلا عقل

وصف أعرابي رجلا، فقال: هو ذو أدب وافر وعقل نافر:

فهبك أخا الآداب أي فضيلة ... تكون لذي علم وليس له عقل

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر الوطواط ص/٥٢

وقيل: ازدياد الأدب عند الأحمق، كازدياد الماء العذب في أصول الحنظل، كلما ازداد ريا ازداد مرارة.

حاجة العقل إلى الأدب

عاقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح. العقل والأدب كالروح، والجسد بغير روح صورة، والروح بغير جسد ريح.

وقيل: العقل بغير أدب كأرض طيبة خربة، وأن العقل يحتاج إلى مادة الحكمة، كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الطعام.

ضياع العقل بفقد التقوى

قيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن إنسان عبادة، قال: كيف عقله؟ فإن قالوا عاقل، قال: ما أخلقه أن يبلغ؛ وإن قالوا ليس بعاقل، قال: ما أخلقه أن لا يبلغ.

وقال الحسين: ثلاثة تذهب ضياعا: دين بلا عقل، ومال بلا بذل، وعشق بلا وصال. وقيل: لا تعتدوا بعبادة من ليس له عقدة من عقل.

فضل اجتماعهما

قال معاوية، لرجل حكيم مسن: أي شيء أحسن؟ فقال: عقل طلب به مروءة، مع تقوى الله وطلب الآخرة.

عزة العقل

كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه كلما كثر كان أغلى. ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله. أول شرف العقل أنه لا يشترى بالمال.

قلة العقل وذويه

قيل لبهلول: عد لنا المجانين، فقال: هذا يطول، ولكني أعد العقلاء. ومثله وإن لم يكن من بابه- أن رجلا كتب كتابا وعرضه على آخر، فقال: فيه خطأ كثير، فقال الكاتب: علم على الخطأ لأصلحه، فقال: بل أعلم على الصواب فهو أسهل.

وقيل لرجل: ما جماع العقل؟ فقال: ما رأيته مجتمعا في أحد فأصفه وما لا يوجد كاملا لا يحد.." (١)

"والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه قال الله تعالى: سلقوكم بألسنة حداد

«١» ، **ووصف أعرابي** رجلا فقال: أدق من ورقة وألين من سرقة.

قال الغساني:

له بين فكيه لسان كأنه ... حسام دقيق الشفرتين عتيق

وقال آخر:

وللسيف أشوى وقعة من لسانيا «٢»

وقال آخر:

وحسبت أن لسانه من عضبه

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٢٦

وصف كلام بالسلاسة

«٣» قيل: لو كان الكلام طعاما لكان هذا إداما كلام يقطر عسله هذا. والله نثر نغم أحسن من نثر نغم، كلام كالوبل في المحل.

وتكلم المأمون بكلام حسن في مسألة ثم قال لبعض ندمائه: كيف كان الكلام في هذه المسألة؟ قال: كان والله كغيث وقع على أرض عطشة. فقال: جوابك هذا أحلى لدي من الأمن بعد الخوف.

وقال المتنبي:

إذا ما صافح الأسماع يوما ... تبسمت الضمائر والقلوب

قال ابن المقفع: ما زالت ينابيع حكمه تترقرق في معابر الآذان حتى ملأت القلوب عقولا. اللفظ الحسن إحدى النفاثات في العقد.

وقيل في وصف كلام: إنه يحط الجندل «٤» ويثقب الخردل «٥» ، وأنه لدون السحر وفوق الشعر.

لفظ ساعد المعنى في الجودة

مدح أعرابي رجلا فقال: كان ألفاظه قوالب لمعانيه.

قال الشاعر:

تزين معانيه ألفاظه ... وألفاظه زائنات المعاني

وقيل: خير الكلام ما كان لفظه بكرا ومعناه فحلا.

وقال شاعر:

نرى حلل البيان منشرات ... تخير وسطها صور المعاني." (١)

"عنه. وعقد معاوية البيعة ليزيد ابنه، وهو معروف، ولما قعد للبيعة دخل رجل فقال: اعلم أنك لو لم تول هذا أمر المسلمين لأضعتهم. فقال للأحنف: لم لا تقول؟ فقال: أخاف الله أن كذبت وأخافك إن صدقت. فقال: جزاك الله عن الإسلام خيرا.

ولما شاور السفاح سعد بن عمر والمخزومي في عقد البيعة لعمه دون أخيه، قال له: أحدثك بحديث، كنت مع مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية فبلغه وفاة سليمان وولاية عمر بن عبد العزيز الخلافة فجزع جزعا شديدا. فقلت: لا تجزع لموت سليمان ولكن اجزع لخروج الأمر من ولد أبيك إلى ولد جدك فأمسك السفاح وعقد البيعة للمنصور.

وال مراع لرعيته

وصف أعرابي واليا فقال: كان إذا ولي طابق بين جفونه، وأرسل العيون «١» على عيونه. فهو شاهد معهم غائب عنهم. فالمحسن آمن والمسيء خائف.

وقيل من دبر حاشيته ضبط قاصيته «٢» .

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٨٤/١

وقال إبراهيم الموصلي:

أصبحت راعينا وحارس أمرنا ... والله من عرض الردى لك حارس

صلاح الرعية لصلاح الرعاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تهلك الرعية، وإن كانت ظالمة مسيئة، إذا كانت الولاة هادية مهدية. وقيل: زمانكم سلطانكم، فإذا صلح سلطانكم صلح زمانكم.

وقيل: صنفان لو صلحا صلح الناس الفقهاء والأمراء.

وقال بزرجمهر إذا هم الإمام بظلم ارتفعت البركة. وروي في الخبر إذا جار السلطان في ناحية ضرى «٣» سباعها.

وقيل إذا رضي الراعي بفعل الذئب لم تنبح الكلاب على الغريب. وقيل: أتى عمر رضي الله عنه بتاج كسرى، فقال: إن الذي رد هذا لأمين.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين الله فإن أديت أدوا، وإن ربعت «٤» ربعوا. قال صدقت.

قال الشاعر:

ونفسك فاحفظها من الغي والردى ... متى تغوها يغو الذي بك يقتدي." (١)

"ولما أراد عمرو بن هبيرة تولية أياس القضاء قال له: أني لا أصلح لأني عيي دميم حديد، فقال أما الحدة فالسوط يقومك، وأما الدمامة فإني لا أحاسن بك، وأما العي فإنك تعبر عما تريده فولاه.

حث الوالي على ادخار الإحسان

قال جعفر بن محمد: كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان. وقال بعضهم لوال:

بادر بإحسانك الليالي ... فليس من غدرها أمان

وقيل: أحسن والدولة تحسن إليك، وأنشد:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل خافقة سكون «١»

ولا تزهد عن الإحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون

وقيل: اجعل زمان رخائك «٢» عدة لزمان بلائك «٣» . وقيل: تودد الرجل في علو مرتبته ذب «٤» للشماتة أيام سقطته. واستعمل عمر رضي الله عنه رجلا، فقال: إن العمل كبير فانظر كيف تخرج منه.

ذم مغتر بولايته

وصف أعرابي واليا فقال: ما أطول سكر كأس شربها فلان. ولما يخاف من عاقبتها أشد سكرا. ولئن كانت الدنيا مشغولة به ليوشك أن تكون فارغة منه، حيث لا يرجى له أو به ولا تقبل له توبة.

وذكر الأصمعي أن قول الشاعر:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف غب ما يأتي به القدر

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢٠٦/١

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

كأنما أخذ من قوله تعالى: حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة

. «٥»

ودخل الأنباري الشاعر على الصاحب بالأهواز، وكان نازلا في دار ابن بقية، فلم يعرفه الصاحب ولم يلتفت إليه، فانشأ يقول:

اسمع مقالي ولا تغضب علي فما ... أبغي بذلك لا بذلا ولا عوضا

في هذه الدار في هذا الرواق على ... هذا السرير رأيت الملك فانقرضا." (١)

"إلى الأسد وقال قاتلني فقال الأسد لست بكفؤى ومتى قتلتك لم يكن لي فخر وإن قتلتني لحقني وصم «١» عظيم. فقال لأخبرن السباع بنكولك «٢» فقال الأسد: احتمال العارفي ذلك أيسر من التلطخ بدمك، وفي عذر من يخاصم دنيئا ويدافعه قول المتنبي:

إذا أتت الإساءة من وضيع ... ولم ألم المسيء فمن ألوم؟

الحث على العداوة بالفعل لا القول

قيل: غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله. وولي أبو مسلم رجلا ناحية فقال له: إياك وغضبة السفلة فإنها في ألسنتها وعليك بغضبة الأشراف فإنها تظهر في أفعالها.

الحث على إماتة الحقد

أرسطوطاليس «٣» استعد لإهماد «٤» لهب العداوة بالاناة قبل تلهب ناره فإن إطفاءه قبل انتشاره سهل يسير، وقيل: ما أحسن بالرجل أن يحسن مداراة عدوه حتى يطفىء سورة «٥» ناره وقال بعض أصحاب المأمون يوما إن عجيف بن عنبسة خبيث النية رديء السريرة «٦» ، وأراك قد قربت مجلسه. فقال: والله لأحسنن إليه ولا تفضلن عليه حتى أكون أحب الناس إليه. فلم يزل يختصه حتى صار يبذل دونه مهجته.

مدح الحقد وذويه

وصف أعرابي حقودا فقال: يحقد حقد من لا ينحل عقده ولا يلين كيده، وقال يحيى لعبد الملك ابن صالح: إنك حقود فقال: إن كان الحقد عندك بقاء الخير والشر إنهما عندي لثابتان، فلما قام قال يحيى ما رأيت من احتج للحقد حتى حسنه سواه وقيل لرجل: أنك لحقود، فقال:

وإن امرأ لم يحقد الوتر لم يكن ... لديه لذي النعماء جزاء ولا شكر

قال ابن الرومي:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢٢١/١

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى ... وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض

إذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع ... من البذر فيها فهي ناهيك من أرض." (١)

"وقال غيره:

على قمة المجد المؤثل جالس «١»

المبادر إلى تناول المكرمات

يستحسن في هذا المعنى قول الشماخ «٢» :

إذا ما راية رفعت لمجد ... وقصر مبتغوها عن مداها

وضاقت أذرع المثرين عنها ... سما أوس إليها فاحتواها

وقال ابن الرومي:

سجايا إذا همت بخير تسرعت ... إليه وإن همت بشر تناءت «٣»

وصف أعرابي رجلا فقال: هو وساع إلى الخير قطوف عن الشر وعكس ذلك شاعر: فقال:

هو في الخير قطوف ... وهو في الشر وساع

المختصر طريق المكرمات

قال البحتري:

له طريق إلى العليا مختصر

قال ابن طباطبا:

كأنه من سمو همته ... يأتي طريق العلا فيختصر

قال الرفاء «٤» :

قلت إذ برز سبقا في العلا ... إلى المجد طريق مختصر

المتدرع للعلا

قال شاعر:

ألبسه الله ثياب العلا ... فلم تطل عنه ولم تقصر

قال أشجع «٥» :

مكارم ألبست أثوابها ... كل جديد عندها بال." (٢)

"المتثبت بالمعالي والخادم لها

قال أبو الشيص «١» :

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣١٠/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٦١/١

عشق المكارم فهو معتمد لها ... والمكرمات قليلة العشاق

قال المتنبي:

تلد له المروءة وهي تؤذي ... ومن يعشق يلذ له الغرام

ومن هنا أخذ الصاحب قوله:

اشبب لكن بالمعالي اشبب ... وانسب لكن بالمكارم أنسب

قال أبو تمام:

خدم العلى فخدمنه وهي التي ... لا تخدم الأقوام ما لم تخدم

العديم النظير والشبيه

وصف أعرابي رجلا فقال ما نطف «٢» فحل بمثله، قال:

ما ولدت مثلك أرحام النساء

وقال آخر:

إن الزمان بمثله لعقيم

قال المتنبي:

ليس له عيب سوى أنه ... لا تقع العين على شبهه

وليس ذلك بعيب وإنما هو كقول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب «٣»

قال علي بن عبد العزيز:

جملة القول أن مثلك لا يمكن في مثل دهرنا تكوينه قال أبو نواس:

خلقت بديعا لا يقال كأنه ... تعالى ولم يسمع بمثلك سامع

قال آخر:

ولم تقع عين على مثله." (١)

"قال رشتة بن الأبيض:

الناس عند علي حين تذكرهم ... كالشوك يذكر بين الورد والآس

قال ابن العوام:

فنحن السنام والمناسم غيرنا ... ومن ذا يسوي بالسنام المناسما «١»

وذلك مأخوذ من قول الآخر:

ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٣٦٤

قال أبو السعداء:

الناس أيام الشهو ... ر وأنت فيهم يوم عيد «٢»

من تتزين به الدنيا

وصف أعرابي رجلا فقال لئن عابه كونه في الزمان لقد تزين الزمان بكونه فيه.

قال الجريمي:

تحلت به الدنيا فغطت عيوبها ... وأمست به الدنيا تجل وتحمد

قال المتنبي:

أنت الذي بجح الزمان بذكره ... وتزينت بحديثه الأسمار «٣»

وقال أبو الفضل بن العميد: أمدح بيت قول المتنبي:

الدهر لفظ وأنت معناه

قال الشيخ رحمه الله وأنا استحسن قول الشاعر:

فما أحسن الدنيا وفي الدار خالد ... وأقبحها لما تجهز غازيا

قال ابن الرومي:

يا زينة الدين والدنيا إذا احتفلا ... وأظهرا ما أعداه من الزين

من تنافست فيه الأيام

قال نصيب:

وقد تغايرت الأيام فيك فما ... تنفك تسني لها الحذيا وتحتشد «٤»." (١)

"وقيل سواسية كأسنان الحمار. وعكس هذا المعنى الصنوبري «١» فأتى بأجود لفظ وأوضح معنى، فقال:

أناس هم المشط استواء لدى الوغا ... إذا اختلف الناس اختلاف المشاجب

عذر من ذكر فاضلا ونذلا معا

قال بعض الكبار لرجل: أتذكرني مع فلان وفلان فقال: قد ذكر الله النار والجنة وفرعون مع موسى وآدم مع إبليس فلم يهن بذلك أولياءه ولم يكرم به أعداءه.

اختيار أراذل

وصف أعرابي قوما فقال: هم كلاب وفلان من بينهم سلوقي وهم حنظل وهو هبيد «٢» . وإن في الشر خيارا وليس العاقل من يعرف الخير من الشر وإنما العاقل من يفرق بين الشرين. قال محمود:

ذممتك أولا حتى إذا ما ... بلوت سواك عاد الذم حمدا

ولم أحمدك من خير ولكن ... رأيت سواك شرا منك جدا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٦٦/١

فعدت إليك مختلا ذليلا ... لأني لم أجد من ذاك بدا

كمجهود تعاظم أكل ميت ... فلما اضطر عاد إليه شدا

من لا يفرح بموته ولا يسر بحياته

قال شاعر:

إذا كنت لا ترجى لدفع ملمة ... ولم يك في المعروف عندك مطمع «٣»

ولا أنت ممن يستعان بجاهه ... ولا أنت يوم الحشر ممن يشفع «٤»

فعيشك في الدنيا وموتك واحد ... وعود خلال من وصالك أنفع

ذكر أحمد بن الخطيب عند أبي العيناء فقال: إن دنوت منه عرك «٥» وإن بعدت منه ضرك. فبلغ كلامه أحمد فقال: تفسيره أن حياته لا تنفع وموته لا يضر. وقيل لرجل:

مات فلان فقال: من لم تنفع حياته لم تجزع وفاته:

فبعدا لا انقضاء له وسحقا ... فغير مصابه الخطب العظيم." (١)

"من لا يستحضر في المحافل ولا يعرج عليه الأماثل

وقال الأخطل:

أما كليب بن يربوع فليس لهم ... عند التفاخر إيراد ولا صدر «١»

مخلفون ويقضي الناس أمرهم ... وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا

الآكلون خبيث الزاد وحدهم ... والسائلون بظهر الغيب ما الخبر؟

وقيل:

هادته وغيبته سواء «٢»

وقال آخر:

كزائدة الابهام خلف الرواجب «٣»

وقال آخر:

كزائدة النعامة في الكراع

قال عبدان:

خرجنا غداة إلى نزهة ... وفينا زياد أبو صعصعه

فستة رهط به خمسة ... وخمسة رهط به أربعه

قال سحيم بن موسى:

عن المكارم تنفى طيء طردا ... نفي الزيوف أبتها كف منتقد «٤»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٨١/١

المتعري من الإنسانية

وصف أعرابي رجلا فقال: ليس فيه من الآدمية ألا أنه يسمى آدميا. وقال فتى لأبيه:

مالي إذا أخذتم في الأشعار والأخبار تسلط على المنام. فقال: لأنك حمار في مسلاخ «٥» إنسان. ويقال فلان حارض بن حارض لمن لا خير فيه.

ذم من لا يبالي بما ارتكب

وصف أعرابي رجلا فقال: يهون عليه عظام الذنوب ويحسن في عينه قباح العيوب ولو كان في بني آدم سباخ أنه لمن سباخهم.

قال المري:

قوم إذا خرجوا من سوءة ولجوا ... في سوءة لم يخبوها بأستار

وقيل: من الأبيات الرائعة المعجبة التي لا أرباب لها قول الشاعر:." (١)

"الهوى فإن الجنة هي المأوى

«١» قال أبو حازم: ما احتجت إلى شيء مما يستقرض إلا استقرضته من نفسي. وقال ملك لعابد ما منعك أن تخدمني وأنت عبدي، فقال: لو صدقت نفسك لعلمت أنك عبد عبدي؟ فقال: كيف؟ قال: لأني ملكت الشهوة فهي عبدي وقد ملكتك فأنت عبدها فقال: صدقت. قال أشجع:

تجافى عن الدنيا فقد فتقت له ... خواصرها واستقبلته أمورها

وقال آخر:

وخلى عن الدنيا وقد فرشت له ... محفلة أخلافها لم تصرم

مدح متظلف «٢» عن مال غيره متبرع بماله

وصف أعرابي رجلا، فقال: هو بماله متبرع وعن مال غيره متورع.

وقال شاعر:

أبو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه «٣»

وقال آخر:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى

وقال إبراهيم بن العباس:

يعرف الأبعد إن أثرى ولا ... يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

وقال آخر:

فتى إن هو استغنى تخرق في الغنى ... وإن قل مالا لم يضع سنة الفقر «٤»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٨٢/١

وقال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: أما ترى هذا الحائك لا نفتي في مسألة إلا خالفنا فيها، يعني أبا حنيفة رضي الله عنه، فقال: ابن شبرمة: لا أدري حياكته ولكني أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها.

ذم إظهار الفقر والنهي عنه

قيل: أشد الأشياء مؤنة الفاقة وأشد من ذلك الاستكانة إلى من لا يجبرها. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: رضي بالذل من كشف ضره. وقال حكيم: استتر من الشامتين بحسن العزاء عند النوائب.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الفقر بين عينيه إلى يوم القيامة، ثم تلا قوله تعالى: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير." (١)

"وقال المتنبي:

ستروا الندى ستر الغراب سفاده ... فبدا، وهل يخفى الرباب الهاطل «١» ؟

ووصف أعرابي رجلا، فقال إذ أعطى شكر وإذا أعطى ستر.

المسرور بما يعطيه

لما دخل الفضل بن يحيى الرقة، قال لو كلائه: أحصوا منزل من يغنيه ألف درهم فاحصوا ثلاثمائة منزل فوجه إليهم ثلاثمائة ألف درهم، ثم وضع له الطعام، فقال: ما أكلت طعاما أهنأ منه اليوم، وقد علمت أني أغنيت ثلاثمائة بيت.

قال أبو تمام:

لو يعلم العافون كم لك في الندى ... من لذة وقريحة لم تحمد «٢»

وقال زهير:

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وقال الأعشى:

يرى البخل مرا والعطاء كأنما ... يلذ به عذبا من الماء باردا

وقال أبو تمام:

ونغمة معتف يرجوه أحلى ... على أذنيه من نغم السماع

وقال معاوية يوما لجلسائه: ما بقي من لذاتكم؟ فقالوا: ضروب من القول، فقال ذلك لوردان مولى عمر، فقال: النظر في وجه كريم أصابته من دهره جائحة فاصطنعت إليه، فقال معاوية: أنا أحق بهذه منك، فقال: أحق بها من سبق إليها وأنت أقدر عليها فافعل.

ودخل هشام بن عروة على المنصور، فشكا إليه دينا، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أعطى عطية وهو طيب النفس بورك للمعطي والمعطى منها، أفنفسك طيبة بها، قال: نعم.

من اشتغاله بالعطاء

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦١٥/١

قال بعضهم:

فتى لا تراه الدهر إلا ونفسه ... تجود بخير أو تهم بخير

وقال آخر:

لا يعد المال إلا وهبا." (١)

"التمر

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يصبه يومه ذلك سم ولا سحر وقال صلى الله عليه وسلم: أول ما يفطر به الرطب والتمر وأول ما تأكل النفساء الرطب والتمر، لأن الله سبحانه وتعالى قال لمريم: وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا

«١» .

وقال شيخ: ما وضع الناس في أفواههم شيئا أطيب من عجوة، **ووصف أعرابي** تمرا، فقال: تمرات جرد فطس يغيب فيهن الضرس، كأن نواها ألسن الطير تضع التمرة في فمك فتجد حلاوتها في كعبك.

وقال أعرابي: ضفنا فلانا فأتى بتمر كأعنان الوردان يوحل فيه الضرس. وقيل: خير التمر ما غلظ لحاه ورق سحاه ودق نواه.

قال النابغة يصفه:

صغار النوى مكنوزة ليس قشرها ... إذا طار قشر التمر عنها بطائر

وقال آخر:

وكنت إذا ما قرب الزاد مولعا ... بكل كميت جلده لم يؤسف

مداخلة الأقراب غير ضئيلة ... كميت إذا خفت مزادة مخلف

وقال آخر:

يا حبذا التمرة ما أحلاها ... تدمن الفقحة من ذكراها «٢»

وقال الحجاج يوما لجلسائه: ليكتب كل واحد منكم أطيب طعام وليدفعه إلي، فكتب كلهم: التمر والزبد، وقال سوار لرجل حضر الشهادة، بم تشهد، فقال:

شهدت بأن التمر بالزبد طيب ... وإن الحبارى خالة الكروان

فقال أما الأول فإني أشهد به أيضا.

أكل التمر

قال بعضهم: لم أنتفع بأكل التمر إلا مع الزنج وأهل أصفهان، فالزنج لا تختار وأنا أختار، وأهل أصفهان يأخذون قبضة

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/ ٦٨١

فإلى أن يفرغوا من أكلها لم يأخذوا من غيرها وأنا أختار كما أحب. وقيل: فلان برم قرون أي لا يخرج مع أصحابه ويأكل تمرتين تمرتين.." (١)

"وقال آخر:

أقل ما يأكله أقله ... لا يحمل النيل ولا يقله

ووصف أعرابي رجلا، فقال: هو أكلة «١» وكلة تكلة «٢» .

وقال آخر:

كأنه برذونة رغوث «٣»

وقال آخر:

قرضابة طرفاه الدهر في تعب ... ضرس طحون وفرج يفسد الدينا «٤»

وقال آخر:

خب جبان وإذا جاع بكى ... ولا يوارى فرجه إذا اصطلى «٥»

ويأكل التمر ولا يلقي النوى ... كأنه غرارة ملأى خنا «٦»

وقال آخر:

أيا آكل من نار ... ويا أشرب من رمل

وكان بلال بن أبي بردة أكولا، وفيه يقول الحسن رضي الله عنه: يتكي على شماله ويأكل غير ماله، حتى إذا كظه الطعام يقول: إبغوا لي هاضوما. وقيل: وهل تهضم إلا دينك. وقيل لرجل: كيف أكل فلان، فقال كما لا يحبه لبخيل.

ويتمثل في هذا الباب بقول جرير:

كالحوت لا يلهيه شيء يلهمه ... يصبح ظمآن وفي البحر فمه

وفي الجشاء، لابن عيينة:

وتصبح تقلس عن تخمة ... كأن جشاءك عن فجله

المسرع اللقم

قال شاعر:

ما بين لقمته الأولى إذا ازدردت ... وبين أخرى تليها قيس أظفور «٧»

وقال آخر:

يدارك اللقم ولا يخشى الغصص ... تلقما يقطع أزرار القمص." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧١٦/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٣٢/١

"وقال أحمد بن أبي طاهر:

وأكثر ما ألذ به وألهو ... محادثة الضيوف على الطعام

وقيل: من أكثر الكلام على طعامه غش بطنه، وثقل على إخوانه.

مضاحكة الأضياف

قال شاعر:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال أعرابي:

نقريهم الوجه ثم البذل يتبعه ... لا نترك الجهد منا قل أو كثرا «١»

وقال آخر:

أبسط وجهي للضيوف النزل ... والوجه عنوان الكريم المفضل

فضل الاجتماع على الأكل

شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة البركة في طعامهم، فقال: لعلكم تتفرقون على طعامكم، قال نعم، قال: اجتمعوا عليه واذكروا اسم الله لديه. وقال صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بشراركم، من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده. وكانت العرب تعد التفرد بالأكل احتقاب وزر «٢» حتى أنزل الله تعالى: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا

«٣» ، وقال أبو أمامة في قوله تعالى: إن الإنسان لربه لكنود

«٤» أنه الذي يأكل وحده، قال شاعر:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلا فإني لست آكله وحدي

وقال عبد الله بن المعتز في اجتماع الأيدي على الطعام:

كأن أكف القوم في جفناته ... قطا لم ينفره عن الماء صارخ «٥»

من نحر سمان الإبل للضيف

وصف أعرابي رجلا فقال: نحر لنا ذا سديف مسرهد «٦» ونيء غير مصرد، فقدمه في جفان كالجوابي «٧» وقدور كالخوابي.." (١)

"قلت:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم

فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى ... تفارق من تهوى وأنفك راغم «١»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٥٢/١

وصف الهوى بأنه جنون

وصف أعرابي الهوى فقال: هو طرف من الجنون، إن لم يكن عصارة السحر وعليه:

أداء عراني من جنابك أم سحر؟ «٢»

وقال غيلان بن عقبة:

هو السحر إلا أن للسحر رقية ... وإني لا ألقى من الحب راقيا

وقال ابن الرومي:

أهوى الهوى كل ذي لب فلست ترى ... إلا صحيحا له أفعال مجنون

من شغف بقبيح ليس فيه موضع للعشق

تيقن من رآك تحب قينا ... بأن الحب ضرب من جنون «٣»

مغالبة الهوى

قيل: مغالب الهوى كمغالب الدنيا. قال شاعر:

قد كنت أعلو الحب حينا فلم يزل ... بي النقض والإبرام حتى علانيا

وقال آخر:

فو الله ما أدري أيغلبني الهوى ... إذا جد جد البين أم أنا غالبه «٤»

فإن أستطع أغلب فإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

استعظام المحبوب وجلالته في عين المحب

يستحسن في ذلك قول بعضهم:

أهابك إجلالا وما بك قدرة ... علي ولكن ملء عين حبيبها

وقال آخر:

تمنيته حتى إذا ما رأيته ... بهت فلم أعمل لسانا ولا طرفا

وأطرقت إجلالا له ومهابة ... وحاولت أن يخفى الذي بي فلم يخفا." (١)

"بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر:

إذا ما أردت الأمر فاذرعه كله ... وقسه قياس الثوب قبل التقدم

لعلك تنجو سالما من ندامة ... فلا خير في أمرأتى بالتندم

المتبجح بثباته

قيل: لأمير المؤمنين رضي الله عنه أنت محرب مطلوب فلو اتخذت طرفا. فقال: لا أفر عمن كر ولا أكر على من فر، فالبغلة تكفيني.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٤٨/٢

وقيل لعباد بن الحصين: إن جالت الخيل فأين نطلبك؟ قال: حيث تركتموني.

وقيل لبعض بني المهلب بن نلتم؟ ما نلتم قال بصبر ساعة، وقال هدبة:

أخو الحرب من لا يجتويها إذا اجتوت ... ولا يظهر الشكوى وإن كان موجعا «١»

وقال:

قوم إذا نزلوا الوغى لم يسألوا ... حذر المنية عن طريق الهارب

وقال آخر:

ولا يرتقي من خشية الموت سلما

قال أبو فراس:

صبور ولو لم تبق مني بقية ... قؤول ولو أن السيوف جواب «٢»

وقور وأحداث الليالي تنوشني ... وللموت حولي جيئة وذهاب

المبادر إلى الحرب غير مبال بها

وصف أعرابي قوما فقال ما سألوا قط كم القوم، وإنما يسألون أين هم؟ سأل رجل يزيد بن المهلب فقال: صف لي نفسك، فقال: ما بارزت أحدا إلا ظننت أن روحه في يدي.

ولما بلغ قتيبة حد الصين قيل له قد أوغلت في بلاد الترك والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر، فقال بثقتي بنصر الله توغلت وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة فقال الرجل أسلك حيث شئت فهذا عزم لا يفله إلا الله، قال السلامي:

أتى القدر المتاح فلا اصطبار ... يرد شباة عنك ولا فرار

وليس تقدمي خرقا ولكن ... لغير الحرب يدخر الوقار." (١)

"هو من قول أبي تمام:

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم ... جيش من الصبر لا يحصى لهم عدد

قال الحسن: ما ظننت أن رجلا يفضل ألفا حتى رأيت عباد بن الحصين، فإنه حاصر مدينة بكابل فثلمها ثلمة وكان يقاتل عليها ألف فقاتلهم وحده ليله حتى أصبحوا ومنعهم من حفظها وسدها.

وبعث بنو حنيفة بالفند حين طلب بنو ثعلبة نصرة وقالوا قد بعثنا إليكم ألف فارس وكان يقال له عديد الألف فلما ورد قالوا له أين الألف؟ قال: أنا فلما كان الغد وبرز وأحمل على ألف فارس مردف فانتظمهم.

المشبه بالأسد

هو أشد صولة «١» من أسد وأبلغ منعة من الحصن الحصين:

كالليث لا يثنيه عن إقدامه ... خوف الأذى وقعاقع الأعداء «٢»

وقال ابن الأعرابي أحسن بيت في الحرب قول الشاعر:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/١٤٩

كأن الجو محفوف بنار ... وتحت النار آساد تزور

وقال زهير:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ... ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

وصف أعرابي آخر فقال: هو أشد إقداما من أسد وتوثبا من فهد، واختطافا من حدأة ومن عقاب ملاح.

جلد ابتلي بمثله

في المثل:

إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا

وقيل:

إن الحديد بالحديد يفلح «٣»

المتشمر في الشدائد

قال علقمة:

فلا يغرنك مني الثوب أسحبه ... إني امرؤ في عند الجد تشمير «٤»." (١)

"حتى إذا ريح الصبا نسمت ... ملأ العبير بسرنا الطرقا

عظم الكفل مع دقة الخصر

قال ابن الطثرية:

عقيلية أما ملاة إزارها ... فدعص وأما خصرها فنبيل «١»

وقال المتنبي:

كأنما قدها إذا انفتلت ... سكران من خمر طرفها ثمل «٢»

يجذبها تحت خصرها عجز ... كأنه من فراقها وجل «٣»

وقال علي بن عاصم:

بيض سرقن من الصريم عيونها ... ومن الصريم مآكم الأكفال «٤»

مدح عظم الثدي وتناهده

قيل: لا تحسن المرأة حتى يعظم ثدياها. وقيل: خير الثدي ما يدفئ الضجيع ويروي الرضيع. وقيل للنظام: أي مقادير الثدي أحمد؟ فقال: وجدت الناس مختلفين في الشهوات، ولكن سمعت الله تعالى يقول في وصف الحور وكواعب أترابا ولم يقل فوالك ولا نواهد.

وقال مسلم:

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا ... وقد فاجأتها العين والشر واقع

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/١٥٢

فغطت بأيديها ثمار نحورها ... كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع

قال محمد بن الحسن الأزدي:

وقابلتني بفتور الجفون ... ومستوقرين على منبر

بحقين من لب كافورة ... برأسيهما نقطتا عنبر

وقال ديك الجن:

وذات رمانتين في طبق ... من فضة فصصا بفصين

تناهد الثدي مع عظم العجيزة

قال عروة بن الورد:

أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا

وإذا الرياح مع العشي تناوحت ... نبهن حاسدة وهجن غيورا

وصف أعرابي امرأة فقال: بيضاء جعدة لا يمس الثوب إلا مشاشة منكبيها وحلمة." (١)

"وقال آخر:

ويسحب ذيليه على عفر الترب

وقال آخر:

كأنه نعام تعلق بالأرجل

السحابة البطيئة

جاءت تهادى مشرفا ذراها ... تحن أولاها على أخراها

وقال الأخطل:

إذا زعزعته الريح جرت ذيولها ... كما زحفت عود ثمال تحمل «١»

وقال الحطيئة:

تزجي الصبا منقل السحاب كما ... تزجي المطالي فصالها سيقا «٢»

وقال آخر:

سحاب يزحف زحف الكبير

وكان معقر قد كف بصره فقال: يا بنية ما ترين؟ قالت: سحابة عقاقه كأنها حولاء، ناقة ذات هيدب دان وسير وان، فقال: يا بنية وائلي «٣» إلى قفلة «٤» ، فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل.

السحاب المتحلبة المطر

قال الحسين بن مطير:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٣٣/٢

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه ... فإذا تحلب فاضت الأطباء «٥»

وضروعه عدد النجوم وطله ... إخلافه عدد النجوم رواء «٦»

ووصف أعرابي سحابا فقال: لقحته الجنوب ومرته الصبا واستدرته الشمال وقالت أعرابية: نحبته الصبا ومرته الجنوب وانتجفته الشمال انتجافا «٧» .

وقيل: أجود بيت في صفة السحاب قول الهذلي:

تلحقه ريح الجنوب وتقبل الشما ... ل نتاجا والصبا حالب يمري

وقالت أعرابية: أحب السحابة الخرساء لأنها تخرس حتى تمتلئ ماء وتصب طبقا «٨» طبقا يكون حبا.." (١)

"قال التنوخي:

ببرق كأشجاني وقطر كأدمعي ... ورعد كعولي للنوى ونحيبي

وقال وهب الهمداني:

الرعد في اصطكاكه خطيب ... والبرق في خلاله لهيب

وقال آخر:

يحن كثكلى في نشيج بكائه ... ويضحك فيه كالولود تبسما

وقال بعض البلغاء في سحاب: زجرت الرعود أردافه وأضحكت البروق أعطافه وجلبت الجنوب أخلافه.

وصف البرق

برق كنبض العرق وخفق القلب وبطن شجاع يضطرب.

ولمع المرائي في أكف الكواعب.

وكسلاسل تبر.

قال شاعر:

غاب تسنمه ضرام توقد ... وكأسياف تسل وتغمد

سطور كتبن بماء الذهب

قال عدي بن الرقاع:

وحتى حسبت البرق نارين شبتا ... بعلياء نجد ما يني موقداهما

وله:

نار تعاود فيه العود جدته ... والنار تسفع عيدانا فتحترق

وقال آخر:

كثغر زنجية تفتر ضاحكة ... تبدو مشافرها طورا وتنطبق

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٧٨

وقال جرير:

يقول الناظرون إلى سناه ... بذي بلقاء شمس على نهار

وقال آخر:

كأن بلق الخيل فيها تضرج

وقال آخر:

أبلق جال جله حين وثب

وصف أعرابي سحابا، فقال:

لما تراءى نشوه ... وتبدى بدوه." (١)

"المرح

وصف أعرابي فرسا فقال هو شيطان في أشطان وقال بشر:

مهارشة العنان كأن فيها ... جراءة هبرة فيها اضطراب

وقال آخر:

كأن به لسعة زنبور

وقال غيلان بن حريث:

يكاد مما يزدهيه أشره ... يطير لولا أننا نوقره «١»

وقال أبو تمام:

كأنما خالطه أولق ... أو خامرت هامته الخندريس «٢»

وقال:

كأنه سكران أو عابث ... أو ابن رب حدث المولد

وقال الموسوي:

يزجون جردا لا تقر على الثرى ... مرحا كأن الترب شوك قتاد «٣»

الشديد الصهيل

قال شاعر:

بأجش الصوت يعبوب «٤»

وقال مزرد:

أجش صهيلي كأن صهيله ... مزامير شرب جاوبتها الجلاجل «٥»

وقال الموسوي:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/ ٥٨٠

ويصهل في مثل قعر الطوى ... صهيلا يبين للمعرب

وقال البحتري:

وكأن صهلته إذا استعلى بها ... رعد يقعقع في ازدحام غمام

الطامح العين والرأس

قال مزرد:

يرى طامح العينين يرنو كأنه ... مؤانس ذعر فهو بالأذن خائل." (١)

"ومن السمات العلاط والخياط والمحجر والخطاف والغراب والخطام والكشاح والجباب.

وقيل بعير محلق وطهور وأحزب والميسم مباح في الشريعة كان يسم إبل الصدقة وكانت القصوى والعضباء ناقتا رسول الله صلى الله عليه وسلم موسومتين ومن منفعة السمة أنها إذا عرفت للرئيس لم تطرد عن الماء قال:

قد سقيت آبالهم بالنار ... والنار قد تسقى من الأوار «١»

إبل غير معلمة

ربما يترك البعير غير معلم إما لأن إغفالها كالعلم لها أو يكون ذلك ضنا من صاحبها بها لكرمها.

قال:

ولا عيش الأكل صهباء غفل

وقال:

تناول الحوض إذا الحوض شغل ... ومنكباها خلف أوراك الإبل

وقال:

من كل حمراء يفاع المنتمى ... يكرمها أربابها إن توسما

وصف البعير بالسرعة والقوة

وصف أعرابي ناقة فقال تقطع الأرض عرضا وترض الحجارة رضا وتنهض في الزمام نهضا سريعة الوثوب بطيئة النكوب مروح شروب، وقيل لآخر: كيف ناقتك؟ فقال: عقاب إذا هوت وحية إذا التوت طوت الفلاة وما انطوت.

وقال شيبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكة ومعي ثلاث جمال فصحبت يمينا على ناقة فوقعت بي جمل بعد جمل حتى بقيت راجلا فخفت أن يفوتني الحج. فقال اليمنى: أتطيب نفسك عما معك وتردفني؟ فقلت: نعم. فنزل وقدم رحله فكاد يضعه على عنقها، ثم قال: خذ حر متاعك إن لم تطب نفسك عنه، ففعلت وأردفني فجعلت تعوم بنا عوما كأنه ثعبان حتى انتهى بي إلى الموقف. فقال: إن لي حاجة إليك إن لا تذكرها فإن هذه آثر عندي من كل مال في الدنيا أدرك عليها الثأر وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الوسم من صنعاء كل عام.

تحريك الأيدي والأرجل في المشي

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٨٠

قال رؤبة:

كأن أيديهن بالقاع القرق ... أيدي جوار يتعاطين الورق." (١)

"وقال آخر:

يدا سابح في غمرة يتبوع «١»

وقال آخر:

يدا معول خرقاء تسعد ما تما

وقال آخر:

كأنها نائحة تفجع ... تبكي لميت وسواها الموجع

وقال الشماخ:

كأن ذراعيها ذراعا مدلة ... بعيد الشباب حاولت إن تعذرا

وقال القضامي:

عوج فواج إذا حث الحداة بها ... حسبت أرجلها قدام أيديها

وصف أعرابي بعيره فقال في صفة قوائمه: وضعها تعليل ودفعها تحليل.

رمي الحصى بالأخفاف

وقال امرؤ القيس وعنه أخذ الشعراء:

كأن الحصى من خلفها وأمامها ... إذا نجلته رجلها حذف أعسرا «٢»

كأن صليل المروحين تشده ... صليل ذيوف يتقدن بعبقرا «٣»

قال عبدة بن الطيب:

ترى الحصى مشمخرا عن مناسمها ... كما تخلخل بالوغل الغرابيل «٤»

قال ابن المعتز:

كأن يديها وهي تسترفض الحصى ... يدا ناقد أو نابل لم يسدد «٥»

الخائف من الضرب والزجر

وصف الكميت ناقة فقالة:

بزجرة أخي من سواهن تضرب

قال إبراهيم بن هرمة:

تكاد تخرج من بين الجبال إذا ... ما قال غير لأخرى غيرها عاج." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٩١/٢

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٩٢/٢

"وقال:

ألا يا عباد الله من لقبيلة ... إذا ظهرت في الأرض شد مغيرها

فلا الدين ينهاها ولا هي تنتهي ... ولا ذو سلاح من معد يضيرها

وقال أبو الشمقمق:

يا طول يومي وطول ليلته ... فليهن برغوثه بجذلته

قد عقدت بندها على جسدي ... واجتهدت في اقتسام جملته

وقال:

ألا رب برغوث تركت مجدلا ... بأبيض ماضي الشفرتين صقيل

يعني أظفاره.

وصف أعرابي البراغيث فقال: ما آذى صغارها وأطفر كبارها وأخفى انطمارها وأقبح آثارها.

وحضر أعرابي حلقة يونس فأنشد رجل لأبي الحسين بن أبي البغل:

إذاع ما عرابي شار بالدمى انثنى ... وغنى غناء الشارب المترنم

يدين بأديان المجوس كأنما ... يقول له أصحابه أشرب وزمزم

وكتب ابن ثوابة إلى ابن مكرم نحن نبعض فهل تبعضون؟ فكتب إليه نحن نبعض ونبرغث ونبقق.

القمل

القمل يعتري من العرق والوسخ من الثوب والشعر. وقيل: يعتري من أكل التين ويكون في رأس الأسود الرأس أسود، وفي أخضب الشعر بالحمرة أخضب. وفي الأخصف خصيفا، وفي الأبيض.

وقيل: هكذا كحرة بني سليم كل ما فيها من حيوان أسود بلاد الترك كل ما فيها على ألوان بلادهم ومن زيبق ذهب قمله ويزيله لبس الحرير فأذن لهما. ويكثر القمل في الدجاج والحمام إذا لم يغسلا وكذلك في القرد وتراه أبدا يتقمل ويضع قمله في فيه.

القراد

يخلق من عرق البعير ووسخه كالقمل من الإنسان. والقراد إذا كان صغيرا قمقامة ثم يكون حنانة ثم قرادا ثم حلمة. ويقال له: القل والطلح والعقير والبرام والقرشان.

وقيل: أشجع من قراد وألزق منه وأذل وأفطن من حلمة ويقال فلان يقرد فلانا أي يحتال عليه، وأصله أن يؤخذ قراد البعير ليسكن ثم يجعل الخطام في عنقه.." (١)

"النعمة، وأطيلت له العافية، وأديمت به النظرة ألا يعجز عن التوثق لنفسه، من قبل حل عقوده، والحلول بعقوته، والحيالة بينه وبين نفسه.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٢٨/٢

وصف أعرابية لزوجها

قالت أعرابية في الزوج: لا أريده ظريفا ولا ظريفا ولا رجل أهله ولا السمين الألحم، ولكني أريده الضحوك ولاجا، الكسوب خراجا. خطب رجل ابنة عم له فأخبرها أبوها بذلك فقالت: يا أبه، سله ما لي عنده؟ فسأله فقال: ألطف برها، وأحمل ذكرها، وأعصي أمرها. فقالت: زوجنيه. لما أهديت ابنة عبد الله بن جعفر إلى الحجاج نظر إليها في تلك الليلة وعبرتها تجول في خدها، فقال: مم بأبي أنت؟ . قالت: من شرف اتضع، ومن ضعة شرفت. ولما كتب عبد الملك إلى الحجاج بطلاقها قال لها: إن أمير المؤمنين أمرني بطلاقك قالت: هو أبر بي ممن زوجنيك

قول امرأة لبلال بن أبي بردة

حكم بلال بن أبي بردة بالتفريق بين رجل وامرأته، فقالت له المرأة: يا بن أبي موسى إنما بعثتم بالتفريق بين المسلمين. نزل رجل بامرأة من العرب فقال لها: هل من لبن أو طعام يباع؟ فقالت: إنك للئيم أو حديث عهد باللئام. فاستحسن ذلك منها وخطبها فتزوجها.

كراهة النساء للشيب

حدث بعضهم قال: خرجت إلى ناحية الطفاوة فإذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها. فقلت: أيتها المرأة؛ إن كان لك زوج فبارك الله له فيك، وإلا فأعلميني. قال: فقالت: وما تصنع بي وفي شيء لا أراك ترتضيه. قلت: وما هو؟ قالت: شيب في رأسي. قال: فثنيت عنان دابتي راجعا. فصاحت بي: على رسلك أخبرك بشيء. فوقفت وقلت: ما هو يرحمك الله؟ فقالت: والله ما بلغت العشرين بعد،." (١)

"فقال: لست به، وكأن قد وليتني به، فسألت عنه فقيل: هذا أبو نضلة هاشم بن عبد مناف فقلت هذا المجد والسناء والرفعة لا مجد بني جفنة. فقال معاوية: أشهد أن العرب أوتيت فصل الخطاب. **وصف أعرابي** قوما فقال كأن خدودهم ورق المصاحف، وكأن حواجبهم الأهلة وكأن أعناقهم أباريق الفضة. دخل ضرار بن عمرو والضبي على المنذر بعد أن كان طعنه عامر بن مالك فأذراه عن فرسه فأشبل عليه بنوه حتى استشالوه فعندها قال: من سره بنوه ساءته نفسه، فقال له المنذر: ما الذي نجاك يومئذ؟ قال: تأخير الأجل، وإكراهي نفسي على المق الطوال. قال معاوية: لصحار العبدي: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا. فقال له رجل من عرض القوم: هؤلاء بالبسر أبصر منهم بالخطب. فقال صحار: أجل والله إنا لنعلم أن الريح لتلقحه، والبرد ليعقده، وأن القمر ليصبغه، وأن الحر لينضجه، فقال معاوية: فما تعدون البلاغة فيكم؟ قال الايجاز قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ. قال معاوية: أو كذا لي تقول؟ قال صحار: أقلني يا أمير المؤمنين لا تبطئ ولا تخطئ. تكلم صعصعة عند معاوية فعرق، فقال معاوية: بهرك القول؟ قال صعصعة: إن الجياد نضاحة بالماء. قيل لبعضهم: من أين أقبلت؟ قال: من الفج

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٩/٤

العميق. قال: فأين تريد؟ قال: البيت العتيق. قالوا: وهل كان ثم من مطر؟ قال: نعم حتى عفى الأثر وأنضر الشجر، ودهده الحجر.." (١)

"ذكر رجل عند أعرابي بشدة العبادة فقال: هذا والله رجل سوء يظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب هذا التعذيب. قال رجل لشيخ بدوي: تمرنا أجود من تمركم. فقال: تمرنا جرد فطس، عراض كأنها ألسن الطير، تمضغ التمرة في شدقك فتجد حلاوتها في عقبك. قال أعرابي: سألت فلانا حاجة أقل من قيمته، فردني ردا أقبح من خلقته. وقال: مواقعة الرجل أهله من غير عبث من الجفاء. قيل لأعرابي: ما تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ وحمي الوطيس. فقال: يمشي أحدنا ميلا، حتى يرفض عرقا ثم ينصب عصاه، ويلقي عليها كساه، فكأنه في إيوان كسرى. قال بعضهم: رأيت أعرابيا يصلي ويسيء الصلاة فقال له رجل: يا أعرابي، أحسن صلاتك. فقال: إن المطالب بها كريم. عاب أعرابي قوما فقال: هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم، وأكثرهم تجرما على أصدقائهم، يصومون عن المعروف، ويفطرون على الفحشاء. وصف بعض الأعراب النساء فقال: عليك منهن بالجاليات العيون، الآخذات بالقلوب، بارع الجمال، وعظم الأكفال، وسعة الصدور ولين البشرة ورقة الأنامل وسبوطة القصب، وجزالة الأسوق، وجثولة الفروع، ونجالة العيون، وسهولة الخدود، وامتداد القوام، ورخامة المنطق، وحسن الثغور، وصغر الأفواه وصفاء الألوان. **وصف أعرابي** امرأة: هي خالية إلا من ألا وليت. قيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ فقال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.." (٢)

"حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله ألا يكلم ابنه فحضرته الوفاة فقيل له: كلمه قبل أن تفارق الدنيا. قال: والله ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله مني الساعة. قال عبد الملك لأعرابي: تمن. قال: العافية. قال: ثم ماذا؟ قال: رزق في دعة. قال: ثم ماذا؟ قال الخمول، فإني رأيت الشر إلى ذوي النباهة أسرع. قيل لأعرابي من بني يربوع: مالكم على مثال واحد؟ قال: لأنا من بني فحل واحد. ذم أعرابي رجلا فقال: عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بفسقه وشهادات الأفعال، أعدل من شهادات الرجال. وذكر آخر رجلا بالعي فقال: رأيت عورات الناس بين أرجلهم وعورة فلان بين فكيه. وقال آخر لرجل دفعه: لتجدني ذا منكب مزحم، وركن مدعم، ورأس مصدم، ولسان مرجم ووطء ميثم. قال الأصمعي: نظر أعرابي إلى الهلال فقال: لا مرحبا بك عقفان يحل الدين، ويقرب الآجال. قيل لأعرابي: ما تلبس؟ فقال: الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس. سئل أعرابي عن ألوان الثياب فقال: الصفرة أشكل والحمرة أجمل والخضرة أنبل والسواد أهول والبياض أفضل. **وصف أعرابي** الكتاب، وقد دخل الديوان فرآهم فقال: أخلاق حلوة وسمائل معشوقة ووقار أهل العلم وظرف أهل الفهم فإن سبكتهم وجدتهم كالزبد يذهب جفاء. وذم أعرابي رجلا فقال: عبد البدن، خز الثياب، عظيم الرواق، صغير الأخلاق، الدهر يرفعه وهمته تضعه.." (٣)

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٦/٦

(٣) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٩/٦

"قيل لأعرابي ينسج: ألا تستحي أن تكون نساجا؟ فقال: إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي. مد المأمون يده إلى الأعرابي ليقبلها فتناولها بكمه فقال: أتتقزز منها؟ قال: لا بل أتقزز لها. **وصف أعرابي** قوما فقال: هم كلاب وفلان من بينهم سلوتي. سئل رجل عن نسبه فقال: أنا ابن أخت فلان. فقال أعرابي: الناس ينتسبون طولا وأنت تنتسب عرضا. رأى أعرابي عودا فلما عاد إلبالبادية وصفه لأصحابه فقال: رأيت خشبا محدودب الظهر، أرسح البطن، أكلف الجلد، أجوف أغضف، جبينه في استه، وعيناه في صدره، وأمعاءه خارج بطنه، بها يتكلم، وعينه تترجم، معروك الأذن، مخنوق الحلق. سئل آخر عن امرأته فقال: أفنان أثلة، وجنى نخلة، ومس رملة وكأني قادم في كل ساعة من غيبة. اجتمع إعرابي مع صاحبة له فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ذكر معاده فاستعصم وقال: إن من با ع جنة عرضها السموات والأرض بمقدار فتر بين رجليك، لقليل البصر بالمساحة. اشتكى أعرابي بالحضر فقيل: ما تشتهي؟ قال: حشك فلاة، وحسي قلاة. قال أعرابي لرجل: اكتب لابني تعويذا. فقال: ما اسمه؟ قال: فلان قال: فما اسم أمه؟ قال: ولم عدلت عن اسم أبيه؟ قال: لأن الأم لا يشك فيها. قال: فاكتب: فإن كان ابني فعافاه الله، وإن لم يكن ابني فلا شفاه الله. قيل لأعرابي: ما تقول في إبن العم؟ قال: عدوك وعدو عدوك. ووعظ آخر ابنا له أفسد ماله في الشراب فقال: لا الدهر يعظك ولا الأيام تنذرك، ولا الشيب يزجرك، والساعات تعد عليك، والأنفاس تعد منك والمنايا تقاد إليك، أحب الأمرين إليك، أردهما بالمضرة عليك.." (١)

"نعم تجنب لا يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لثغة الراء

وهو من قول الفرزدق في علي بن الحسين رضي الله عنهما:

ما قال لاقط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم

ومثله ما قيل في قثم بن العباس:

أعفيت من حل ومن رحلة ... يا ناق إن أدنيتني من ثم

إنك إن أدنيتنيه غدا ... حالفني اليسر ومات العدم

في وجه نور وفي باعه ... طول وفي العرين منه شمم

أصم عن قيل الخنا سمعه ... وما عن الخير به من صمم

لم يدر ما (لا) (وبلى) قد درى ... فعافها واعتاض عنها (نعم)

ومنه قول الآخر:

أبي جوده (لا) البخل واستعجلت به ... (نعم) من فتى لا يمنع الجود قائله

وقال الآخر:

بدأت بمعروف وثنيت بالرضى ... وثلثت بالحسنى وربعت بالكرم

وباشرت أمري واعتنيت بحاجتي ... وأخرت (لا) عني وقدمت لي (نعم)

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٤٠

وصدقت لي ظني وأنجزت موعدي ... وطبت به نفسا ولم تتبع الندم

فإن نحن وافينا بشكر فواجب ... وإن نحن قصرنا فما الود متهم

حسن البشر وكرم الأخلاق

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن لم تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه، وحسن الأخلاق) وحسبك مدحا لحسن الخلق قوله تعالى لنبيه (وإنك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه، وقال علي بن أب طالب رضي الله عنه: رب عزيز أذله خرقه، وذليل أعزه خلقه.

وقال: من لم تصلح أخلاقه لم ينفع الناس تأديبه، وكان يقال: ألق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره، **ووصف أعرابي** رجلا بحسن الشرف، فقال: لا تراه الدهر إلا كأنه لا غناء به عنك، وإذا أذنبت غفر، وكأنه المذنب، وإن أحسن اعتذر، وكأنه المسيء، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، (مكارم الأخلاق عشرة، تكون في الرجل، ولا تكون في ابنه، وتكون في الابن، ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد، ولا تكون في سيده قيل يا رسول الله ما هن؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وصدق البأس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والتذمم للجار والصاحب، والحلم في القدرة، والمواساة في الشدة، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء) قال عصام بن الصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي رضي الله عنهما، فأعجبني سمته ورواؤه، فأثار مني الحسد ما أجنه صدري من البغض لأبيه، فقلت له: أنت ابن علي بن أبي طالب؟ قال: نعم فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) (وأما ينزغنك من الشيطان نزع فاستبعد بالله إنه سميع عليم) (إن الذين اتقوا إذا مهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرين) .

ثم قال لي: خفض عليك استغفر اله ولك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا رفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك. قال عصام: فتوسم في الندم على ما أفرط مني فقال: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) أمن أهل الشام أنت؟ فقلت: نعم، فقال: شنشنة أعرفها من أخزم، حياك الله وبياك، انبسط إلينا في حوائجك، وما يعرض لك تجدنا عند أفضل ظنك إن شاء الله، قال عصام: فضاقت علي الأرض بما أحب إلي منه ومن أبيه.

ما جاء في الاستعطاف والتنقل فيه بالمعاني اللطيفة والمقاصد الظريفة، فمن ذلك، وهو من أبلغ تلطفات الشعراء في التوصل إلى استعطاف الملوك والأمراء قول أبي سعيد الستمي يخاطب زوجته في أول قصيدة مدح بها الصاحب بن العباد وهي من غرر القصائد وهي:

أمنجزتي وعدي فقد رحل الركب ... ولم تتأن العيس أم تقف الصحب

خليلي لا تستنكرا طول عتبها ... علي فإن الحب أكثره عتب

بنفسي بيضاء العوارض أعرضت ... بوجه كأن الشرق من حسنه غرب

وبين الإزار المرتوي حقف رملة ... وبين الوشاح الملتوي غصن رطب

وتحت لثام الخز أنفاسها الضنى ... وفوق رداء الكبر أدمعها سكب

تبدت مع الأتراب تدعو على النوى ... وإن لم يكن في الغانيات لها ترب

تسيل على الخد الأسيل دموعها ... وصب دموع العين يروى به الصب

وقد وكلت إحدى يديها بقلبها ... مخافة أن يرفض من صرها القلب." (١)

"سئل أعرابي عن زوجته وكان حديث عهد بعرس: كيف رأيت أهلك؟ فقال: أفنان أثلة، وجني نحلة، ومس رملة، ورطب نخلة، وكأني كل يوم آئب من غيبة.

وقال آخر في ذم إنسان: أنت والله ممن إذا سأل ألحف وإذا سئل سوف، وإذا حدث خلف، وإذا وعد أخلف؛ تنظر نظرة حسود، وتعرض إعراض حقود.

ووصف أعرابي مرح فرس فقال: كأنه شيطان في أشطان.

وقال أعرابي: خرجت في ليلة حندس قد ألقت أكارعها على الأرض، فعميت صور الأبدان، فما كنا نتعارف إلا بالآذان، فسرنا حتى أخذ الليل ينفض صبغه.." (٢)

"وقيل لأعرابي له أمة اسمها زهرة: أيسرك أنك الخليفة، وأن زهرة ماتت؟ قال: لا والله! قيل: ولم؟ قال: تذهب الأمة، وتضيع الأمة.

ومدح أعرابي قوما، فقال: يقتحمون الحرب كأنما يلقونها بنفوس أعدائهم.

وقال أعرابي: حكم جليس الملوك أن يكون حافظا للسر، صابرا على السهر.

وقال أعرابي: لا يقوم عن الغضب بذل الاعتذار.

ووصف أعرابي رجلا، فقال: ذا ممن ينفع سلمه، ويتواصف حلمه، ولا يستمرأ ظلمه.

وقال آخر: فلان حتف الأقران غداة النزال، وربيع الضيفان عشية النزول.

وقال أعرابي عن شخص: لا أمس ليومه، ولا قديم لقومه.." (٣)

"وقال آخر: بالفحول تدرك الذحول.

وقال أعرابي: من جاد بماله فقد جاد بنفسه، إلا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها.

وذكر رجل عند أعرابي بشدة العبادة، فقال: هذا والله رجل سوء، أيظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب!

وقال أعرابي في الفخر بتمره: تمرنا جرد فطس عراض كأنها ألسن الطير، تمضغ التمرة في شدقك، فتجد حلاوتها في عقبك.

وقال أعرابي: سألت فلانا حاجة أقل من قيمته، فردني ردا أقبح من خلقته.

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٢٥١

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٧٥

(٣) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨١

ووصف أعرابي النساء، فقال: عليك منهن بالجاليات العيون، الآخذات بالقلوب، وتوخ بارع الجمال، وعظم الأكفال، وسعة الصدور، ولين السرة، ودقة." (١)

"الأنامل، وسبوطة [القصب] وجزالة الأسوق، وجثولة الفروع، ونجالة العيون مع الحور، وسهولة الخدود، وامتداد القوام، ورخامة المنطق، وحسن الثغور، وصغر الأفواه، وصفاء الألوان.

ووصف أعرابي امرأة، فقال: هي خالية من ألا وليت.

وقيل لأعرابي: "كيف كتمانك للسر؟ قال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.

وقيل لأعرابي: كيف تغلب الناس؟ قال: أبهت بالكذب، واستشهد بالموتى.

وقال أعرابي لأخيه: إن لم يكن مالك لك كنت له، وإن لم تفنه أفناك، فكله قبل أن يأكلك.." (٢)

"[البكاء على خراب العمران]

وقد وقفت على كلام لصاحب المناهج في هذا المعنى فأحببت ذكره ملخصا، وهو: ونلحق بذكر المنازل التي راق منظرها، وفاق مخبرها، وارتفع بناؤها، واتسع فناؤها، طرفا من الكلام على ما عفاه الدهر من رسومها، ومحاه من محاسن صور كانت أرواحا لجسومها. وصف أعرابي محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثرا: ارتحلت عنها ربات الخدور، وأقامت بها أثافي القدور، ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم، وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم، والعهد قريب، واللقاء بعيد.

وقال عمر بن أبي ربيعة فأحسن (١) :

يا دار أمسى دارسا رسمها ... وحشا قفارا ما بها آهل

قد جرت الريح بها ذيلها ... واستن في أطلالها الوابل ومن كلام الفتح بن خاقان، في قلائد العقيان، يذكر آل عباد من فصل أكثر فيه التفجع، وأطال به التوجع (٢) : والغصون (٣) تختال في أدواحها، والأزاهر يحيي ميت الصبابة شذا أرواحها (٤) ، وأطيار الرياض (٥) قد أشرفت عليهم (٦) كثكالى ينحن على خرابها، وانقراض أطرابها، والوهي بمشيدها لاعب، وعلى كل جدار منها غراب ناعب، وقد محت الحوادث ضياءها، وقلصت ظلالها وأفياءها، ولطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت، وفاحت من

---

(١) ديوان عمر: ٣٠١.

(٢) قلائد العقيان: ١٠.

(٣) ق ك ج ط: والقصور.

(٤) القلائد: وتتثنى في أكف أرواحها.

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨٥

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨٦

(٥) القلائد: وآثار الديار.

(٦) قد أشرفت عليهم: زيادة من القلائد.." (١)

"أفد بطبعم المكدود بالهم راحة=براح وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

وشعر أبي الفتح ينم عن تصرفه في العلم، كقوله: لئن عجزت عن شكر برك قوتي=وأوى الورى عن شكر برك عاجز

فإن ثنائي واعتقادي وطاعتي ... لأفلاك ما أوليتنيه مراكز

وقاله أيضا:

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا ... فاحكم على ملكة بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا وهو برج اللهو الطرب

وقال أيضا:

شرف الوغد بوغد مثله ... مثل ما فيه زيغ وخلل

ودليل الصدق فيما قلته ... شرف المريخ في بيت زحل

وقال أيضا:

لئن كسفونا بلا علة ... وفازت قداحهم بالظفر

فقد يكسف المرء من دونه ... كما يكسف الشمس جرم القمر

وقال أيضا:

لا يغرنك أنني لين اللم ... س فعزمي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم للأخرين فيه زكام

وقال أيضا:

وقد يلبس المرء خز الثياب ... ومن تحتها حالة مضنية

كمن يكتسي خده حمرة ... وعلتها ورم في الرية

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١/٥٠٠

وشعره في هذه الأسباب وغيرها من الأبواب، يخرج عن حد الكتاب. وله في الفن الذي كثر في أهل العصر من تجنيس الشعر كقوله:

إن أسيافنا الغضاب الدوامي ... صيرت ملكنا قرين الدوام
باقتسام الأموال من وقت سام ... واقتحام الأهوال من وقت حام
وله فيه أيضا:

إن هز أقلامه يوما ليعملها ... أنساك كل كمي هو عامله
وإن أقر على رق أنامله ... أقر بالرق كتاب الأنام له
ولأبي الفضل الميكالي في هذا النوع قوله:

أفدي غزالا حماه قصر ... كجنة قد حوت نعيما
طرقته لا أهاب سوءا ... أباحني حبه الحريما
فجاد من فيه لي براح ... شفى حريقا به مقيما
أفدي حريقا أباح ريقا ... لا بل حريما أباح ريما
قال مسلم بن عبد الله بن جندب الهذلي: خرجت أريد العقيق، ومعي زيان السواق، فلقينا نسوة لم أر أجمل منهن، فيهن امرأة فرعتهن طولا [وكمالا، وبرعتهن ظرفا وجمالا] فأنشد ريان بيني أبي، وهما:

ألا ياعباد الله هذا أخوكم ... قتيل فهل منكم له اليوم ثائر
خذوا بدمي إن مت كل خريدة ... مريضة جفن العين، والطرف ساحر
ثم قال لي: شأنك بها يا بن الكرام، فالطلاق لي لازم إن لم يكن دم أبيك في نقابها، فأقبلت علي، وقالت: أأبوك ابن جندب؟ قلت: نعم، فقالت: إن قتيلنا لا يودى، وأسيرنا لا يفدى، فاغتنم نفسك، واحتسب أباك.
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قال رجل من [بني] فزارة لرجل من [بني] عذرة: تعدون موتكم في الحب مزية، وإنما ذلك من ضعف البنية، ووهن العقل، وعجز الروية. فقال العذري: أما إنكم لو رأيتم المحاجر البلج، ترشق بالأعين الدعج، من فوقها الحواجب الزج، والشفاه السمر، تفتر عن الثنايا الغر، كأنها سرد الدر، لجعلتموها اللات والعزى ورفضتم الإسلام وراء ظهوركم.
وقال أعرابي: دخلت بغداد فرأيت بها عيونا دعجا، وحوجب زجا، يسحبن الثياب، ويسلبن الألباب.
وقال أعرابي في امرأة ودعها:" والله ما رأيت دمعة ترقرق من عين بإثمد على ديباجة خد، أحسن من عبرة أمطرتها عينها، فأعشب لها قلبي.

وذكر أعرابي امرأة فقال: تلك شمس باهت الأرض بها شمس سمائها، وليس لي شفيع إلى اقتضائها، ولي نفس كتوم لدائها، ولكنها تفيض على امتلائها أخذه [أبو تمام] الطائي فقال:

شكوت وما الشكوى لمثلي بعادة ... ولكن تفيض النفس عند امتلائها

ووصف أعرابي نساء فقال: ظعائن في سوالفهن طول، غير قبيحات العطول، إذا مشين انتعلن الذيول، وإذا ركبن أثقلن الحمول.

وقال أبو العباس بن الحسن العلوي:

صادتك من عين القصور ... بيض أوانس في الخدور

حور تحور إلى صبا ... ك لأعين منهن حور

وكأنما برضابه ... ن جنى الرحيق من الخمور

يصبغن تفاح الخدو ... د بماء رمان النحور

وقال بعض البغداديين:

لو ذقت صيد ظباء القصور ... لأنسيت صيد ظباء الفلاة

ظباء مراتعها في القلوب ... ومشربها من لذيذ الحياة

وقال ابن الرومي:." (١)

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحُصري القيرواني ص/٣٥